



ديوان مجد الإسلام

أحمد محرم

ديوان مجد الإسلام

تأليف
أحمد محرم



الناشر مؤسسة هنداوي

المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شبيث ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة

تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٠٣٦٧ ٦

صدر هذا الكتاب عام ١٩٥٢.

صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠١٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف مُرَخَّصة بموجب رخصة المشاع الإبداعي: نَسْبُ المَصْنَف، الإصدار ٤.٠. جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي خاضعة للملكية العامة.

المحتويات

١١	مطلع النور الأول من أفق الدعوة الإسلامية
١٣	مطلع النور الأول من أفق الدعوة الإسلامية
١٥	المُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ
١٧	في غَارِ حِرَاءَ
١٩	في دار الأرقم بن أبي الأرقم
٢١	إِرَادَةُ قَتْلِ الرَّسُولِ وَهَجْرَتِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ
٢٣	في الغار الأكبر غار ثور
٢٥	أَبُو بَكْرٍ وَحَيَّةُ الْغَارِ
٢٧	سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ يُرِيدُ قَتْلَ النَّبِيِّ
٢٩	بُرَيْدَةُ بْنُ الْحُصَيْبِ وَأَصْحَابُهُ يَأْتُونَ بَعْدَهُ
٣١	في خِيَمَةِ أُمِّ مَعْبَدَ
٣٣	في قُبَاءَ
٣٥	حَيُّ بْنُ عَمْرٍو بْنُ عَوْفٍ
٣٧	مِنْ قُبَاءَ إِلَى الْمَدِينَةِ
٣٩	جَفَنَةُ أُمِّ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ
٤١	المُهَاجِرُونَ فِي ضِيَاةِ الْأَنْصَارِ
٤٣	مسجد المدينة
٤٥	أَبُو بَكْرٍ يُؤَدِّي ثَمَنَ الْحَائِطِ الَّذِي أُدْخِلَ فِي الْمَسْجِدِ
٤٧	بِلَالٌ يُؤَذِّنُ لِلصَّلَاةِ
٤٩	المُؤَاخَاةُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ

٥٣	الْيَهُودُ وَالْمَنَافِقُونَ
٥٧	غَزْوَةُ بَدْرِ الْكُفْرِ
٦٣	مصر أبي جهل
٦٥	صَدَى الْوَقْعَةِ فِي مَكَّةَ
٦٧	سواد بن غزية
٦٩	أَصْحَابُ الْقَلِيبِ
٧٣	شُهِدَاءُ بَدْرٍ (رضي الله عنهم)
٧٥	ذَكَرَى هَذِهِ الْغَزْوَةَ الْمُبَارَكَةَ
٧٩	الذِكْرَى الثَّانِيَةِ
٨١	غَزْوَةُ بَنِي قَيْنُقَاعَ
٨٥	غَزْوَةُ السَّوِيقِ
٨٧	غَزْوَةُ أَحَدٍ
٩٥	مَقْتُلُ حَمْزَةَ (رضي الله عنه)
٩٩	الرُّمَاءُ
١٠٣	زياد بن عُمارة (رضي الله عنه)
١٠٥	مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ (رضي الله عنه)
١٠٧	الْمُؤْمِنُونَ وَالْمَنَافِقُونَ
١١١	عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ (رضي الله عنه)
١١٣	مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ
١١٧	غَزْوَةُ حَمْرَاءِ الْأَسَدِ
١٢١	غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ
١٢٥	غَزْوَةُ ذَاتِ الرِّقَاعِ
١٢٩	غَزْوَةُ بَدْرِ الْآخِرَةِ
١٣٣	غَزْوَةُ دُومَةِ الْجَنْدَلِ
١٣٧	غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ
١٤١	إِسْلَامُ الْحَارِثِ بْنِ ضَرَارٍ (رضي الله عنه)
١٤٣	بَرَكَهُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ جُوَيْرِيَّةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)
١٤٥	بَيْنَ الْخَزَرَجِ وَالْمُهَاجِرِينَ

١٤٩	عبد الله بن أبي بن سلول بعد نزول (سورة المنافقون)
١٥١	قصة أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)
١٥٧	غزوة الخندق
١٦٣	بعد حفر الخندق
١٦٧	عباد بن بشر (رضي الله عنه)
١٦٩	نعيم بن مسعود الأشجعي وجنود الله
١٧٥	غزوة بني قريظة
١٨١	ثابت بن قيس (رضي الله عنه) والزبير بن باطا
١٨٣	سعد بن معاذ (رضي الله عنه) في خيمة رفيدة الأسلمية
١٨٧	رفيدة الأسلمية (رضي الله عنها)
١٨٩	سعد بن عباد (رضي الله عنه)
١٩١	غزوة بني لحيان
١٩٧	غزوة ذي قرد
٢٠٣	غزوة الحديبية
٢١١	خزاعة وبنو بكر
٢١٣	أم كلثوم (رضي الله عنها)
٢١٧	أبو بصير وأصحابه (رضي الله عنهم)
٢٢١	غزوة خيبر
٢٢٧	كنز بني النضير
٢٢٩	المخلفون
٢٣١	عبد الله بن أبي بن سلول
٢٣٣	صفية أم المؤمنين (رضي الله عنها)
٢٣٥	رجوع المهاجرين من الحبشة
٢٣٩	أم حبيبة (رضي الله عنها)
٢٤٣	أهل فدك
٢٤٥	بنو غطفان وسيدهم عيينة بن حصن
٢٤٧	حجاج بن علاط السلمي (رضي الله عنه)

٢٤٩	الشَّاةِ الْمَسْمُومَةِ
٢٥١	الْمُؤْمِنَاتِ فِي جَيْشِ الرَّسُولِ
٢٥٣	غَزْوَةُ وَايِ الْقَرَى
٢٥٥	أَهْلَ تَيْمَاءَ
٢٥٧	عُمَرَةُ الْقَضَاءِ
٢٥٩	أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ مَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ الْهَلَالِيَّةِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)
٢٦١	إِسْلَامُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَعُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ)
٢٦٥	غَزْوَةُ مُؤْتَةَ
٢٧١	الفتح الأعظم — فتح مكة
٢٧٣	حلف عبد المطلب
٢٧٥	بنو بكر وخزاعة
٢٧٩	وقعة الفتح الأعظم
٢٨٣	الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)
٢٨٧	إِسْلَامُ هِنْدَ بِنْتِ عَتَبَةَ زَوْجِ أَبِي سَفْيَانَ
٢٨٩	إِسْلَامُ عُثْمَانَ أَبِي قَحَافَةَ وَالِدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)
٢٩١	كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ وَأَخُوهُ بُجَيْرٌ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)
٢٩٣	غَزْوَةُ حُنَيْنٍ
٢٩٧	الْأَنْصَارُ يُبْكُونَ
٢٩٩	هَدْمُ الْعُزَّى وَسُوعَ وَمَنَاةَ
٣٠١	أُمُّ سَلِيمٍ زَوْجُ أَبِي طَلْحَةَ زَيْدُ بْنُ سَهْلِ الْأَنْصَارِيِّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)
٣٠٣	قُدُومُ هَوَازِنَ وَرَدُّ سَبْيِهَا عَلَيْهَا
٣٠٥	عَجُوزُ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ
٣٠٧	قِسْمَةُ الْغَنَائِمِ
٣١١	غَزْوَةُ الطَّائِفِ
٣١٥	عَيْنُ أَبِي سَفْيَانَ
٣١٧	سَرَاقَةُ بْنِ مَالِكٍ
٣١٩	غَزْوَةُ تَبُوكَ
٣٢٣	فِي دَارِ سُورِيمَ الْيَهُودِيِّ

٣٢٥	الجدُّ بن قيس
٣٢٧	البكَّاءون
٣٢٩	أبو خَيْثَمَة
٣٣١	أَبُو ذَرِّ الغِفَارِيِّ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)
٣٣٣	طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ
٣٣٥	قدوم يَحْنَةَ بن رُوْبَة صاحب أيلة وَمَعَه أهل أذرح وَجرباء وَمَقْنَا
٣٣٧	خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَالْأَكْئِدِرُ
٣٣٩	خطبة رَسُولِ اللهِ ﷺ عند مُنْصَرَفِهِ مِنْ تبوك
٣٤١	في العقبة بَيْنَ تبوكَ والمَدِينَة
٣٤٣	في المَدِينَة — النَبِيُّ يُعْرَضُ عن المَنَافِقِينَ وَيَأْمُرُ بِمُقَاطَعَتِهِمْ
٣٤٥	مسجد الضَّرَار
٣٤٧	عَامُ الْوُفُود
٣٤٩	وَفَدِ نَصَارَى نَجْرَان
٣٥٣	وَفَدِ الْأَشْعَرِيِّينَ
٣٥٥	وَفَدِ ثَقِيف
٣٥٧	وفد بني عامرِ بْنِ صَعَصَعَة
٣٥٩	ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَة (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)
٣٦١	وفد بني عبد القيس مِنْ بِلَادِ هَجَرَ بِالْبَحْرَيْنِ
٣٦٣	وَفَدِ بَنِي حَنِيفَة
٣٦٥	عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ
٣٦٧	عُرُوةُ بْنُ مَسِيكٍ المَرَادِي وَاسْمُهُ فُرُوءَة فِي بَعْضِ الرُّوَايَاتِ
٣٦٩	وفد بني زبيد
٣٧١	وَفَدِ كَنْدَة
٣٧٣	وَفَدِ أَزْدِ شَنْوَاءَة
٣٧٥	رَسُولُ مَلُوكِ حَمِيرٍ وَحَامِلُ كِتَابِهِمْ
٣٧٧	رَسُولُ فُرُوءَة بْنِ عَمْرٍو الجَذَامِي
٣٧٩	وَفَدِ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ
٣٨١	رِفَاعَة بْنُ زَيْدِ الْخَزَاعِي

٣٨٣	وَقَدْ هُمْدَان
٣٨٥	وَقَدْ تُجِيبُ
٣٨٧	بَقِيَّةُ الْوُفُودِ
٣٨٩	كُتِبَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمُلُوكِ

السَّرَايَا

٣٩٣	سرايا زيد بن حارثة
٣٩٥	سَرَايَا خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)
٤٠٥	سَرَايَا مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)
٤٠٧	سَرَايَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ)
٤١٥	سَرِيَّةُ أَبِي سَلَمَةَ إِلَى قُطْن
٤١٩	عَبْدُ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسِ الْأَنْصَارِيِّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)
٤٢١	سَرِيَّةُ عَكَاشَةَ بْنِ مُحْصَنٍ
٤٢٣	سَرِيَّةُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ إِلَى دُومَةِ الْجَنْدَلِ
٤٢٥	سَرِيَّةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتِيكَ الْخَزْرَجِيِّ الْأَنْصَارِيِّ
٤٢٧	سَرِيَّةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ الْأَنْصَارِيِّ إِلَى أُسَيْرِ بْنِ رِزَامِ الْيَهُودِيِّ بِخَيْبَرٍ
٤٢٩	عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ يُوفِدُ إِلَى مَكَّةَ لِقَتْلِ أَبِي سَفْيَانَ
٤٣١	سَرِيَّةُ أَبِي بَكْرٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) إِلَى بَنِي كَلَابٍ
٤٣٣	سَرَايَا غَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيِّ
٤٣٥	سَرِيَّةُ بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)
٤٤١	سَرِيَّةُ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) إِلَى بِلَادِ يَلِيٍّ وَعُذْرَةَ
٤٤٣	سَرِيَّةُ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ
٤٤٧	سَرِيَّةُ بَشِيرِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) إِلَى بَنِي تَمِيمٍ
٤٥١	سَرِيَّةُ أَبِي سُفْيَانَ وَالْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) لِهُدْمِ اللَّاتِ
٤٥٣	سَرِيَّةُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)
٤٥٥	

مطلع النور الأول من أفق الدعوة الإسلامية

مطلع النور الأول من أفق الدعوة الإسلامية

واغمر الناس حكمة والدُّهورا
يكشف الحجب كلها والستورا
فتدَفَّقُ عليه حتى يغورا
راح يطوي سَيُولُهُ وَالبحورا
أُمم الأرض أن تذوق الثبورا
ويعمُّ السَّبْع الطَّباق هديرا
جهل الناس قبله الإكسيرا
غَيَّرت كل كائنٍ تغييرا
نابِه الذكر في العصور شهيرا
كُنْتَ بعثًا لها وكنت نُشورا؟
هاشمي السَّنا وَصُبْحًا منيرا
سي المُلَقَّى وَيَكشِفُ الدَّيجورا
در عَجْزًا والعبقري قصورا
من حظاياها رَدَّه موتورا
يا تُوالي هَوِيَّها والحدورا
يسلم الجند وَالحمى وَالثُّغورا
يحسبون الحياة إفْكًَا وَزورا
جعلوا البغي شرعةً والفجورا؟

إملاً الأرض يا محمد نورا
حجبتك الغيوب سرًّا تجلى
عبَّ سيل الفساد في كل وإد
جئت ترمي عُبابَهُ بِعُبابٍ
ينقذُ العالم الغريقَ ويحمي
زآخر يشملُ البسيطة مدًّا
أنت معنى الوجودِ بل أنت سرُّ
أنت أنشأت للنفوس حياةً
أنجب الدَّهرُ في ظلالك عصرًا
كيف تجزي جَمِيلَ صنْعك دُنيا
وَلدتك الكواكبُ الزُّهرُ فجرًا
يصدعُ الغيَهبَ المُجَلَّلَ بالوحد
منطق القدرة التي ترهق القا
كُلُّ ذِمَرٍ رمى النُّفوس بوتر
خرت العُرب من مشارفها العُل
بات فيها ملك البيان حريبًا
أنكر الناس ربهم وتولوا
أين من شرعة الحياة أناسُ

ففع مثقال ذرة أو تَضِيرَا؟
 باب ما كان عاجزًا مقهورًا
 ى» غَنَاءٌ لِمَن يقيسُ الأمورا
 اللّهِ يحمي لواءه المنشورا
 فتداعى وَكَانَ خطبًا عسيرا
 تقوم ظَنُّ الغرور أن لن تطيرا
 بالحصون العُلى وَسُورًا فسورا
 جاد يَقضون حقه الموفورا
 راق مثل الغدير يلقى الغديرا
 وَارِقًا ظِلُّهَا وَخَيْرًا كثيرًا
 مركب الموت بالحياة جديرًا
 عن فتاها وَأَن تطيل النُّكيرا؟
 فاستجابوا جهالة وغرورا
 اللّهِ جلدًا على البلاء صبورا
 وَجِدُّهُ لِكُلِّ ذنب غفورا
 ها وَترضيه ناعمًا مسرورا
 ملك النفس وَاسترقَّ الشُّعورا
 وَيرى ما عداه شيئًا يسيرا
 هو أَزكى نَفْسًا وَأصفى ضميرا
 أَن يقيموك سيِّدًا أو أميرا؟
 ل حيا ماطرًا وَغيتًا غزيرا
 أَبتغيها وما خلقت حصورا
 ت أريهم مطالبى والشُّقورا
 لأدُعُ الهوى وَأعصى المشيرا
 تُطعم الحتف رائعا محذورا

تلك أربابهم أتملك أن تنـ
 قهروها صناعة أعجب الأثر
 ما لدى «اللات» أو «مناة» أو «العز
 جاء دين الهدى وَهَبَّ رسول
 ضرب الكفر ضربة زلزلته
 جثمت حوله الحصون وظن الـ
 هدها ذو الجلال حصنًا فحصنًا
 بالرسول الهادي وبالصفوة الأمـ
 يُهرقون النفوس تلقى الردى المهـ
 إِنَّ في القتل للشعوب حياة
 ليس من يركب الدَّنيَّة يخشى
 أَمَنَ الحقُّ أَن تصدَّ قريشُ
 سل أبا جهلها وقومًا دعاهم
 أولعوا بالأذى فألفوا رسول
 كُلَّمَا أحدثوا الذُّنوب كبارًا
 ما بِهِ نَفْسُهُ فيغضب يرضيـ
 إنه الله لا سواه وَدِينُ
 يجد الناس وَالمقادير فيه
 ما زكا سابقُ من الرُّسل إلا
 جاء عُمُه يَقول أترضى
 وَيَصُبُّوا عليك من صفوة الما
 قال يا عم ما بُعثت لدنيا
 لو أتوني بالنَّيرين لأعرضـ
 إن يشيروا بما علمت فإنني
 دون هذا دمي يراق وَنَفْسِي

المطعم بن عديّ

خرج الرسول الكريم من مكة إلى الطائف بعد موت عمه أبي طالب وتألّب الكفار عليه؛ ليدعو ثقيفًا إلى الإسلام فلقي أذى شديدًا، وبعث إلى المطعم بن عدي يقول: «إني داخل مكة في جوارك»، فأجابه إلى ذلك، وكان يلبس السلاح هو وبنوه يحرسون النبي ﷺ في طوافه بالبيت، وبقي المطعم بن عدي كافرًا إلى أن مات، وقد قال النبي ﷺ في أسارى بدر: «لو كان المطعم بن عدي حيًا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له»:

ما رأينا كالمطعم بن عدي	جافيًا واصلًا هيوّبًا جسورا
أثر الكفر ملة وأجار الدُّ	ين مستضعفًا يدور شطيرا
رام بالطائف المقام فأعيا	فانثنى يطلب الأمان حسيरा
وَكَلَّ الله بالنُّبُوَّةِ منه	أسدًا يملأ الفضاء زئيرًا
قائمًا في السِّلَاح يجمع حوليـ	ه شبولًا تحمي الحمى ونمورا
يمنع القوم أن يصدوا رسول	الله عن بيته ويأبى الخفورا
نقض الحلف من قریش فأمسى	أسلمته العرى وكان مريرا
عجبًا للغويّ يعطيك منه	عملًا صالحًا ورأيًا فطيرا
ما رأينا من ظن بالزرع شرًا	فحمى أرضه وصان البذورا
لو جزی الله كافرًا أجر ما أحـ	سسن يومًا لخلته مأجورا

فِي غَارِ حِرَاءَ

يعبد الله عائذًا مستجيرًا
للذي أطلع النجوم سميرًا
ه وَيُزْجِي التَّهْلِيلَ والتَّكْبِيرَا
ت تحيِّي مكانه المهجورَا
صوت داود حين يتلو الزبورَا
نغمًا رائعًا وتمضي زفيرَا
رب فاجعل مدى الخفاء قصيرَا
الله ينهي بركانها أن يفورَا
يد سعد عدوه مدحورَا
وَأتم الدم المراق السطورَا
الله كادت رحي الوغى أن تدورَا
منزلًا كان صالحًا مبرورَا
رونقًا ساطعًا وفاح عبيرَا

ظل مستخفيًا بغار حراء
يسمر القوم في الضلال ويمسي
راكعًا ساجدًا يسبِّح مولا
تهتف الكائنات يأخذها الصو
نال منها محلة لم ينلها
نبرات قدسية تتوالى
ربِّ طال الخفاء والدين جهر
ماجت الأرض حوله وتجلى
أوذي الدين في الشعاب وردت
رقمت في الكتاب أول سطر
أدبر القوم محنقين فلولا
أزمع الضيف أن يؤم سواه
حلَّه الوحي روضة شاع فيها

في دار الأرقم بن أبي الأرقم

ودعا الأرقم استجب تلك داري	تسع الدين محرّجًا محصورا
وإفها واجمع المصلين فيها	عصبة إن أردت أو جمهورا
وأتى ابن الخطاب يؤمن	بالله ويختار دينه المأثورا
قال كلا لن يُعبد الله سرًّا	ويُرى نور دينه مستورا
أخرجوا في حمى الكتاب أسودًا	واطلعوا في سنا النبي بدورا
ذلكم بيتكم فصلوا وطوفوا	لا تخافن مشركًا أو كفورًا

إِرَادَة قتل الرّسول وَهجرته إلى المدينة

لُ يُمِيط الأذى وَيُشْفِي الصدورا
نِيَّ مَهاذِيرَ يَكْثُرُونَ الهريرا
أَرْ بَلَّا وَحاولوا محظورا
من طواغيتهم وأقوى مجيرا
أَمْ عَمَى في عيونهم مذرورا؟
أَنكروها دَهْيَاءَ عزت نظيرا
كُلَّ وجهٍ فَرَدَّهُ معفورا؟
ما لأوصالنا تحسُّ الفتورا؟
قَلَّ عن نفسه وَيُعْمِي البصيرا؟
فسكرنا وما شربنا الخمورا
هُ على غِرَّةٍ لَخَرَّ عقيرا
أَمَلًا ضائِعًا وَجَدًّا عثورا
يا لها حسرة تشب وتورى
فتباركت حافظًا ونصيرا
حق لا خائِفًا ولا مذعورا
وتمنت هضابها أن تمورا
ننعها من ورائه أن تسيرا
ر وتزجي هباءها المنثورا

أَجْمَعُوا أمرهم وقالوا هو القتل
كذَّبوا ما دم الهزير أما
لا ورَبِّي فإنما طلب الكَفَّ
أَنَّ نفس الرسولُ أَمْنَعُ جَارًا
ما لهم؟ هل رمى النبي ترابًا
ذهلوا مدَّةً فلما أفاقوا
ينفضون التراب من مَسِّ منا
أَيْنَ كُنَّا؟ ما بالنا لا نراه؟
أَمِنَ الحادثات ما يُذهل العا
أَيْنَ وَلِي؟ لقد رمانا بسحر
يا له مُصْعَبًا لو أَنَّا أَصَبْنَا
راح في غبطةٍ ورحنا نعاني
خيبة تترك الجوانح حرى
رَبِّ آتِيَّةٍ على القوم نصرًا
أَنْتَ نَجِيَّتِهِ فهاجر يقضي الـ
يوم ضجت جبال مكة ذعرًا
تتنزَّى أَسَى وتمسكها تمـ
هي لولاك لارتمت تقذف الصخـ

هاجها من جوى الفراق وحر الـ
كاد يهفو فزدته منك روحًا
يا لها من محمد نظرات
نظرات شجية لا تعد الـ
قال ما في البلاد أكرم من مكـ
فاسكني يا هموم نفسي إن
إنني قد نذرت لله نفسي
نقطع البيد بعد سحب كرام
كم رشيد آذاه في الله غاو
ضرب السحب في البلاد فأمسوا
في ديار لدى النجاشي غبر
وتولى وللأمور مصير
يوم يمشي الصديق في نوره الزا
ينصر الحق ثائرًا يمنع البا
لا يبالي غيظ القلوب ولا يحـ

وجد ما هاج بيتك المعمورا
فانثنى راجح الجلال وقورا
زخرت رحمة وجاشت سعيرا
أهل أهلاً ولا ترى الدور دورا
ة أرضاً ولا أحب عشيرا
الله أمضى قضاءه المقدورا
والتقي الوفي يقضي النذورا
قطعوا غارب العباب عبورا
زاده طائف الهوى تخسيرا
لا يصيبون صاحباً أو سجيـ
ظل فيها سوادهم مغمورا
يشترى ربه ويرجو المصيرا
هي يوالي رواجه والبكورا
طل أن يستقر أو أن يثورا
فل في الله لائماً أو نذيرا

أقبل القوم يسألون أتحت التـ
نفضوا الهضب والجبال وشقوا الـ
ويح أسماء إذ يجيء أبو جهـ
صاح أسماء أين غاب أبو بكـ
قالت العلم عنده ما عهدنا
فرماها بلطمة تُعرض الأجبـ
قذفت قرطها بعيداً ورضت

رب أم جاور الطريد النسورا
أرض طراً رمالها والصخورا
ل على خدرها المصون مغيرا
ر أجيبى فقد سألنا الخبيرا
أجم الأسد تستشير الخدورا
يال عن ذكرها صوادم صورا
من وجوه النبي وجهاً نضيرا

في الغار الأكبر غار ثور

يُعْط من روعة الجلال القُصورا
ساطعًا نورها ودينًا خطيرا
كان من قبل عنده مذكورا
قام فيه الروح الأمين خفيرا
من وراء العصور تدعو العصورا
حق أعلى يدًا وأقوى ظهيرا
مى تناديك أن أعدي السريرا
رك قيدًا ولا يغادر نيرا
دين بالحق أولًا وأخيرا
فيجيد البناء والتدميرا
لبنى الدهر غيبًا وحضورا
تتلقى النظام والدُستورا
كبر العقل أن يظل أسيرا
ما قضى الله أمره مبتورا
وما كان مسرفًا أو قتورا
أمر فيه وأحكم التدبيرا
تتمنى الفكاك والتحريرا
يتلافى الدُّنى؟ فكنت السفيرا

غارَ ثور أعطاك ربك ما لم
أنت أطلعت للممالك دنيا
صنته من ذخائر الله كنزًا
مخفرُ الحق لاجئًا يتوقى
وقفتُ حوله الشعوب حيارى
يا حيارى الشعوب ويحك إن الـ
لا تخافي فتلك دولته العظـ
جاءك المنقذُ المحرر لا يتـ
ورثَ المالكينَ والرُّسلَ الها
الحكيم الذي يهدُّ ويبني
والزعيم الذي يسن ويقتضي
تترامى الأجيال بين يديه
ليس في الناس سادةٌ وعبيدُ
خُلِقَ الكلُّ في الحقوق سواءُ
كذب الأقوياء ما ظلم الله
دَبَّرَ الملك للجميع فسوى الـ
يا نصير الضعافِ حرر نفوسًا
ضجت الكائنات هل من سفيرٍ

رب آتيتنا هداك وأنزلْ — ست علينا كتابك المسطورا
فلك الحمد وافراً مستمراً — ولك الفضل باقياً مذكورا

أبو بكر وَحَيَّة الغار

صاحب القائم المتوج بالفر	قان بوركتَ صاحبًا ووزيرا
أنت واليتة وعاديت فيه	من توخى الذى وأبدى النفورا
أولم تتخذ أباك عدوًا	وتذقه الهوان كيما يحورا؟
إذا يقول النبي لا تضرب الشـ	خ وإن سبني ودعه قريرا
إنما نلت بالمساء منه	والذا مدبرًا وشيخًا ضريرا

* * *

ليت شعري أصبت حية واد	تنفث السم أم أصبت حريرا؟
نفثت سمها فما هز رضوى	من وقار ولا استخف ثبيرا
خفت أن توقظ النبي فما ير	ضيك أن تضعف القوى أو تخورا
أكرم الله ركبتك لقد أعـ	طاك سبحانه فأعطى شكورا
أي رأس حملت يا حامل الإيبـ	حان سمًا والبرَّ صفوًا طهورا؟

سُرَاقَةُ بِنِ مَالِكٍ يُرِيدُ قَتْلَ النَّبِيِّ

جعل كفار قريش لمن يقتل النبي ﷺ أو يأسره مئة ناقة، فذهب سراقة في أثره، قال سراقة — بعد أن ساخت قوائم فرسه مرارًا، وبعد أن اعتذر إلى النبي الكريم: يا محمد، إني لأعلم أنه سيظهر أمرك في العالم وتملك رقاب الناس، فعاهدني على أن تكرمني إذا جئتك يوم ملكك، فأمر عامر بن فهيرة — وقيل أبا بكر — فكتب له العهد الذي طلب — أسلم بالجعرانة (رضي الله عنه)؛ قال له النبي عند منصرفه: «كيف بك يا سراقة إذا تسوّرت بسواري كسرى»، وقد ألبسه عمر إياهما في خلافته لما فُتحت بلاد فارس.

هل ترى الأمر هيناً ميسورا؟	إتق الله يا سراقة وانظر
ض وتلوي عنانه مسحورا؟	أم تظن الجواد تمسكه الأر
يمسك الشر راكضاً مستطيرا؟	أم هو الله ذو الجلال رماه
ه خسيساً من الجزاء حقيرا	غرك القوم فانطلقت ترجيـ
ك الرسول الأمين فضلاً كبيراً	وضح الحق فاعتذرت وأولا
بسواري كسرى فديت البشيرا	فزت بالعهد فاغتنمه وأبشر
جللاً فابتغوا سواي أجيرا	قل لأهل النياق أوتيت أجري
مثل من رام ناقة أو بغيراً	ليس من رام رفعة أو سناء

بُرَيْدَةَ بْنِ الْحَصِيبِ وَأَصْحَابِهِ يَأْتُونَ بَعْدَهُ

وَأَتَى بَعْدَهُ بَرِيدَةُ يَرْجُو
يَرْكَبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَيَطْوِي الْـ
فِي رَجَالٍ مِنْ صَحْبِهِ زَعَمُوا الْـ
آثَرُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَفَازُوا
أَسْلَمُوا وَارْتَأَى بَرِيدَةُ رَأْيًا
قَالَ مَا يَنْبَغِي لِمِثْلِ رَسُولٍ
كَيْفَ تَمْشِي بِلَا لَوَاءٍ وَقَدْ أُو
لَيْسَ لِي مِنْ عِمَامَتِي وَمِنْ الرَّمِ
اخْفَقِي يَا عِمَامَتِي وَاعْلُ يَا رَمِ
وَمَشَى بِاللَّوَاءِ بَيْنَ يَدَيْهِ
أَنْ يَنَالَ الْغَنَى وَكَانَ فَقِيرًا
سَبِيدٌ غَبْرًا سَهْلُهَا وَالْوَعُورَا
إِغْرَاءَ نَصْحًا وَاسْتَحْسَنُوا التَّغْيِيرَا
وَارْتَضَوْهَا تِجَارَةً لَنْ تَبُورَا
أَلْمَعِيًّا وَكَانَ حَرًّا غَيُورَا
اللَّهُ أَنْ يَأْلُو الْبِلَادَ ظُهُورَا
تَيْتَ مِنْ رَبِّكَ الْمَقَامَ الْأَثِيرَا؟
حَ عَذِيرَ إِذَا التَّمَسْتَ عَذِيرَا
حَيَّ فَقَدْ خَفْتَ أَنْ تَعُودَ كَسِيرَا
يَتَلَقَى السَّنَا الْبَهِيَّ فُخُورَا

في خيمة أمّ معبد

ما حديثٌ لأمّ معبدَ تستَسْـ
سائل الشاة كيف درّت وكانت
بركاتُ السّمح المؤمّل يقري
مظهر الحق للنبوّة سبحا

بقية ظمأى النفوس عذباً نميرا؟
كزّة الضرع لا ترجّي الدُّورا؟
أمّ الأرض زائراً أو مزورا
نك ربّاً فرد الجلال قديرا

فِي قُبَاء

جِيئَةَ الرُّوحِ تَبْعَثُ الْمَقْبُورَا
لِلْبَرَايَا صَنِيْعَكَ الْمَشْكُورَا
أَنْ يَمِيلَ الْهَوَى بِهَا أَوْ يَجُورَا
أَوْ سِيَاحُ يَذُودُ عَنْهَا الشُّرُورَا
وَقَضَاهَا أَرْوَمَةً وَجُذُورَا
جَارُ تَوْهِي الْقَوَى وَتَحْنِي الظُّهُورَا
أَرَأَيْتَ الْمَشِيْعَ الشَّمْمِيرَا؟
مَ صَعُودًا وَيَزْدَهِيهِمْ سُئُورَا؟
فِي يَدِ اللَّهِ وَالْهَزْبِ الْهَصُورَا؟
بَيْنَ يَغْيَرِ الْجَلَى وَيُغْيِرِ النُّحُورَا
رَاحَ يَبْنِي خُورْنَقًا أَوْ سَدِيرَا
وَيَرَى الطَّيْرَ فِي الْبِنَاءِ وَكُورَا

يَا حَيَاةَ النُّفُوسِ جِئْتَ قُبَاءً
إِرْفَعِ الْمَسْجِدَ الْمُبَارَكَ وَاصْنَعْ
مَعْقِلُ يَعْصِمِ النُّفُوسَ وَيَأْبَى
أَوْصَهَا بِالصَّلَاةِ فَهِيَ عِلَاجُ
غَرَسِ اللَّهِ دُوحَةَ الدِّينِ قَدَمًا
لَوْ أَرَدْتَ النَّضَارَ لَمْ تَحْمِلِ الْأَحْ
أَرَأَيْتَ ابْنَ يَاسِرٍ كَيْفَ يَبْنِي؟
أَرَأَيْتَ الْبِنَاءَ يَسْتَبِقُ الْقَوَى
أَرَأَيْتَ الْفَحْلَ الْأَبْيَّ جَنِيْبًا
يَنْصَبُ النَّحْرَ لِلْحَجَارَةِ وَالطِّ
مَا بَنَى مِثْلَهُ عَلَى الدَّهْرِ غُرٌّ
يَجِدُ الْحَقَّ فِي الْبِنَاءِ حَصُونًا

حَيُّ بَنِي عَمْرٍو بن عَوْف

نزل النبي ﷺ في قباء على كلثوم بن الهرم كبير بني عمرو بن عوف، وهم من الأوس، وكان الموضع الذي بني فيه المسجد مربداً له.

رو بن عوفٍ ولا يزل ممطورا
فس والدُّور نعمة وحبورا
ل لك القوم في الضُّيوف نظيرا
أَمَلًا أزمعت عَنَّا المسيرا؟
ففيت نفسي بغيرها مأمورا
كيف تلقى البلى وتشكو الدُّثورا
فدعوا رحلها وخلُّوا الجريرا
آل عوفٍ كبيركم والصَّغيرا

بورك الحيُّ حيُّكم يا بني عم
كنت فيه الضيف الذي يغمر الأند
ما رأَت مثلك الديار ولا حيَّ
كرهوا أن تبين عنهم فقالوا
قلت بل يثرب انتويت وما أَل
قريةً تأكل القرى وتريها
طربت ناقتي إلى لابتيتها
رحمةُ الله والسَّلامُ عليكم

مِن قِبَاءِ إِلَى الْمَدِينَةِ

يكفيك ما أشواقها ما تحمل
يهفو إليك بها الحنين الأطول
تأبى الكرى وجوانحُ تتململ
أفما يطالعنا النبيُّ المرسل؟
يزجي البشائر وجهك المتهلل
ولصعنك الأوفى أجلُّ وأفضل
وقلوبهم فرحاً أخفُّ وأعجل
إلا إليك وما لها متحول
أخرى بمكة دورها ما تؤهل
عجلاً وهذا من أمامك ينسل
يردون نورك حين فاض المنهل
كلُّ المواطن للنُّبوة منزل
نسبٌ يعمُّ المسلمين ويشمل

أقبل فتلك ديار يثرب تقبل
طال التَّلَوُّم والقلوب خوافقُ
القوم مذ فارقت مَكَّةَ أعينُ
يتطلَّعون إلى الفجاجِ وقولُهم
أقبلت في بيض الثَّيابِ مبارِكًا
يا طيب ما صنع الزُّبير وطلحةُ
خفَّ الرجال إليك يهتف جمعهم
هي في ركابك ما بها من حاجةٍ
هجرت منازلها بيثرب وانتحت
وفدان هذا من ورائك يرتمي
انظر بني النَّجَّار حولك عكَّفاً
لم ينزلوك على الخئولة وحدها
نزلوا على الإسلام عندك إنَّه

* * *

أهي الأناشيد الحسان ترتل؟
وتردَّت أنفاسها تتسلسل
وكأنما في كلِّ دارٍ بلبل

ما للديار تهزُّها نشواتها؟
رفَّت نضارتها وطاب أريجها
فكأنما في كلِّ مغنى روضةُ

هُنَّ العذارى المؤمنات أقمنه
 في موكبٍ لله أشرق نوره
 جمع النّبیین الكرام فأخذ
 يمشي به الرّوح الأمين مسلّمًا
 إليه بني النّجار إنّ محمّدًا
 خلّوا سبيل الله ما لرسوله
 ذهبت مطيّته فقل لها قفي
 النّاس في طلب الحياة وما هنا
 أعطي أبا أيّوب رحلك واحمدي
 ودعي الرّمّام لأسعد بن زُرارة
 لَمّا حملت الحقّ أجمع والهدى
 يتنافس الأنصار فيك وما دروا
 هي كيمياء الحقّ لولا أنّها
 دنيا من العجب العجائب ودولة
 رأيت أهل الكهف لولا سرّها
 شكرًا أبا أيّوب فزت بنعمة
 ما مثّل رفدك في المواطن كلها
 لله دارك من محلّة مؤمن
 نزل النّبّي بها فحلّ فناءها
 مجدّ النّبوة في ضيافة ماجد
 وسعت جفان المطعّمين جفانه
 أصفى على السّعدين بُرد سماحة
 جذلان محتفلًا يقربّ منهما
 جعل القرى سببًا إلى رضوانه

عيدًا تحيّيه الملائك من عل
 فيه وقام جلاله يتمثّل
 بيد الإمام وعائدٌ يتوسّل
 وجبينه بفم النّبّي مقبّل
 لأشدّ حبًّا للتي هي أجمل
 عمّا أعدّ من المنازل معدل
 هذا مناخك لست ممّن يجهل
 سرّ لها خافٍ وكنزٌ مقفل
 من أمر ربّك ما يجيء ويفعل
 فإليه بعد الله أمرك يوكل
 أمسى بحبل الله حبلك يوصل
 لمن المفاز وأيّهم هو أوّل
 تهدي العقول لخلّتها لا تعقل
 يهوي النّضار بها ويعلو الجندل
 هل كان يكرم كلبهم ويُبجلّ؟
 فيها لنفسك ما تريد وتسال
 رفدٌ يضاعف أو عطاءٌ يجزل
 نزل الحمى فيها وحلّ المعقل
 مجدّ يقيم وسؤدّد ما يرحل
 سمح القرى يسدي الجزيل ويبدل
 كرمًا فما يأبى ولا هي تبخل
 فاهتزّ جوّدهما وأقبل يرفل
 لله ما يرضى وما يتقبّل
 والبرّ والإيمان فيما يجعل

جفنة أمّ زيد بن ثابت

كان أول طعام أهدي إلى النبي ﷺ في المدينة — قال زيد له: هذه قصعة أُمّي؛ فقال: «بارك الله فيها».

يا زيد من صنع الثريد وما عسى	ترجو بما حملت يداك وتأمل؟
بعثتك أمك تبتغي في دينها	ما يبتغي ذو الهمة المتعمّل
شكر النبي لها وأطلق دعوة	صعدت كما شقّ الفضاء مجلجل
أطيب بتلك هديّة يسعى بها	في الله ساع بالجلال مظلل
لو أنّها وزنت بدنيا قيصر	رجحت وأين من الخضمّ الجدول؟
هي إن عييت بوصفها ما يجتنى	من نعمة الإسلام لا ما يؤكل
ما في جهادك أمّ زيد ريبة	نار الوغى احتدمت وأنت الجحفل
شرع سراويل الحروب وما اكتسى	من سابغات الخير من يتسربل

المهاجرون في ضيافة الأنصار

نادٍ يضمُّ النابغين ومحفل
يسمُّ القوافيَ وسمه يتنخل
منها رواكُدُ ما تريم وجُفَل
والسباحاتُ السائحاتُ الجُولُ
تعنى بدنيا الجاهلين وتشغل
وتحلُّ بالوادي الذي لا يحل
منه إذا ادَّعت المصاقع مقول
ونصرتم الحقَّ الذي لا يُخذل
لمهاجرين هم الفريق الأمثل
مجدُّ لكم في المسلمين مؤثِّل
نبأ يذاع ولا حديثٌ ينقل
وكأنهم بديارهم لم يرحلوا
والحبُّ يرعى والمروءة تكفل
والشرك يصعق والضلالة تذهل
والجاهليَّة في المآتم تعول
فلسوف تنكب بالذي هو أهول
أنَّ البصائر والعقول تعطلُّ؟
ودعي الكفاح فما لجند موئل

يا معشر الأنصارِ هل لي عندكم
عندي لشاعركم تحيةٌ شاعر
تنميه في دُنيا البيانِ روائعُ
الثاوياتُ على هدى من ربها
شُغلتُ بها الدُّنيا وما هي بالتي
تأبى القرارَ بكلِّ وادٍ ممحلٍ
حسَّانُ أبلغُ من يقول وليس لي
أنتم قضيتم للنَّبِيِّ زمامه
وصنعتم الصنعَ الجميلَ كرامةً
فعرفتُ موضعكم وكيف سما بكم
وأذعته نبأ لكم ما مثله
القوم قوم الله ملء دياركم
الدين يعطف والسماحة تحتفي
والله يشكر والنَّبِيُّ بغبطة
دين الهدى والحقُّ في أعراسه
إن هالها الحدث الذي نكبت به
زولي معطلة العقول فمن قضى
ألقي السِّلاح فما لخصمك دافعُ

أزرى بك الفشل المبرح وارتمى	بحماتك القدر الذي لا يفشل
السَّهل يصعب إن تواكلت القوى	والصعب إن مضت العزائم يسهل
أرسي المعافل مؤمنٌ لا نفسه	تهفو ولا إيمانه يتزلزل
هذا النَّذير فإن أبيت سوى الذي	فالأرض بالدم لا محالة تغسل
علقت بمقتلها السُّهام وما عسى	يبقى الرَّميُّ إذا أصيب المقتل؟
الله أكبر كلُّ زور ينقضي	مرَّ السَّحاب وكلُّ إفك يبطل

مسجد المدينة

ومحمد الباني يجدُ ويعمل
عليا المراتب من يكلُّ ويكسل
فلما يحمّل ذو التّباعَة أثقل
أدنى أناملها السماك الأعزل
حتى تمنى لو يكونك يذبل
لا يشتكي نصبًا ولا يتمهل
بالتّرب يغشى وجهه ومكلّل
سام له ظهرٌ أشمٌ وكلّكل
لو كان يعرفُ حكمها المتمثل
ثم انثنى متلطّفًا يتنصّل
من ذي محافظة يلوم ويعذل
حنقًا يجيش كما يجيش الرجل
من لا يحيد عن الصّراب وينكل
وأخوك في جد الوغى لا يهزل
صونوا الحمى لهو الأشدُّ الأبسل
ما ليس يعجز أن ينال المعول

المسجد الثّاني يقام بيثرِب
عمار أنت لها وليس ببالغ
إن يثقل العبء الذي حملته
ماذا بلغت من السّناء على يد
مسحّته ظهرًا منك طال مُنيفه
هذا رسول الله في أصحابه
يأتي ويذهب بينهم فملثم
من كلّ قوَام على أثقاله
ما كان أحسنها مقالة راجز
هتف الإمام بها فراح يعيدها
عمار يا لك إذ تلام ويا له
هجت ابن مطعون فأقبل غاضبًا
ولقد يحيد عن التّراب إناقةً
مهلاً أبا اليقظان قرنك باسلٌ
ولئن أهاب الله يال محمد
السّيف يعجز أن ينال غراره

أبو بكر يُؤدِّي ثمن الحائِطِ الَّذي أُدخِل في المسجد

أراد النبي ﷺ أن يضم إلى المسجد حائطًا ليتيمين من الأنصار كانا في كفالة أسعد بن زرارة — وقيل معاذ بن عفراء — وهما سهل وسهيل، وقد عرض أبو أيوب الأنصاري أن يؤدي الثمن إليهما فأبى النبي، وابتاع الحائط بعشرة دنانير أُدِّيت من مال أبي بكر الصديق.

وقال الغلامان: نهبه لك يا رسول الله، فأبى وأراد رجال من الأنصار أن يعوضوهما عن الحائط فلم يكن سوى أداء الثمن.

وجاء أنه ﷺ وضع اللبنة الأولى في المسجد، ثم دعا أبا بكر فوضع لبنته، وهكذا فعل عمر وعثمان بن عفان، وقيل إن المراد بذلك ترتيب الخلافة.

إِيَّاهُ أَبَا بَكْرٍ ظَفَرَتْ بِصَفْقَةٍ	شَتَّى مَغَانِمَهَا لِمَنْ يَتَأَمَّلُ
الْقَوْمِ عِنْدَ إِبَائِهِمْ وَسَخَائِهِمْ	لَوْ يَبْذُلُونَ نَفُوسَهُمْ لَمْ يَحْفَلُوا
لَا يَقْبَلُونَ لِحَائِطٍ ثَمَنًا وَلَا	يَبْغُونَهَا دَنِيًّا تَذَمُّ وَتُرْذَلُ
اللَّهُ يَطْلُبُهُ لِنَصْرَةِ دِينِهِ	وَالدِّينَ هُمْ أَنْصَارُهُ مَا بَدَلُوا
قَالُوا أَمِنَّا يَا مُحَمَّدُ يُبْتَغَى	مَا لَيْسَ يَخْلُقُ بِالْأَبَاءِ وَيَجْمَلُ؟
إِنَّا لَعَمْرُ اللَّهِ نَعْرِفُ حَقَّهُ	وَنَعَزُّ مَنْتَهُ الَّتِي نَتَمَلَّلُ
نُعْطِي الْيَتِيمِينَ الْكَفَاءَ وَإِنْ هُمَا	أَبِيَا وَنَتَّبَعُ الَّتِي هِيَ أَنْبَلُ
خَذْ مَا أَدْرَتْ فَلَنْ نَبِيعَكَ مَسْجِدًا	يَدْعُوهُ فِيهِ مَكْبَرٌ وَمَهْلَلُ
هُوَ رَبُّنَا إِنْ نَالْنَا رِضْوَانَهُ	فَلَنَا الْمَثُوبَةُ وَالْجَزَاءُ الْأَكْمَلُ

إِيَّاهُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلَكَ مَطْرُقُ	يَأْبَى وَأَنْتَ بِمَا يَرِيدُ مَوْكَلُ
لَا بَدَّ مَنْ ثَمَنٌ يَكُونُ أَدَاؤُهُ	حَكَمًا يَطَاعُ وَشَرْعًا مَا تَهْمَلُ
لَوْلَا الرَّسُولُ وَمَا يَعْلَمُ قَوْمَهُ	جَهْلُ الْمَحْجَةِ ظَالِمٌ لَا يَعْدِلُ
وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَمَا لِقَضَائِهِ	رَدُّ وَلَا فِي غَيْرِهِ مَتَعَلِّلُ
الْحَقُّ مَا شَرَعَ النَّبِيُّ وَبَاطِلُ	مَا يَدَّعِي الْمَرْتَابَ وَالْمَتَأَوَّلُ
لَا بَدَّ مَنْ ثَمَنٌ وَلَسْتُ بِوَاجِدِ	فِي الْقَوْمِ مَنْ يَضَحُّ الصَّوَابَ فَيَغْفَلُ
أَمْرَ الرَّسُولِ بِهِ فَدُونِكَ أَذُّهُ	وَلَأَنْتَ صَاحِبُهُ الْكَرِيمُ الْمَفْضَلُ
يَا بَاذِلَ الْأَمْوَالِ نَلْتَ بِبِذْلِهَا	مَا لَمْ يَنْلُ فِي الْمُسْلِمِينَ مَمْلُوكُ
أَتَبِعْتَ نَفْسَكَ مَا مَلَكَتْ فَمَهْجَةُ	تَنْهَالُ طَيِّعَةً وَكَفُّ تَهْطَلُ

بلال يُؤذّن للصلاة

لسواك إذ تدعو الجموع فتقبل
لك ما يحبُّ المؤمن المتوكِّل
تبغي التي اتَّبَع الغواة الميل
يرجو النجاة على سواه معول
وردُّ من الموت الذُّعاف مثمِّل؟
من صخرة تلقى وحبل يفتل
تحت العجاجة والرِّماح الذُّبَل
ورست جوانبه فما يتقلقل
وانساب في أحشائها يتغلغل
وكأنما زعر الحمام أجدل

أذّن بلال لك الولاية لم تُتح
الله ألبسك الكرامة واصطفى
يا طول ما عذِّبت فيه فلم تمل
أحد إلهك ما كذبت وما لمن
أرني يديك أفيهما لأُميَّة
للسَّيف سيف الله أهول موقعا
لك في غد دمه إذا التقت الطُّبى
أذّن فإنَّ الدِّين قام عموده
هبط الجزيرة فاحتوى أطرافها
فكأنما طرد السَّوائم ضيغم

* * *

لأجل ما تصف الصُّفوف المثَّل
يخشى الإله وساجد متبتِّل
وخذوا بما شرع الكتاب المنزل
منه بنور ساطع ما يأفل
يعلو وجد ذوي العماية يسفل
يبني وهذا ساقطٌ يتهيل؟

خفَّ الرجال إلى الصَّلَاة وإنَّها
عنت الوجوه فراكع متخشع
صلُّوا بني الإسلام خلف نبيكم
الله أيَّدكم به وأمدَّكم
آثرتم السنن السوى فجُدُّكم
هل يستوي الجمعان هذا صاعدٌ

يَتَأَلَّفُونَ عَلَى الْهَوَىٰ وَقُلُوبُهُمْ	شَتَّى يَظِلُّ شَعَاعُهَا يَتَزَيَّلُ
نَصْرٌ عَلَىٰ نَصْرٍ وَفَتْحٌ بَعْدَهُ	فَتْحٌ يَغِيظُ الْمُشْرِكِينَ مُحْجَلٌ
إِنَّ أَمْرًا جَمَحَتْ بِهِ أَهْوَاؤُهُ	مَنْ بَعْدَ مَا وَضَحَ الْهَدَىٰ لِمُضِلِّ
الْحَقُّ بَابُ اللَّهِ هَلْ مِنْ دَاخِلِ	طُوبَىٰ لِمَنْ يَبْغِي الْفَلَاحَ فَيَدْخُلُ

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

كانت المؤاخاة بعد بناء مسجد المدينة — وقيل وهو يُبنى — وكان المراد منها إزالة الوحشة وشد الأزر في سبيل الدعوة الإسلامية، وكانت توجب أن يرث كل أخ أخاه دون ذوي الأرحام، فلما عز الإسلام وقويت شوكته أبطل هذا الحكم بقوله (تعالى): ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾، وكان نزول هذه الآية الشريفة في وقعة بدر، ولم يكن قد عمل بهذا الحكم قبل ذلك؛ وكانت المؤاخاة بعد الهجرة بخمسة أشهر، وقيل غير هذا.

عن زيد بن أبي أوفى قال: دخلت على رسول الله ﷺ في مسجد المدينة، فجعل يقول: «أين فلان، أين فلان؟». فلم يزل يتفقدهم ويبعث إليهم حتى اجتمعوا عنده فقال: «إني محدثكم بحديث فاحفظوه وعوه وحدّثوا به من بعدكم، إن الله (تعالى) اصطفى من خلقه خلقاً»، ثم قرأ: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾، قال: «وإني أصطفي منكم من أحب أن أصطفيه وأوآخي بينكم كما آخى الله (تعالى) بين ملائكته؛ قم يا أبا بكر»، فقام فجثا بين يديه الشريفتين؛ فقال: «إن لك عندي يدًا الله يجزيك بها، ولو كنت متخذًا خليلاً لاتخذتك، فأنت مني بمنزلة قميصي من جسدي» وحرك قميصه بيده، ثم قال: «ادن يا عمر»؛ فدنا فقال: «قد كنت شديد البأس علينا يا أبا حفص فدعوت الله أن يعز بك الدين أو بأبي جهل، ففعل الله ذلك بك، وكنت أحبهما إلى الله، فأنت معي في الجنة ثالث ثلاثة من هذه الأمة»، وآخى بين المهاجرين والأنصار فجعلهم أخوين أخوين. وكانوا خمسين من هؤلاء ومثلهم من هؤلاء، وقيل: كانوا تسعين؛ وكانت المؤاخاة في دار أنس بن مالك، وهي دار أبي طلحة زوج أم أنس، واسمه زيد بن سهل.

فلا محالة من حبٍّ وإيثار
حيّيت من أسرة بوركت من دار
يدعو البنين فلبّوا غير أغمار
واستحصد الحبل من شدِّ وإمرار
يحمي الذمار ويرعى حرمة الجار
وليس يعطيه إن أعطى بمقدار
ويبذل المال في يسر وإعسار
في صورة الفرد فانظر قدرة الباري
يا عصابة الله من صحبٍ وأنصار
بين القبائل دين الجهل والعار
دنيا صفت بعد أقذاءٍ وأكدار
تشقى النفوس بداءٍ منه ضرار
يومي إليكم بآمالٍ وأوطار
تطغي على أمم شتى وأقطار؟
ولن أسالم منهم كلَّ جبّار
رمى الضعاف بأنيابٍ وأظفار؟
أقطارها بين آثامٍ وأوزار
إذا تكشّف عن وجهٍ لها عار؟
تستفرغُ الكبر من هامٍ وأبصار
هل يخلقُ الله قومًا غير أحرار؟
بواحدٍ غالب السُلطان قهّار؟
مبثوثةً في جناحي عاصفٍ ناز
يهدي الحيارى شعاع الكوكب الساري
تهدي الغويّ وتنهى كلَّ كفار
ماضي الرسالة في الهامات بتار
لمستخفٍّ بعهد الله غدار؟
فما المقام على كفر وإنكار؟

هي الأواصرُ أدناها الدّم الجاري
الأُسرة اجتمعت في الدّار واحدة
مشى بها من رسول الله خير أب
تأكد العهد مما ضمَّ ألفتهم
كلُّ له من سرّاة المسلمين أخ
يطوف منه بحقٍّ ليس يمنعه
يجود بالدم والأجال زاهلة
هم الجماعة إلّا أنهم برزوا
صاح النبيّ بهم كونوا سواسيةً
هذا هو الدّين لا ما هاج من فتنٍ
ردوا الحياة فما أشهى مواردها
الجاهليّة سُمّ ناقعٌ وأذى
تأهّبوا إنّ ديننا قام قائمه
أما ترون رياح الشّرك عاصفةً
لن أترك النّاس فوضى في عقائدهم
أكلّما ملك الأقوام مالُكهم
الشّرُّ غطّى أديم الأرض فارتكست
أخفى محاسنها الكبرى فكيف بكم
لأنزلنّ ذوي الطغيان منزلةً
ظنّوا الضّعاف عبيدًا بئس ما زعموا
ما غرّهم إذ أطاعوا أمر جاهلهم
يرمي العروش إذا استعصت ويبعثها
بعثت بالحقّ يهدي الجامحين كما
أدعو إلى الله بالآيات واضحة
فمن أبى فدعائي كلُّ ذي شطب
الله أكبر هل في الحقّ معتبة
ألم يكن أخذ الميثاق من قدم

إن الألى اتخذوا الأصنام آلهةً
يستكبرون على من لا شريك له
راحوا يجلونها من سوء ما اعتقدوا
لكل قوم إله يؤمنون به
النار أعظم سلطاناً ومقدرة
سبحانه من إله شأنه جلل
لأكشفنَّ عن الأبصار إذ عميت
ما للسراحين بد من مصارعها
ضموا القوى إنها دنيا الجهاد بدت
لا بدَّ من غارة للحقِّ باسلة
خير الذخائر أبقاها ولن تجدوا
لا تنقضوا العهد إن الله منزله
قالوا عليك صلاة الله إنَّ بنا
آخيت بين رجال يصدقون إذا
جنود ربك إن قلت اعصفوا عصفوا
من كلِّ منغمس في النَّفس مرتجس

على شفا جرف من أمرهم هار
ويسجدون على هون لأحجار
والله أولى بإجلال وإكبار
ما يبغي الله من إيمان فجار؟
في رأي عبادها أم خالق النار؟
يهدي النَّفوس بآيات وآثار
ما أسدل الجهل من حجب وأستار
إذا انتضت سطوات الضيغم الضاري
أشراطها وتراءى زندها الواري
وجحفل من جنود الله جرَّار
كالعهد يرعاه أخيار لأخيار
على لسان رسول منه مختار
ما الله يعلم من عزم وإصرار
زلت قوى كل خداع وختار
يرمون في الحرب إعصاراً بإعصار
وكلُّ منبجس بالبأس فؤار

اليهود والمنافقون

لما آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار دعا اليهود وصالحهم على ترك الحرب والأذى؛ لا يحاربهم ولا يؤذيهم، ولا يعينون عليه أحدًا، وإن دهمه العدو ينصرونه، ثم أقرهم على دينهم وأموالهم، فلما انتشر الإسلام كرهوا ذلك فانتقضوا، وفي ذلك نزل قوله (تعالى): ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾، ولما نزلت: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا﴾ الآية، قال قائلهم — حيي بن أخطب في رواية: يستقرضنا ربنا، وإنما يستقرض الفقير الغني، فأنزل الله (تعالى): ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ الآية، وكانوا يسألون النبي عن الروح ويقولون له: مم خلق الله؟ انسب لنا ربك! يريدون تعجيزه وإثارتة.

وكان من عظمائهم وأخبارهم حيي، وأبو ياسر، وجدي بنو أخطب، وسلام بن مشكم، وكنانة بن الربيع، وكعب بن الأشرف، وعبد الله بن سوريا، ولبيد بن الأعصم، وشاس بن قيس، وعبد الله بن سلام؛ وكان حيي بن أخطب عظيم بني النضير، وهو أبو السيدة صفية أم المؤمنين (رضي الله عنها)، كانت من سبايا النبي في غزوة خيبر بعد قتل أبيها وزوجها كنانة بن الربيع، جعلها النبي عند أم سليم — أم أنس — حتى اهتدت وأسلمت، ثم أعتقها وتزوجها، وقد انضم المنافقون من أهل المدينة إلى اليهود، وكان عبد الله بن أبي بن سلول كبيرهم، كان من أعظم أشراف أهل المدينة، وكانوا يريدون تتويجه ملكًا عليهم، فلما ظهر الحق على يد الرسول الكريم خاب أمله، وعظم غيظه وحقده. والمنافقون قوم من اليهود دخلوا في الإسلام لما قوي أمره خشية القتل، وبقي هواهم مع قومهم.

وقالوا استقمنا والهوى متجانف
يرام ولابغي عن الحق صارف
فإن غدروا فالسيف وإف مساعف
ولا يزدهيه باطل منه زائف
ومن نوره في ظلمة الرأي كاشف
رجالاً لهم في السلم رأي مخالف
هو الموت أو عايد من الخطب جارف
وأعول محزون وأجفل خائف
فما عذر من يأبى الهدى وهو عارف؟
كفى القوم علماً ما تضم المصاحف
ركام على أبصارهم متكاثف
إلى الأمد الأقصى هوى متقاذف
وطاف به من نشوة الملك طائف
له قدر ألقى به وهو راسف
ولا مثله في مشهد الحق آسف
من الوهم تذروها الرياح العواصف
عداوة قوم شرهم متضاعف
ويأكل من أموالهم ما يصادف
كظنك بالخنزير واتاه عالف
إذا اضطربت منه الشوى والروانف
بأمثالها أحبارهم والأساقف
يريدون كعباً وهو خزيان كاسف
بصادعة تنشق منها اللفافف
رويداً أخا هارون تلك الطرائف
تأمل لبيد أي مهوى تشارف
تطير لذكرها الحلوم الرواجف
وقد وشجت فيه العروق العواطف

دعا فأجابوا والقلوب صوادف
مضى العهد لا حرب تقام ولا أذى
لهم دمهم والدين والمال ما وفوا
سياسة من لا يخدع القول رأيه
رسول له من حكمة الوحي عاصم
يسالم من أحبارهم وسراتهم
يغيظهم الإسلام حتى كأنما
إذا هتف الداعي به اهتاج ناظم
إذا ما تردى في الضلالة جاهل
يقولون قول الزور لا علم عندنا
لهم من سنا التوراة هادٍ وللعمرى
دنا الحق من بهتانهم ورمى بهم
عنا ابن أبي من هوى التاج لاجع
جرى راکضاً ملء العنانين فانتحى
فما مثله في مشهد الإفك فارح
ظنون يعفيها اليقين ودولة
يهيب بأضغان اليهود يشبها
وما برح الحبر السمين يغرمهم
أعدوا له المرعى فراح مهبللاً
ينوء بجنبه ويرتج ماشياً
رماهم بها عمياء لم يرم معشراً
فقالوا غوى ابن الصلت وانفض جمعهم
رمى الصادق الهادي لفيفة نفسه
فأما لبيد فاستعان بسحره
أعندك أن السحر لله غالب
وشاس بن قيس هاجها جاهلية
يقلب بين الأوس والخزرج الثرى

رقاق المواضي والرماح الرواعف
وراجعهم من عازب الرأي سالف
نبيٍّ يردُّ الشرَّ والشرُّ زاحف
يعانق بعضًا والدموع ذوارف
وينظر ما تأتي النفوس العوازف
وللؤم منهم ما تضم الملاحف
تجلُّ مساعيه وتعلو المواقف
ولا ندع الأمر الذي هو آلف
هي الحق قالوا عاثر الرأي عاسف
أبوه أبو سوءٍ على الشرِّ عاكف
فماذا له إن أخطأ الرشد واصف؟
تتابع شؤبوب من الذم واكف
أعند رسول الله تلقى المآزف
يسود ويستعلي الحليم الملاطف
فيا ويحه من مؤمن ما يقارف؟
أهذا الذي يجني العقيد المحالف؟
ولا ترعوي أحقادهم والكتائف
يقولون والفرقان بالحق هاتف
تلقفها من صادق الوحي خاطف
إلى كل ذي مشنوءةٍ هو دالف
وكالسم منه ما تواري الزخارف
وأهون شيء أن تدب الزحالف
من العدل يومًا لا محالة آزف
معاطب من أخلاقهم ومتالف
من البأس إلا ما تظن السلاحف؟
ولن يثبت البنيان والله ناسف
فلا العيش فياح ولا الظل وارف

يذگړهم يوم البعاث وما جنت
غلت نخوات القوم ممّا استفزّهم
وخفوا يريدون القتال فردّهم
دعاهم إلى الحسنی فأقبل بعضهم
أتى ابن سلام يؤثر الحقّ ملة
تسلل يستخفي وأقبل قومه
فقبل اشهدوا قالوا عرفناه سيّدًا
هو المرء لا نأبى من الدين ما ارتضى
فلما رأوه خارجًا ينطق التي
ظننا به خيرًا ولا خير في امرئ
ظلمناه لم يُوصف بما هو أهله
تَرَامُوا بِالْقَابِ إِذَا مَا تَتَابَعْتَ
أَهَابَ أَبُو أَيُّوبَ رَدُوا حُلُومَكُمْ
وَقَالَ الرَّسُولُ اسْتَشْعِرُوا الْحِلْمَ إِنَّمَا
أَتَوَذُّونَ عَبْدَ اللَّهِ أَنْ يَتَّبِعَ الْهَدْيَ؟
أَهَذَا هُوَ الْعَهْدُ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا؟
تَوَلَّوْا غَضَابًا مَا تَثُوبُ نَفُوسَهُمْ
يَذِيعُونَ مَكْرَهُهُ الْحَدِيثَ وَمَا عَسَى
إِذَا بَعَثُوا مِنْ بَاطِلِ الْقَوْلِ فَتْنَةً
يَشَايِعُهُمْ فِي الْقَوْمِ كُلُّ مُنَافِقٍ
شَدِيدُ الْأَذَى يَبْدِي مِنَ الْقَوْلِ زَخْرَفًا
زَحَالْفُ سَوْءٍ مَا يَكْفُ دَبِيبُهَا
أَقَامُوا عَلَى ظَلَمٍ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ
لِكُلِّ أَنَاسٍ يَعْكُفُونَ عَلَى الْأَذَى
رَوَيْدُ يَهُودٍ هَلْ لَهَا فِي حَصُونِهَا
يُظَنُّونَ أَنْ لَنْ يَنْسِفَ اللَّهُ مَا بَنَوْا
سَيَلْقَوْنَ بُؤْسًا بَعْدَ أَمْنٍ وَنَعْمَةٍ

غَزْوَةُ بَدْرِ الْكُبْرَى

كان عدد الغزوات ثلاثين غزوة، شهد النبي ﷺ تسعًا وعشرين منها، وغاب عن واحدة، هي غزوة مؤتة، فأما التي شهدناها فهي: غزوة ودان — العشيرة — سفوان — بدر الكبرى — بني سليم — بني قينقاع — السويق — قرقرة الكدر — ذي أمر — بحران — أحد — حمراء الأسد — بني النضير — ذات الرقاع — بدر الآخرة — دومة الجندل — بني المصطلق — الخندق — بني قريظة — بني لحيان — ذي قرد، الحديبية — خيبر — وادي القرى — عمرة القضاء — حنين — الطائف — تبوك — فتح مكة، وقد استنتنى الناظم من هذه الغزوات ما لا مجال فيه للقول.

كان خروج المسلمين لغزوة بدر يوم السبت (الثاني عشر من رمضان)، وهو الشهر التاسع عشر بعد الهجرة، وكان عددهم ٣١٣، وقيل ٣١٤، وقيل ٣١٥ رجلًا، وكان عدد الكفار ٩٥٠، وقيل ألفًا، قتل منهم ٧٠، وأسر ٧٠ رجلًا، فأما المسلمون فقد استشهد منهم ١٤ رجلًا؛ ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار.

أَتَظُنُّ أَنَّ السِّيفَ عَنْهَا يَصْفَحُ؟	ما للنفوس إلى العماية تجنُّحُ؟
ولديكَ إِن شِئْتَ الدَّوَاءَ الْأَصْلَحُ	داوَيْتَ بِالْحَسَنِى فَلَجَّ فِسادُها
بالبيض تبرق والصوافن تضبح	الإذن جاء فقل لقومك أقبلوا
بل غرهم حلم يُمدُّ ويفسح	أفيطمع الكفار ألا يؤخذوا؟
أفكنت إذ تزجي الزواجر تمزح؟	أمنوا نكالك فاستبد طغاتهم
عرفوا اليقين وأوشكوا أن يستحوا	لا يستحون ولو تأذَّن ربهم
ألوى بهم خطب يجل ويفدح	أملى لهم حتى إذا بلغوا المدى

يمسي على دين الغواة ويصبح
 غُرُّ سوافر من جبينك تلمحُ
 من خير ما تسقى السيوف وتنضح
 ما تستبيح من البلاد وتفتح
 لأشد ما تجد السيوف وأبرح
 وتردها نشوى المتون فتفرح
 بالشركِ يحى والعماية تمسح
 فلأنت إن وزنوا الكتاب أرجح
 يهدي النفوس إلى التي هي أوضح
 والعيرُ دأبة تشط وتنزح
 أموال مكة فهي ميلُ جنح
 رهنٌ بمُرزمة تسح وتدلح
 مهج الفوارس والمنايا تسبح
 يغزو المدينة والمضللُ يجمع
 سعةً لضاق به الفضاء الأفيح
 يرضيك والشهداء حولك تطرح
 ولسوف يَعْلَمُ من يفوز ويربح
 يومٌ تصادُ به النُسور وتذبح
 نبأً تصاب به السهام فتجرح
 إن مالكم أمسى يُلْمُ ويكسح
 من دون بيضكم يراق ويسفح
 أنتم لها حطبٌ تشبُّ وتقح
 فسلوا بعيري إنه هو أفصح
 لأجلُ من يعظ النيام وينصح
 وجبالُ مكة شُهدُ والأبطح
 لُجْمُ تردُّ ولا مقاوُدُ تكبح
 في النوم عاتكة فما يتزحزح

من ناقضٍ عهدًا ومن متمرِّدٍ
 لما استقام الأمر لاح بشيرها
 ظمئت سيوفك يا محمدُ فاسقها
 فَجَّرُ ينابيع الفتوح فريُّها
 الظلم أوردتها الغليل وإنَّه
 اليوم توردها الدماء فترتوي
 المشركون عموا وأنت موكلُ
 خذهم ببأسك لا ترعك جموعهم
 ضلوا السبيل وفي يمينك ساطعُ
 هفت العشيَّة إذ نهضت تريدها
 تمشي مواقر في غواربها العلى
 عُذُّ باللواء وقل لحمزة إنهم
 تهوي غداة الروع في طوفانها
 هذا الفتى الفهريُّ أقبل جامحًا
 ولى يسوق السَّرْح لو لم توله
 دعه فإن له بمكة مشهدًا
 ذَهَبَ ابن حرب في تجارة قومه
 نَسْرُ مضى متصيِّدًا ووراءه
 بينا يحيد عن السهام أصابه
 بعث ابن عمرو ما لكم من قوة
 واهًا قريش إنه الدم فاعلموا
 تردون برد الأمن والنار التي
 إن كنت لم أفصح لخطبِ هالني
 وخذوا النصيحة عن قميصي إنه
 إنني صدقتكم البلاغ لتعلموا
 جفلت نفوس القوم حتى ما لها
 وأبى أبو لهب مخافة ما رأت

لَرَأَاهُ عُقْبَةً ثَاوِيًا مَا يَبْرَحُ
وَيَسُومُهُ الْخَلْقُ الَّذِي هُوَ أَقْبَحُ
لِذَوِي الْمَخَافَةِ فِي السَّلَامَةِ مَطْمَحُ
عَبَثَ اللَّوَاتِي فِي الْهُوَاجِ تَنْبِجُ
لَأَضْلُ مِنْ يَهْجُو الرِّجَالَ وَيَمْدَحُ
ضَرَبُوا الطُّلَى فَالْثَّادِبَاتُ النَّوْحُ
تَمْشِي الْوَيْدُ بِهَا الْمَطَايَا الطَّلْحُ
جَنْدُ بَايَاتِ الْكِتَابِ مُسْلِحُ
يَمْضِي إِذَا نَكَصَ الْيَرَاغُ الزُّمَحُ
لِلْإِلَهِيهِمْ عَهْدُ أَبْرُ وَأَسْمَحُ
تَحْتَ اللَّوَاءِ بِسَيْفِهِ يَتَوَشَّحُ
حَرَى وَبَعْضُ الْقَوْلِ نَارُ تَلْفَحُ
مَا اللَّهُ يُعْطِي الْمُنْقِذِينَ وَيَمْنَحُ
إِلَّا الْقَعُودَ وَسُبَّةً مَا تَضْرَحُ
وَالنَّصْرُ فِي عِطْفَيْهِمَا يَتَرَنِّحُ
فِي مَشْهَدٍ جَلِيلٍ لِأَقْبَلَ يَصْدَحُ
فَالِيهِ إِنْ طَرِيدُهُ لَا يُفْلَحُ
رِيحُ الْجَنَانِ لِمَنْ دَنَا يَسْتَرْوَحُ
سَيْلُ جَرَى شَوْبُوبُهُ يَتَبَطَّحُ
مَمَّنْ يَسُوقُ الْغَيْثَ فِيمَا يَنْفَحُ
وَالْمَكْرُ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ أَنْجَحُ
زَعَمُوا الْمَزَاعِمَ وَالْحَقَائِقُ أَرْوَحُ
بَأْسُ الْأُلَى جَمَعُوا لَهُمْ وَتَبَجَّحُوا
إِرْجَعُ عُمَيْرُ فِدْمَعُهُ يَتَسَحَّحُ
وَلَقَدْ يُرَى وَهُوَ الْأَحْمُ الْأَكْفَحُ
مَا يَحْمَلُ الْبَطْلُ الضَّلِيلُ فَيَرْزَحُ
مَوْلَى الْعَشِيرَةِ لِلْمُهْمِّ يَرْشَحُ

وَأَرَى أُمِّيَّةً لَوْ تَأَخَّرَ حَيْثُ
يَرْمِيهِ بِالْهَذَرِ الْقَبِيحِ يَلُومُهُ
غَشَاهُ سَعْدُ رَوْعَةً مَا بَعْدَهَا
نَفَرُوا يَرِيدُونَ الْقِتَالَ وَغَرَّهَمُ
غَنَّتْ بِهَجْوِ الْمُسْلِمِينَ وَإِنَّهَا
الضَّارِبَاتُ عَلَى الدُّفُوفِ فَإِنْ هُمْ
تِلْكَ الْمَاتِمُ مَا تَزَالُ ثِقَالُهَا
أَخَذُوا السَّلَاحَ وَقَدْ أَغَارَ لِأَخْذِهِمْ
فِيهِمْ مِنَ الْأَنْصَارِ كُلِّ مَشِيْعٍ
كَانُوا عَلَى عَهْدٍ مَضَى فَأَتَمَّهُ
سَعْدُ يُهَيِّبُ بِهِمْ وَسَعْدُ قَائِمُ
مَا أَصْدَقَ الْمَقْدَادَ حِينَ يَقُولُهَا
إِنَّا وَرَاءَكَ يَا مُحَمَّدُ نَبْتَغِي
لِسْنَا بِقَوْمٍ أَخِيكَ مُوسَى إِذْ أَبَوْا
هَذَا عَلَيَّ فِي اللَّوَاءِ وَمُصْعَبُ
حَمَلًا لِوَأْتِيَهُ فَلَوْ صَدَحَ الْهَدَى
هَذَا رَسُولُ اللَّهِ مِنْ يَكُ مُؤْمِنًا
الْمَوْتُ فِي يَدِهِ وَعِنْدَ لَوَائِهِ
إِنْ يَمْلِكُ الْمَاءُ الْعَدُوَّ فَقَدْ هَمَى
هِيَ دَعْوَةُ الْهَادِي الْأَمِينِ وَنَفْخَةُ
مَكْرِ الْحُبَابِ بِهِمْ فَغَوَّرَ مَاءَهُمْ
نَبِيٌّ عُمَيْرُ سِرَاةَ قَوْمِكَ إِنَّهُمْ
نَبَّئَهُمُ الْخَبَرَ الْيَقِينِ وَصَفَ لَهُمْ
وَإِذْكَ سَمِيكَ إِذْ يَقُولُ مُحَمَّدُ
أَذُنَ النَّبِيِّ لَهُ فَأَشْرَقَ وَجْهَهُ
بَطْلُ مِنَ الْفَتَيَانِ يَحْمَلُ فِي الْوُغَى
قُلْ يَا حَكِيمُ فَمَا بَعْتَبَةُ رَيْبَةٍ

نشوانٌ يملأه الغرورُ فيطفح
بعذابك الأوفى تُشابُ وتُجدح
يلقى المنيةً منه أغلبُ شَيْحُ
فانظر أَتَقْدِمُ أم تحيدُ وتكفح
من حوضٍ مُهجته المنيا القُمَحُ
يرمي بأبطال الوغى ويطوح
لأهْمُ نصركَ إِننا لك نكدح
إِنْ شد عاِدٍ أو أغار مجلِّح
لعفا كما تعفو الطُّلُولُ وتمصح
يغدو على الغبراءِ أو يتروِّح
دون العريشِ يذودُ عنه وينضح
والأرض من حوليهما تترجَّح
فالحرب تسدُّحُ بالكُماةِ وتردح
إِنْ ضَجَّ من دمك الزَّكِيُّ مصيِّحُ
حمل الحياة إلى الشعوبِ لمترح
والحرب تعصفُ والفوارس تكلح
منه فأين النتأى والمنزح؟
وأبوه في يده يتل ويسطح
صلب القَرا ضخم السنام مكبح؟
فكأنما هزم البغاثَ المضرح؟
خف الوقور لها وطاش المرجح
وكأنما هي صيب يتبذح
تهفو كما هفت البروق الملح
منها وتقفز بالعواصف أجنح
صيد الفوارس والعقاق القرح
عجلى تجاذبك العنان فتمرح
صف ترض به الصفوف وترضح

نصح الرجال فردَّهم عن نصحه
ربُّ اسقه بيدِ النَّبِيِّ منيةً
إِليه أبا جهلٍ نصرت بفارِسِ
أرداه حمزةً عند حوضٍ محمَّدِ
رامُ الورود فما انثنى حتَّى ارتوت
جد البلاء وهب إعصار الردى
نظر النَّبِيُّ فضجَّ يدعو ربَّه
تلك العصابةُ ما لدينك غيرها
لولا تُقيم بناءً وتحوطُه
لأهْمُ إِنْ تهلك فما لك عابدُ
جاشت حَمِيَّتُهُ وقام خليلُه
وتغولت صور القتال فأقبلا
في غمرةِ ضمن الجفاظُ لقاها
إِسْتَبَقَ نفسك يا أبا بكرٍ وقفُ
أعرض عن ابنك إِنْ موتك لِلَّذِي
صلَّى عليه اللُّهُ حين يقولُها
الله لا ولد أحب ولا أب
أفما رأيت أبا عبيدة ثائراً
بطل تخطر أم تخطر مصعب
أرأيت إذ هزم النَّبِيُّ جموعهم
هي حفنة للمشركين من الحصى
مثل الثميلة من مجاجة نافث
الله أرسل في السحاب كتيبة
تهوي مجلجلة تلهب أعين
للخيل محممة تراع لهولها
حيزوم أقدم إنما هي كرة
جبريل يضرب والملائك حوله

تذري المعازل والحصون وتذرح
 نار تريك الداء كيف يبرح
 هذا النبات الناضر المسترشد
 من ذوب مهجتها يجف ويبلح
 ومطهر يلد الحياة ويلقح
 وأمية القدر الذي لا يدرح
 بعد اللجاج الفاحش المتوقح
 أهوى يكبر ساجداً ويسبح
 عجب تفسر للبيب وتشرح
 أبهى وأجمل ما يرى المتصفح
 فلمن سواه في جهنم يضرح
 يدك التي تركت أمية يشبح
 زجل الحمام إذا يطير ويسجح
 بالنصر يخزي الكافرين ويفضح
 أمست قلوب المسلمين تروح
 منه ومنك مهنئ ومرفح
 فالنصر يخطب والسويف تصرح
 سود مذممة تساف وترمح
 فيه فزال كما يزول الضحضح
 ضافي الظلال وذابل يتصوَّح
 ومن الأمور مزيف ومصحح
 وانظر كتاب الخلق كيف ينقح
 سنناً مبينة لمن يستوضح

تلك الحصون المانعات بمثلها
 للقوم من أعناقهم وبنانهم
 جفت جذور الجاهلية والتوى
 طفق الثرى من حولها لما ارتوى
 ومن الدم المسفوح رفس موبق
 أودى بعتبة والوليد وشيبة
 وهو أبو جهل ونوفل وارعوى
 لما رأى الغازي المظفر رأسه
 في جلده من رجز ربك آية
 تلك السطور السود ضم كتابها
 إن لم يغيب في جهنم بعدها
 أدركت حقك يا بلال فبوركت
 واف المطار ووال يا ابن رواحة
 هذا ابن حارثة يطوف مبشراً
 لما تردد في البلاد صداكما
 فكأن كلاً معرس وكأنما
 قل يا أبا سفيان غير ملوح
 بيض على بلق تساقط حولها
 ذهبوا وأخلفهم رجاء زلزلوا
 أكذاك تختلف الزروع فناضر
 القوم غاظهم الصحيح فزيفوا
 خطأ الزمان فشا فلذ بصوابه
 جاء الإمام العبقري يقيمها

مصر أبي جهل

ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعوذ بن عفراء من الأنصار، وأجهز عليه ابن مسعود، وكان سيف ابن مسعود كليلاً، فقال له أبو جهل: خذ سيفي فاحتز رأسي به، ففعل، وقال له وهو يعلو صدره ليحز رأسه: لقد ارتقيت يا رويعي الغنمك مرتقى صعباً، لو غير أكَار قتلني (الأكَار الزراع، وكان الأنصار أهل زرع)، وقد أعطاه النبي ﷺ سيفه.

سقيت زعاف الموت فاشرب أبا جهل
ولم يرض في جد الكريهة بالهزل
لنفسك من حقد مذيب ومن غل
فراعينها من ذي شباب ومن كهل
وفاتك ما نال الرويعي من فضل
وجاءك مشبوباً حميته تغلي
فمن مرتقى صعب إلى مستقى سهل
هو الجد كل الجد لو كنت ذا عقل
وزادتك هذي من ضلال ومن خبل
حبالك فانظر هل ترى الآن من حبل
رضيت به رباً يفوز ويستعلي
وباء عدو الله بالخزي والذل
فما بعد ما أعطاك ربك من سؤل

بسيفك فيما اخترت من عاجل القتل
هو السيف لولا الجبن لم يمض حده
شهدت الوغى تبغي على الضعف راحة
أفرعون إن تجهل فلن تجهل الوغى
أصابك فيها ما أصابك من أذى
رماك معاذ قبله ومعوذ
سقى السيف عفواً من دم لك طيع
دع الهزل يا ابن الحنظلية إنه
هي اللأت والعزى أضلتك هذه
مضى جارك المأفون خزيان وانقضت
لقد كنت ترجو أن ترى الهبل الذي
أصبت ابن مسعود سناء ورفعته
فخذ سيفه ثم ارفع الصوت شاكرًا

صَدَى الْوَقْعَةِ فِي مَكَّةَ

لما ترامت أنباء الوقعة إلى مكة فرح المسلمون كثيرًا، وحزن المشركون حزنًا شديدًا، فأقيمت المآتم وجز النساء شعورهن، وكان ممن عاد إليها من بدر أبو سفيان بن الحارث بن هشام — وقد تقدم ذكره في الملحمة الحائية، فلما أنبأ عمه أبا لهب بما رأى وقال: لقينا رجالًا بيضًا على خيل بلق، قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: تلك والله الملائكة، فضربه أبو لهب في وجهه ضربة شديدة، ثم احتمله وضرب به الأرض وبرك عليه، فأخذت السيدة (لبابة) عمودًا فضربت به رأسه فشجته شجة منكرة، وقالت: استضعفته أن غاب سيده! فولى ذليلاً، ولم يعيش بعد هذه الضربة سوى سبع ليالٍ ثم مات.

ولقلما تجدي الظنون وتنفع
والويل للمغرور ماذا يصنع؟
فجبال مكة والأباطح خُشع
ذنباً ولم يكْ كاذباً يتشيع
نزلت تذلل الكافرين وتقمع
ومضى الجزاء فأنت عانِ موجه
حتى رمتك بعلّة ما تقلع
أن غاب سيّده وعزّ المفزع؟
إن الغويّ بمثل ذلك يردع
فيها لك الشرف الأعزّ الأَمنع
شافٍ ولا فيه لآسٍ مطمع

وضح اليقين لمن يرى أو يسمع
النصر حق والمنبئ صادق
إخشع أبا لهب فإن تك ذا عمى
مولى رسول الله يُضرب ما جنى
هي يا أبا لهب كتائب ربه
أخذت لبابة للمضعيف بحقه
وشفته منك بضربة ما أقلعت
قالت بغيت عليه واستضعفته
ما بالعمود ولا برأسك ريبة
حييت أمّ الفضل تلك فضيلة
الله أهلكه بداءٍ ما له

تمضي البشائر جَوًّا وتجول في	دمه السموم فجلده يتمزق
أمسى المكائر بالرجال مبغضًا	يجفى على قرب المزار ويقطع
أكلته صاعقة العمود وإنما	أكلته سبع بعد ذلك جوع
هم غادوره ثلاثة في داره	لا الدار تلفظه ولا هو ينزع
رجموه لو كره السفاهة فارعوى	ما ساء مهلكه وهال المصرع
ما أكثر الباكين ملء جفونهم	للجمع بالببيض البواتر يصدع
جز النساء شعورهن وغودرت	للحزن منهن الدموع الهمع
رجعن مكروه العويل على أسى	والبيت يشدو والحطيم يرجع
والمسلمون بنعمة من ربهم	فيها لكل موحد مستمتع
الله أكبر لا مرد لحكمه	هو ربنا وإليه منَّا المرجع

سواد بن غزية

حليف بني النجار

كان من أفراد الجيش في هذه الغزوة، فرآه النبي ﷺ خارجًا عن الصف وهو يعدل الصفوف، وكان بيده سهم قطعنه به في بطنه، وقال له: «استو يا سواد»، فقال: يا رسول الله أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل، فأعطني القصاص، فكشف الرسول الكريم عن بطنه، وقال: «استقد» (أي خذ قودك وهو القصاص)، فاعتنقه سواد وقبّل بطنه الشريف.

إن ذكرنا من بعدك الأيما
أنت أيقظتها شعوبًا نياما
سي زميمًا ولا الفسوق حراما
حين يأبى ساداتها أن يقاما
أن للجيش في الحروب نظاما
صادفت منك أريحياً هماما
من يعاف الأذى ويأبى العراما
مر على شرعة الهدى فاستقاما
سدي الشعوب والأقواما
نذى وتحمي الضعيف من أن يضاما

يوم بدر وأنت أعلى مقاما
ما ذكرنا بك القواضب يقظى
غرق في الظلام لا تحسب البغ
تكره العدل في الحقوق وترضى
استقم يا سواد في الصف واعلم
يا لها يا سواد طعنة سهم
لو يريد الأذى بها لم تطقها
عدل الصف فاستوى وقضى الأ
إنها شرعة لربك يمضيها فته
تمنع المرء ذا البراءة أن يؤ

وتريه القويّ يذعن للحق
قلت أوجعتني وقد جئت
القصاصَ القصاصَ إني أراه
قال هذا بطني لبطنك كفؤ
طابت النفس يا «سواد» وعاد الآ
واعتنقت الرسول بعد شكاة
وابتدرت البطن المطهر لثما
ها هنا العدل والسماحة والإحسـ
أدب الله عبده وهده
أي دين كدينه في علاه
أرأيت الضعاف في كل أرض
حرموا الطيبات بغيا وظلما
رب إن شئت للشعوب حياة
ابعث النور في الممالك يهدي

ويبغي بجانبه اعتصاما
بالحق وبالعدل رحمة وسلاما
يا إمام الهداة أمرا لزاما
فاستقد إن للضعيف ذماما
ن بردا ما كان منها ضراما
فاعتنقت الخلال غرا وساما
فابتدرت الخيرات شتى عظاما
ان أعظم بذا المقام مقاما
واصطفاه للمتقين إماما
أي قوم كالمسلمين القدامى
كيف أمسوا للأقوياء طعاما؟
واستحلوا الذنوب والآثاما
فابعث المسلمين والإسلاما
كل شعب غوى ويمحو الظلاما

أصحاب القليب

كانوا أربعة وعشرين رجلاً؛ هم: عتبة بن ربيعة، أمية بن خلف، أبو جهل بن هشام، عبيدة والعاص ولدا أبي أحيحة، سعيد بن العاص بن أمية، حنظلة بن أبي سفيان، الوليد بن عتبة، الحارث بن عامر، طعيمة بن عدي، نوفل بن عبد، زمعة وعقيل ابنا الأسود، العاص بن هشام أخو أبي جهل، أبو قيس بن الوليد، نبيه ومنبه ابنا الحجاج السهمي، علي بن أمية بن خلف، عمرو بن عثمان عم طلحة أحد العشرة، مسعود بن أبي أمية أخو أم سلمة، قيس بن الفاكه بن المغيرة المخزومي، الأسود بن عبد الأسد أخو أبي سلمة، أبو العاص بن قيس بن عدي السهمي، أمية بن رفاعة.

أمر النبي ﷺ بهم فآلقوا في القليب، إلا أمية بن خلف فإنه انتفخ في درعه فملأها، فذهبوا به ليحركوه فتزائل — تقطعت أوصاله — فآلقوا عليه ما غيَّبه من التراب والحجارة؛ فهم أربعة وعشرون إذا استثنيناه، جاء النبي إلى القليب بعد ثلاثة أيام ثم وقف على شفيره وأخذ ينادي زعماءهم بأسمائهم ويقول: «هل وجدتم ما وعد الله ورسوله حقاً، فأني وجدت ما وعدني الله حقاً»، وفي رواية أنه قال لهم: «بئس عشيرة كنتم لنيبيكم؛ كذبتُموني وصدقني الناس وأخرجتُموني وآواني الناس، وقاتلتُموني ونصرني الناس».

جلس عمير الجمحي مع صفوان بن أمية بن خلف بالحجر فتذاكرا ما أصاب قريشاً يوم بدر، وذكر أصحاب القليب ومصابهم، فقال صفوان: والله ما في العيش خير بعدهم، فقال عمير: صدقت، أما والله لولا دَيْنٌ عليّ ليس له عندي قضاء، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي، لكنت آتي محمداً حتى أقتله، وإن لي فيهم علة؛ ابني أسير في أيديهم.

فاغتتمها صفوان وقال له: عليّ دَيْنُكَ، أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا، فتعاقدا على ذلك، وأخذ عمير سيفه فشحذه وسمّه، ثم انطلق حتى قدم المدينة، ودخل به عمر على النبي وهو أخذ بحمالة سيفه في عنقه، فقال ﷺ: «أرسله يا عمر،

ادن يا عمير، ما الذي جاء بك؟ قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم؛ يعني ولده وهباً، قال: «فما بال سيف؟» قال: وهل أغنت السيوف عناً شيئاً؟ قال النبي: «بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر» وذكر له ما كان بينهما، فقال عمير: أشهد أنك رسول الله، الحمد لله الذي هداني للإسلام.

قال النبي لأصحابه حين أسلم عمير: «فقهوا أخاكم في دينه، وأقرئوه القرآن، وأطلقوا له أسيره»، ففعلوا وأسلم ابنه، رضي الله عنهما. كان صفوان يقول لأهل مكة بعد خروج عمير إلى المدينة: أبشروا بوقعة تنسيكم وقعة بدر.

أسلم صفوان (رضي الله عنه) عند تقسيم غنائم حنين بالجعرانة، حين أعطاه النبي ﷺ وادياً مملوءاً من النعم، وكان يسمى سيد البطحاء.

يا له من مصعب ألقى القيادا	تلك عقبى البغي فانظر كيف عادا؟
ورأيت القوم ناراً ورمادا؟	أرأيت القوم شرّاً وأذى؟
تخمد الدنيا وتزداد اتقادا	غيبوا في حفرة مسجورة
من عذاب كان ضعفاً ثم زاد	ملئت رعباً وزيدت روعة
هل ترى إلا انتفاضاً وارتعادا؟	قف عليها وتبين ما بها
تعجز الله كفاحاً وجلادا	يا لهم إذ زعموا أصنامهم
أنفساً منهم ولم يترك عتادا	جلّ ربي لم يغادر بأسه
وأرى الأصنام أولى أن تعادى	خاصموا الله وعادوا جنده
واستحبوا الكفر بغياً وعنادا	هي غرتهم فضلّوا وعتوا
ثم بادوا في مهاويه وبادا	حلّقوا بالأمس في طغيانهم
وعذابٌ كان شرّاً وفسادا	عظة في التّربّ كانت فتنة

يبلغ الكفار مثني وفرادى	كلّ هنيئاً من قليب قرم
فخذ القوم التّهاماً وازدادا	طال منك الصّوم واشتدّ الطّوى
غمماً جلّى وأهوالاً شدادا	جرّبوا الحرب وجاءوا فلقوا
يخبر السائل منهم حين نادى	سمعوا الصوت وما من ناطق

غمرةً تطغى وبلوى تتماهى
يا له منهم يقيناً لو أفادا
فكأنَّ الله لا يجزي العبادا
يتَّقِي ربًّا ولا يرجو معادا
بالغ من كلِّ أمرٍ ما أَرادا
وأُقيمي يا طواغيتِ الحدادَ
أيُّ زور عَزَّ في الدُّنيا وسادا؟
وجنودًا لا يَمْلُون الجهادا
جائلاً يُعيي الأساطيل اصطيادا
تفتَحُ الدُّنيا وتحتلُّ البلادا
مهلكِ القومِ فلا تعدُّ الرشادا
إِنَّ للعَاقِلِ في الأمرِ اتِّئادا
يأخذُ الأبطالَ والبيضَ الحدادا
كان سُمًّا ما سقاه أم شهادا؟
نبذ الحقد واصفاه الودادا
خير من حدَّث عنه فأجادا
بالسَّبيل السَّمح دينًا واعتقادا
يا عمير الخير إنَّ ذو الغيِّ حادا
إنَّه السُّرُّ الذي يُحيي الجمادا

يا رسول الله هم في شأنهم
صدق الوعد فكلُّ موقنٌ
أنكروا الحقَّ وراموا غيره
هكذا من يعبدُ الطاغوت لا
جلَّ ربي وتعالى إنَّه
إرفعي يا دولة الحقِّ العمادا
أيُّ حقٍّ ذلَّ في سلطانِه؟
إنَّ لِه سيوفًا خُذْما
بعث الأسطولَ في آياتِه
قُوَّةً أرسلها من أمرِه
إنَّ كلَّ الخير يا صفوان في
دع عميرًا لا تهجه واتُّد
أخذ السَّيف صقيلاً مرهفًا
ظلَّ يسقيه وما أدراه هل
كره الحقَّ فلمَّا جاءه
من حديثٍ أنبأ اللهُ به
قال أسلمتُ لربي وكفى
إقرأ القرآن واتبع هديَه
إنَّه النُّور الذي يجلو العمى

أين ما حدَّثت تستهوي السَّوادا؟
أعقب الجوّ وقد كانت نأدا
سترى الجود المُصَفَّى والجوادا
يعجزُ الآمال سعيًا وارتبادا
يتَقَصَّى الأرض مدًّا واطِّرادا
يسعُ الأجيالَ برًّا وافتقادا
من ندى كُفيَه نقصًا أو نفادا

أين يا صفوان ما أملتَه؟
يا لها داهيةً طارت بها
لا تظنَّ الجود دينًا يُشترى
ستراه واديًا من نعم
هو من فيضِ العُباب المرتمى
الرسولُ السَّمحُ والمولى الذي
إقترح ما شئت واطمع لا تخف

حبذا الموئل فيما تتقي من أذى الدهر وما أعلى المصادا
سببٌ لله من يعلق به لم يخف ضيماً ولم يخش اضطهادا

شُهَدَاءُ بَدْرٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ)

استشهد من المسلمين في هذه الوقعة المباركة أربعة عشر مجاهدًا؛ ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار، فالأولون هم: عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، مهجع مولى عمر بن الخطاب، عمير بن أبي وقاص، عاقل بن بكير الليثي، صفوان بن بيضاء الفهري، ذو الشمالين عمير، وقيل الحارث، وقيل عمرو بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعي، وأما الأنصار فهم: عوف بن عفراء، وأخوه شقيقه معوذ بن عفراء، وحارثة بن سراقة، ويزيد بن الحارث بن قيس بن مالك، ورافع بن المعلى، وعمير بن الحمام بن الجموح، سعد بن خيثمة، مبشر بن عبد المنذر، رضي الله عنهم أجمعين.

طُفَّ بالمصارع واستمع نجواها	والثَّم بأفياء الجنان ثراها
ضاع الشذى القدسيُّ في جنباتها	فانشقَّ وصف للمؤمنين شذاها
جَلَلُ يروع جلالها ومنازلُ	من نور رب العالمين سناها
ضمت حُمة الحقِّ ما عرف امرؤُ	عِزًّا لهم من دونه أو جاهها
الطالعين به على أعدائه	موتًا إذا نشروا الجنود طواها
الخائضين من الخطوب غمارها	المصطلين من الحروب لظاها
البازلين لدى الفداء نفوسهم	يبغون عند إلههم محياها
ما آثروا في الأرض إلا دينه	دينًا ولا عبدوا سواه إلها
سلكوا السبيل مسددين تضيئه	أيُّ المفصل يتبعون هداها
قومٌ هم اتخذوا الشهادة بغيةً	لا يبتغون لدى الجهاد سواها
هُم في حمى الإيمان أول صخرة	فسل الصخور أما عرفن قواها؟

حملت جبال الحق في دنيا الهدى
تؤتي الممالك والشعوب حياتها
ذهبت تُرفرف في مسابح عزها
تجري الرياح الهوج طوع قضائها
طاف الغمام مهلاً بظلالها
شهداء بدر أنتم المثل الذي
علّمتم الناس الكفاح فأقبلوا
أما الفداء فقد قضيتم حقه
من رام تفسير الحياة لقومه
لولا الدماء تراق لم نر أمة
أدنى الرجال من المهالك من إذا
وأجل من رفع الممالك مظهرًا
كم أمة لم تُوق عادية الردى
تسمو الشعوب بكل حر ماجد
ما أكرم الأبطال يوم تفيًا
راحوا من الدم في مطارف أشرقت
لو أنهم نُشروا راين كلومهم
ليسوا وإن وردوا المنية للألى
هم عند ربك يُرزقون فحيّهم
الله باركها ببدر وقعة
منعت ذمار الحق حين أثارها
بخل الزمان فكنت من شعرائها
كم دولة للشرك زلزل عرشها
في دولة للمسلمين تشوقهم
يا ويح للأمم الضعاف أنتنقضي
أمم هوالك ما لمست جراحها
لم أدر إذ ذهب الزمان بريحها
إن الذي خلق السهام لمثلها

بيضا شواهد ما تنال ذراها
وتقيم من أمجادها وعلاها
ومضت يفوت مدى النور مداها
وتخافها فتحييد عن مجراها
فسقته من بركاتها وسقاها
بلغ المدى بعد المدى فتناهى
ملء الحوادث يدفعون أذاها
وجعلتموه شريعة نرضاها
فدم الشهيد يُبين عن معناها
بلغت من المجد العريض مناها
عرضت منايا الخالدين أباهها
بان من المهج السماح بناها
لولا الذي اقتحم الردى فوقها
وجببت عليه حقوقها فقضاها
ظلل المنايا يبتغون جناها
حمر الجراح بها فكن جلاها
تدمى كأنك في القتال تراها
غمر البلي ورأدهم أشباهها
وصف الحياة لأنفس تهواها
كل الفتوح الغر من جدواها
وحمت لواء الله حين دعاها
لو شاء ربي كنت من قتلها
بدماء بدر واستبيح حماها
أيامها وتهزهم ذكرها
دنيا الشعوب وما انقضت بلواها
إلا بكنت وبكيت من جراها
ماذا من القدر المتاح دهاها؟
جمع المصائب كلها فرماها

ذِكْرِي هَذِهِ الْغَزْوَةَ الْمُبَارَكَةَ

نظمت هذه القصيدة للحفلة التي أقامتها جماعة إحياء مجد الإسلام بالقاهرة؛ إجلالاً لهذه الذكرى الإسلامية المجيدة في اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة ١٣٥٨هـ، وقد رأى الناظم إثباتها هي والقصيدة التي تليها:

وتعلموا كيف تبني مجدها الأمم	وكيف تمضي إلى غاياتها الهمم
تعلموا وخذوا الأنبياء صادقة	عن كل ذي أدب بالصدق يتسم
أَمْنُ يقول فما ينفك يكذبكم	كمن إذا قال لم يكذب له قلم؟
لكم على الدهر منِّي شاعر ثقة	تُقضى الحقوق وترعى عنده الذمم
تعلموا يا بني الإسلام سيرته	وجددوا ما محا من رسمها القدم
الله أكبر هل هانت ذخائره	فما لكم مقتنئى منها ومغتئم؟
بل أنتم القوم طاح المرجفون بهم	وغالهم من ظنون السوء ما زعموا
ماذا تريدون من ذكرى أوائلكم	أكل ما عندكم أن تحشد الكلم
لسنا بأبنائهم إن كان ما رفعوا	من باذخ المجد يمسي وهو منهدم
إن تذكروا يوم بدر فهو يذكركم	والحزن أيسر ما يلقيه والألم
سن السبيل لكم مجداً ومأثرة	فلا يدُ نشطت منكم ولا قدم
غازٍ يصول بجند من وساوسه	وقائد ما له سيف ولا علم

حيوا الغزاة قِيامًا وانظروا تجدوا وفودهم حولكم يا قوم تزدحم

في كل ناحية للحرب يضطرم
 جبريل في غمرات الهول يقتحم
 غيظ يظل على الكفار يحتدم
 في موطن تتلاقى عنده النقم
 وأحزم الناس من بالحق يعتصم
 بيضا تكشف عن أنوارها الظلم
 ولا به من سجايا السوء ما يصم
 إذا تردت بها الأخلاق والشيم
 من أن يطاع الهوى أو يعبد الصنم
 ويستوي عنده السادات والخدم
 فلا الدساتير أغنتهم ولا النظم
 بيض مطاعمها المأثورة الخدم
 إن جد ملتهب أو شد ملتهم
 كما جرى السيل في تياره العرم
 عن الجهاد ولا أزرى بها سأم
 إن ظن من سفه أن ليس ينقسم
 والبأس محتدم والأمر مكتتم
 في الحرب والسلام صف ليس ينقسم
 تحت العجاج وللأقدار مصطدم
 إذا مضى في سبيل الله يعتزم
 نشوان يزداد سكرًا أو به لمم
 وليس يشربه إلا امرؤ فهم
 ما كل ذي نشوة في الناس متهم
 إلا البلاء وإلا الهول يرتكم
 يزود عنه وعزّ الليث والأجم
 إن الرسول حمى للجيش أو حرم
 والمستغاث إذا ما اشتدت الغمم

ثم انظروا تارة أخرى تروا لهبًا
 حيوا الملائكة الأبرار يقدمهم
 الأرض ترجف رعبًا والسماء بها
 هم حاربوا الله لا يخشون نقمته
 من جانب الحق أردته عمايته
 الدين دين الهدى تبدو شرائعه
 ما فيه عند ذوي الألباب منقصة
 يحيي النفوس إذا ما ماتت ويرفعها
 لا شيء أعظم خزيًا أو أشد أذى
 دين تصان حقوق العالمين به
 ضل الألى تركوا دستورهم سفها
 دعا النبي فلبي من قواضيه
 حرّى الوقائع غرثى لا كفاء لها
 تجري المنايا دراكا في مسايها
 قواضب الله ما نامت مضاربها
 يرمي بها كل جبار ويقصمه
 الجيش منطلق الغارات مستبق
 الله ألف بين المؤمنين فهم
 كروا سراعًا فللأعمار مصطرع
 من كل أغلب يمضي الحنف معتزما
 حرّان يحسب إذ يرمي بمهجته
 للحق نشوته في نفس شاربه
 وأظلم الناس من ظن الظنون به
 طال القتال فما للقوم إذ دلفوا
 وقام بالسيف دون الليث صاحبه
 ماذا يظن أبو بكر بصاحبه؟
 أمن النفوس إذا احتاجت مخاوفها

أَفْضَى الْجَلَالِ إِلَيْهِ وَانْتَهَى الْعَظَمُ؟
عَلَى الْقَوَاضِبِ تَلْقَاهُ فَتَحْتَشِمُ
كُتَائِبُ النُّصْرِ مَلءُ الْجَوِّ تَنْتَظِمُ
وَأَنْتِ أَعْلَمُ بِالْقَوْمِ الْأَلَى ظَلَمُوا
فِي الْأَرْضِ مِنْ عَابِدٍ لِلْحَقِّ يَلْتَزِمُ
عَالِي اللِّوَاءِ وَدِينِ الشَّرْكِ مَنْهَزِمُ
وَحَاقَ بِالْمَعْشَرِ الْبَاغِينَ مَا اجْتَرَمُوا
تُرْدِي النُّفُوسَ وَخُطْبَ هَائِلِ عَمَمُ
وَتَشْتَكِي الْهَوْنَ فِي أَرْجَائِهَا الرَّمَمُ
لَمَّا قَضَى السِّيفُ وَهُوَ الْخَصْمُ وَالْحَكَمُ
آيَاتِ رَبِّكَ فِي الْقَوْمِ الَّذِينَ عَمُوا؟
لَا اللَّوْمُ يَنْفَعُكُمْ فِيهَا وَلَا النَّدَمُ
مَا فِي الْمَضَاجِعِ إِلَّا النَّارُ وَالْحَمَمُ
فَمَا بَكُمْ تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى صَمَمُ
سُبْحَانَ رَبِّي لَهُ الْآلَاءُ وَالنَّعَمُ
وَإِنَّهُ لَلْلسَانِ صَادِقُ وَفَمُ
شَيْخٌ يَحْدِثُنَا أَنَّ الْحَيَاةَ دَمُ

هَلْ يَعْظُمُ الْخُطْبُ يَرْمِيهِ أَمْرُ رَبِّ
رَاعِ الْكُتَائِبِ وَاسْتَوْلَتْ مَهَابَتُهُ
دَعَا فَمَا جَتِ سَمَاءُ اللَّهِ وَانْطَلَقَتْ
لَهُمْ غَوْثُكَ إِنْ الْحَقُّ مَطْلِبُنَا
تِلْكَ الْعَصَابَةُ مَا لِلَّهِ إِنْ هَلَكْتَ
جَاءَ الْغِيَاثُ فَدَيْنَ اللَّهُ مَنْتَصِرُ
جَنَى عَلَى زَعَمَاءِ السُّوءِ مَا اجْتَرَحُوا
مَا الْجَاهِلِيَّةُ إِلَّا نَكْبَةٌ جَلَلُ
هَذِي مَصَارِعَهَا تَجْرِي الدَّمَاءُ بِهَا
هَذَا أَبُو الْحَكَمِ انْجَابَتْ عِمَائِيَّتُهُ
مَاذَا لَقِيتَ أَبَا جَهْلٍ وَكَيْفَ تَرَى
هَذَا الْقَلِيبَ لَكُمْ فِي جَوْفِهِ عِبْرُ
ذُوقُوا الْعَذَابَ أَلَيْمًا فِي مَضَاجِعِكُمْ
لَا تَجْزَعُوا وَاسْمَعُوا مَاذَا يُقَالُ لَكُمْ
الشَّرْكَ يُعْمَلُ وَالْإِسْلَامُ مَبْتَسَمُ
يَا قَوْمَنَا إِنْ فِي التَّارِيخِ مَوْعِظَةٌ
لَنَا مِنَ الدَّمِ يَجْرِي فِي صَحَائِفِهِ

الذكرى الثانية

نظمت للحفلة التي أقامها المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين بالقاهرة ١٣٦٠هـ.

ويؤمن بأن البغي شتى غوائله
جحافلها العظمى وولت جحافلها
فأقصر من أعدائه من يطاوله
لأصلب من صم الجلاميد سائله
عليه يد الباني وتنبو معاوله
ولا ترهبوا الطاغوت فالله خاذله
من الشرك دين أهلك الناس باطله؟
فأنتم مناياه وهذي مقاتله
وإما بحد السيف لا خاب حامله
براهينه أعناقهم ودلائله
أعاصيره نارًا وتغلي مراجله
فيا لك من جند طوى الجوّ جافل
شئابيبه نورًا وينهل وابله
سواه عدو كاذب البأس هازله
فمن ذا يناديه؟ ومن ذا يصاله؟
فخابت أمانيه وأعيت وسائله
سوى ما ارتضت أخلاقه وشمائله

على ذكرها فليعرف الحق جاهله
هي الغزوة الكبرى هوى الشرك إذ رمت
وأصبح دين الله قد قام ركنه
بنته سيوف الله بالعزم إنه
تكلّ قوى الجبار عما تقيمه
أهاب رسول الله بالجند أقدموا
أما تنظرون الأرض كيف أظلمها
خذوه ببأس لا تطيش سهامه
علينا الهدى إما بآيات ربنا
إذ أنكر القوم البراهين أخضعت
مضى البأس بدري المشاهد ترتمي
وضج رسول الله يدعو إلهه
تنزل يزجي النصر تنساب من عل
أحيزوم أقدم إنه الجدُّ لن يرى
هو الله يحمي دينه ويعزه
تمزق جيش الكفر وانحل عقده
وما برسول الله إذ ناله الأذى

يرى دمه من حقه فهو باذله
وما يقض من أمر له فهو قابله
فيا لك عصرًا يبعث الحزن زائله
إلى غيرنا نهذي به وهو شاغله
فيا لعدو لم يجد من يجادله
مكائده مبعثرة وحبائله
وهل يستقيم الأمر عاليه سافله؟
وجنوا به والجهل شتى منازله
فقاطعه منهم سواء وواصله
حثيثًا تهز المشرقين صواوله
إذا عطلت آدابه وفضائله
فيمضي بنا في كل أمر نحاوله
فليس عليها من لواء يماثله
سراعًا وعادي الشر ينقض عاجله؟
وتشفي من الهم الذي اهتاج داخله؟
وتصغي إلى القول الذي أنا قائله؟
وتمشي على آثاره ما تزايله؟
فلا تنكروا يا قوم ما الله فاعله

نبيّ يحب الله حبَّ مجاهد
يعظمه في نفسه ويطيعه
كذلك كان المسلمون الألى مضوا
صدفنا عن المثلى فأصبح أمرنا
يجالد من يبغي الحياة عدوّه
بنا من عوادي الدهر كل مسلّط
قضيّنا المدى ما تستقيم أمورنا
عجبت لقومي عطل الدين بينهم
يحبونه حب الذي ضلّ رأيه
صلاة وصوم يركض الشر فيهما
وكيف يقوم الدين ما بين أمة
سلام علينا يوم يصدق بأسنا
ويوم تكون الأرض تحت لوائنا
أنمشي بطاء والخطوب تنوبنا
ألا همة بدرية تكشف الأذى
ألا أمة تنهى النفوس عن الهوى
ألا دولة للحق تسلك نهجه
إذا نحن لم نرشد ولم نتبع الهدى

غَزْوَةُ بَنِي قَيْنِقَاعَ

كان خروج النبي ﷺ وأصحابه إلى هذه الغزوة في منتصف شوال من السنة الثانية للهجرة، وكان بنو قينقاع أول من نقض العهد وغدر من اليهود، فأظهروا البغي والحسد بعد وقعة بدر.

قدمت امرأة من العرب بجلب لها لبيعه بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ منهم، فجعل جماعة من سفهائهم يراودونها عن كشف وجهها وهي تأبى، فعمد الصائغ إلى أطراف ثوبها فعقده إلى ظهرها — وقيل خله بشوكة — وهي لا تشعر، فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا منها، فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وشد اليهود على المسلم فقتلوه.

جمعهم النبي ﷺ بعد ذلك وقال لهم: «يا معشر يهود، احذروا من الله مثل ما أنزل بقريش من النعمة (يريد وقعة بدر)، وأسلموا فإنكم قد عرفتم أنني مرسل، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله (تعالى) إليكم».

قالوا: يا محمد، أترانا مثل قومك، لا يغررك أنك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب، إنا والله لو حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس.

كانوا أشجع اليهود وأكثرهم أموالاً، وأشدهم بغياً، فلما قالوا ذلك أنزل الله: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ﴾ الآية، وقوله (تعالى): ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ الآية.

هيهات هيهات أمسى خطبكم جللاً
لعاقد ما نوى غشاً ولا دخلاً

ردُّوا بني قينقاع الأمر إذ نزلاً
نقضتم العهد معقوداً على دخل

بين الجوانح حتى شب واشتعل
ونبهت منكم الداء الذي غفلا
والله أطلعه من نوره مثلاً؟
للناس من شرع الأديان والملا
واقٍ ولا تطمعوا أن تتركوا هملاً
سبحان من نقل الميراث فانتقلا
يهدي الشعوب ويشفي منهم العلا
هوجاء يعصف فيها الشر ما فعلاً؟
لتؤثر الموت مما سامها بدلاً
من خيفة العار حتى تبلغ الأجلا
إذا رماه بعيني غاضب جفلاً
يجري على دمه مسترسلاً عجلاً
على يدي بطل أعظم به بطلاً؟
من طائف الجهل داع يورث الخبلا
كفوٍ إذا ما التقى الجمعان فاقتلا
على يدك وإن يعطونك النفلا
ترجو الأمان وتُبدى الخوف والوجلا
يود يومئذ لو أنه وألاً
فانبت من عهده ما كان متصلاً
يرجو الإله ويأبى الزيغ والزلا
إن راح شيطانه يرخي له الطولا
أهون بكم معشراً لو أنه عقلاً
في كف أبيض يدمي البيض والأسلا
ولن تروا ناصرًا يرجى لمن خذلاً
من كل مقدمة يغشى الوغى جذلاً
بين الخميسين لا نكساً ولا وكلاً
ألقي بمهجته يرتاد مدخلاً

ما زال شيطانكم بالغيز يقدحه
هاجت وقائع بدر من حفيظتكم
أتنكرون على الإسلام بهجته
دين الهدى يا بني التوراة يشرعه
لا تدعوا أنكم منها بمعصم
جاء النبيين بالفرقان وارثهم
رأى النفوس بلا هادٍ فأرسله
هلا سألتكم أخاكم حين يبعثها
إن التي رامها في عزها سفهاً
لا يبلغ العرض منها حين تمنعه
وقد يكون لها من ربها رصد
ما زال بالدم حتى ظل سافحه
ما غركم بقضاء الله يرسله
لقد دعاكم إلى الحسنى فمال بكم
قلتم رويداً فإننا لا يصاب لنا
لسنا كقومك إذ يلقون مهلكهم
يا ويلكم حين ترتج الحصون بكم
كم موئل شامخ العرنين يعجبكم
أمسى عبادة منكم نافضاً يده
نعم الحليف غدرتم فانطوى حنقاً
ما كان كابن أبي في جهالته
مضى على الحلف يرمى معشراً غدرًا
لا تذكروا الدم إن السيف منصلت
وجانبوا الحرب إن الله خاذلكم
مشى الرسول وجند الله يتبعه
يهفو إلى الموت مشتاقاً ويطلبه
لو غيبته المواضي في سرائرها

لولا الرحيق المصفى شاربًا ثملا
وانشاب منطلقًا يهديهم السبلا
ما ذاق هاربهم سيفًا ولا رجلا
يخال أمنعها من ضعفه طللا
حران يشجيه ألا ينقع الغللا
واحتال أشياخهم فاستنفدوا الحила
كلني ليعلم ما في نفسه أكلا
إلا العذاب وإلا الظن والأملا
في مجهل يتردى فيه من جهلا
وهال كل غويّ الرأي ما حملا
يجود بالعفو إن ذو قدرة بخلا
فكان أكرم من أعطى ومن بذلا
من بعد مهلكهم قولًا ولا عملا
من الأناة وفضل الحلم ما سألًا
جمامه لم يجد من دونه حولا
عن السلاح وراحوا خضعًا ذللا
ساءوا مقامًا وساءوا بعد مرتحلا
نكدًا مشائيم لا طابت لهم نزلا
سوء العذاب ومكروه الأذى نهلا
بعضًا فمّن يقترب يسمع لهم جدلا
تمضي فلا معقلًا تُبقي ولا جبلا
لا يأخذ الناس حتى ينبذوا الرسلا
فافتح بها الأرض أو فامسح بها الدولا

يخال في غمرات الروع من مرح
أهاب حمزة بالأبطال فانطلقوا
عجبت للقوم طاروا عن مواقعهم
مضوا سراعًا إلى الآطام واجفة
طال الحصار وظل الحتف يرقبهم
أفنوا من الزاد والماعون ما ادخروا
من كل ذي سغب لو قال واحده
لا يملكون لأهليهم وأنفسهم
ظلت وساوسهم حيرى تجول بهم
حتى إذا بلغ المكروه غايته
تضرعوا يسألون العفو مقتدرًا
أعطى النفوس حياة من سماحته
لو شاء طاح بهم قتلاً فما ملكوا
ما الظن يابن أبيّ حين يسأله
أما رأوه جريحًا لو يصادفه
زالوا عن الدور والأموال وانكشفوا
هو الجلاء لقوم لا حلوم لهم
ساروا إلى أذرعات ينزلون بها
بادوا بها وتساقوا في مصارعهم
يلوم بعض على ما كان من سفه
أهل المعازل هدتهم مدمرة
رمى بها من رسول الله متئد
هل دولة الحق إلا قوة غلبت؟

غَزْوَةُ السَّوِيقِ

كانت في اليوم الخامس من ذي الحجة في العام الثاني من الهجرة. نذر أبو سفيان بعد وقعة بدر ألا يمس النساء والطيب حتى يغزو النبي ﷺ، ثم إنه خرج في مئتي راكب من مشركي قريش ليبراً بيمينه، فنزل على مسافة بريد من المدينة، وأتى بني النضير ليلاً يريد دار حبي بن أخطب أحد رؤسائهم، فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له، فجاء إلى سلام بن مشكم سيدهم وصاحب كنزهم فأذن له، واجتمع به، ثم خرج إلى أصحابه فبعث رجالاً منهم إلى المدينة فحرقوا نخلاً بها، ووجدوا رجلاً من الأنصار — قيل إنه معبد بن عمرو، وحليفاً لهم — الأنصار — فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين، فخرج النبي يطلبهم في مئتين من المهاجرين والأنصار، فجعل أبو سفيان وأصحابه يخفون للهرب بإلقاء جرب — جمع جراب — السويق فيأخذه المسلمون، وذهبوا فلم يدركوهم — السويق القمح أو الشعير يقلى ثم يطحن.

قصاراك أن ترتدَّ حرَّان أو تردى
وإن شئت فاقعد واتخذ مضجعاً بردا
وأبدى لك النصر المؤزر ما أبدى
لتجتنبنَّ الطيب والخرَد المِلدا
من الكفر سداً ما رأى مثله سداً؟
لأيقنت أن الله لا يخلف الوعدا
لكم ما عبدتم غيره طائراً سعدا
ولست أبا سفيان إن لم تزد وجدا

تأنَّ ابنَ حرب لست في مثلها جلدا
هي الغارة الحرى فإن شئت فانطلق
جلا السيف في بدر لعينك ما جلا
حلفت لئن لم تأت طيبة غازياً
أتغزو رسول الله أن هدَّ بأسه
كذلك وعد الله لو كنت مؤمناً
جرى طيركم نحساً ببدر ولن تروا
أمضك وجد متلف من محمد

له في الوغى إن هجته للوغى نَدًا
تخادعهم عن حلفة لم تكن جدًا
ويا للألى سيقوا إلى يثرب جندا
وصاحبه هيهات زدت المدى بعدا
فيا لك سهماً ما ملكت له ردًا
وكنت امرأ أعمى الهوى لا يرى رشدًا
لنفسك عزًا تبتغيه ولا مجدا
بعينك يبكي الضال أو يضحك الرندا
فما وجدوا سيفًا ولا صادفوا غمدا
يصيبون من أعدائهم معشرًا لدا
وصاحبه والخيل تتبعهم جردا
تبادر ورد الموت تلتمس الخلا
دعا عاصفًا صعبًا يهدد القوى هدا
إلى شيخها مذعورة تتقي الأسدا
من الأرض يهوي في مساربها بُدا
وفروا خفافًا لا يكن أمركم إدا
ركامٌ إلى أعداء أربابهم يُهدى
بأيمانهم كانوا لأسيافهم رفا
إذا هيجت ذا نجدة زادها وقدا
بكل كمي لا مفر ولا معدى
بأيدي الألى يستعذبون بها الفقدا
وتسجد للعزى تكون لها عبدا
إذا ما استبنت الرشدا أيهما أهدي
ولم تشف غيظًا من ذوك ولا حقدًا
ومنيّتها يا طول همك لو أجدى
على الأرض حتى يعبدوا الواحد الفردًا

رويدًا هداك الله إنك لن ترى
أراك غررت القوم إذ رحمت مُوجفًا
ذهبت تقود الجند يا لك قائدًا
تحاول نصرًا من حيي بن أخطب
رُددت عن الباب الذي جئت طارقًا
وما نلت خيرًا إذ أتيت ابن مشكم
بعثت على النخل الرجال فلم تدع
شربت بهم نارًا ترامى لهيبها
فوارس راحوا خفية في سيوفهم
يصيبونها شتى الجنى وكأنما
تولّوا سراعًا بعد مقتل معبد
عليها من الغر الميامين فتية
دعاها الرسول المجتبى فكأنما
مضى ومضوا إثر السراحين ترتمي
فلما رأى الجدّ استطار ولم يجد
يصيح بجند السوء ألقوا بزادكم
وطاروا شعاعًا للسويق وراءهم
همُ رقدوهم كارهين ولو وفوا
إليك ابن حرب إن للحرب جذوة
هي النصر أو عاد من الموت واقعُ
فررت تخاف الفقد في حومة الوغى
أفي الحق أن لا تعبد الله وحده
سبيلان شتى أنت لا بد عالمُ
رجعت مغیظًا لم تنل وتر هالك
تصدّ قريش عنك مما كذبتها
قل الحق ما للعالمين سكيّنة

غَزْوَةُ أَحَدٍ

كانت في شوال من السنة الثالثة — وأحد جبل من جبال المدينة.
لما أصاب قريشاً يوم بدر ما أصابها مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي
جهل وصفوان بن أمية إلى أبي سفيان، وإلى من كان له تجارة في العير التي كانت سبباً
للوقعة — وكانت لا تزال موقوفة في دار الندوة — يحرضون على الحرب، وأن يجعل
ربح التجارة لتجهيز الجيش، فقال أبو سفيان: أنا أول من يفعل وبنو عبد مناف معي،
ورضي القوم، وكان الربح خمسين ألف دينار، وقيل خمسة وعشرين ألفاً، ونزلت: ﴿إِنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً
ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾.

أدأبك أن تريد المستحيلاً؟ تأمل أيها المولى قليلاً
لبثت تعالج الداء الدخيلاً وتضمصر في جوانحك الغليلاً
وما يجديك لاعجه فتيلاً
أما تنفك تذكر يوم بدر؟ وما عاينت من قتل وأسر؟
وراءك إنها الأقدار تجري بنصر للنبي وراء نصر
وكان الله بالحسنى كفيلاً
أبا سفيان دع صفوان يبكي وعكرمة يطيل من التشكي
وقل للقوم في بر ونسك نهيت النفس عن كفر وشرك
وأثرت المحجة والسبيلاً
أراك أطعتهم وأبیت إلا سبيل السوء تسلكه مدلاً

تريد محمدًا وأراه بسلا رويدك يا أبا سفيان هلا
أردت لقومك الحسن الجميلا؟
قريش لم تزل صرعى هواها وعير الشؤم لم تحلل عراها
أجل عينيك وانظر ما عساها تسوق من الجنود إلى وغاها؟
فقد حملت لكم أسفًا طويلا
دعا صفوان شاعره فلبّي وكان يسومه شططًا فيأبّي
أحل له الهجاء وكان خبّا أحب من الخيانة ما أحبا
يريد العيش محتقرًا ذليلا
يذم محمدًا ويقول نكرا ولولا لؤمه لم يألُ شكرا
تغمّد حقه وجزاه شرًا وأمسى عهده كذبًا وغدرا
وإن له لمنقلبًا وبيلا
ألم يمنن عليه إذ الأسارى تكاد نفوسها تهوى حذارا؟
تطوف به مولهة حيارى تود لو أنها ملكت فرارا
وهل يُعطى عدو الله سولا؟
جبير أكان عمك حين أودى كعم محمد شرفًا ومجدا؟
أحمزة أم طعيمة كان أهدى؟ رويدك يا جبير أتيت إذا
وإن قضاء ربك لن يحولا
أراد فما لوحشيّ محيد ولا لك مصرف عما يريد
أليس لحمزة البأس الشديد فما يُغني فتاك وما يفيد؟
تبارك ربنا ربّا جليلا
تولوا بالكتائب والسرايا وساروا بالحرائر والبغايا
منايا قومهم جابت منايا فسيري في سبيلك يا مطايا
ولا تدعي الرسيم ولا الذميلا
ويا خيل اركضي بالقوم ركضا وجوبي للوغى أرضًا فأرضا
لعل الناقم الموتور يرضى نشدتك فانفضي البيداء نفضا
ووالي في جوانبها الصهيلا
ويا هند اندبي القتلى ونوحي وزيدي ما بقومك من جروح

وراءك كل منصلت طموح تُهَيِّجُ بِأَسَهِ رِيحِ الْفَتْوحِ
وراءك فتية تَأْبَى النُّكُولَا
وراءك نسوة للحرب تُزَجِّى تَرْجُ دُفُوفَهَا الْأَبْطَالُ رَجًّا
وتلك خمور عسكرك المَرْجَّى وَكَانَ الْغِي بِالْجَهْلَاءِ أَحْجَى
كَذَلِكَ يَطْمَسُ الْجَهْلُ الْعُقُولَا
رَأَيْتَ الرَّأْيَ شَوْمًا أَيْ شَوْمٌ وَمَا تَدْرِي يَمِينُكَ أَيْنَ تَرْمِي
لِعَمْرِكَ إِنَّهُ لِرَسِيسٍ هَمٌّ تَغْلُغِلُ مِنْكَ بَيْنَ دَمٍ وَلَحْمٍ
فِيَا ابْنَةَ عَتَبَةٍ اجْتَنِبِي الْفُضُولَا
أَعْنِ جَسَدَ الرُّضِيَّةِ بَنْتٍ وَهَبِ يُشَقُّ الْقَبْرِ يَا امْرَأَةَ بَنِ حَرْبٍ
وَيُقَطَّعُ بِالْمُدَى فِي غَيْرِ ذَنْبٍ لِيَفْدَى كُلَّ مَأْسُورٍ بِإِرْبٍ
فِيَا عَجَبًا لِقَوْلِكَ قِيلَا
هِيَ الْهَيْجَاءُ لَيْسَ لَهَا مَرْدٌ فَمَنْ يَكُ هَازِلًا فَالْأَمْرُ جَدُّ
لِبَأْسِ اللَّهِ يَا هِنْدُ أَشَدُّ لَهُ جَنْدٌ وَلِلْكَفَّارِ جَنْدٌ
وَإِنْ لَجْنَدَهُ الْبِطْشُ الْمَهُولَا
سَيُوفٌ مُحَمَّدٌ أَمْضَى السَّيُوفِ وَأَجْلِبُ لِلْمُعَاطَبِ وَالْحَتُوفِ
إِذَا هَوَتْ الصَّفُوفُ عَلَى الصَّفُوفِ وَأَعْرَضَ كُلُّ جَبَّارٍ مَخُوفٍ
مَضَتْ مَلَأَ الْوَغَى عَرْضًا وَطُولَا
أَرَى السَّعْدِينَ قَدْ دَلَفَا وَهَذَا عَلِيٌّ بِالْحَسَامِ الْعُضْبِ لَاذَا
وَحِمَزَةٌ جَدٌّ مَعْتَزِمًا فَمَاذَا؟ وَمَنْ لِلْقَوْمِ إِنْ أَمْسَوْا جَذَاذَا؟
وَطَارَ حِمَاتُهُمْ فَمَضُوا فَلُولَا
وَفِي الْأَبْطَالِ فَتْيَانِ رِقَاقٍ بَأَنْفُسِهِمْ إِلَى الْهَيْجَا اشْتِيَاقٍ
لَهُمْ فِي النَّاهِضِينَ لَهَا انْطِلَاقٍ دَعَا دَاعِيَ الْجِهَادِ فَمَا أَطَاقُوا
بِدَارِ السَّلْمِ مَثْوًى أَوْ مَقِيلَا
أَعَادَهُمُ النَّبِيُّ إِلَى الْعَرِينِ شَبُولًا سَوْفَ تَصْلُبُ بَعْدَ لَيْنِ
يَضُنُّ بِهَا إِلَى أَجَلٍ وَحِينٍ رَعَاكَ اللَّهُ مِنْ سَمَحِ ضُنِينِ
يَسُوسُ الْأَمْرَ يَكْرَهُ أَنْ يَعُولَا
وَقِيلَ لِرَافِعٍ نَعَمْ الْغَلَامُ إِذَا انْطَلَقْتَ لَغَايَتِهَا السَّهَامُ

تقدم أيها الرامي الهمام إذا الهيجاء شب لها ضرام
فأمطرها سهامك والنصولا
ونادي سمرة أيرد مثلي ويقبل صاحبي وأنا المجلي
أصارعه فإن أغلب فسؤلي وكيف أذاد عن حق وعدل؟
وأمنع أن أصول وأن أجولا؟
وصارعه فكان أشد أسرا وأكثر في المجال الضنك صبرا
وقيل له صدقت فأنت أخرى بأن ترد الوغى فتنال نصرا
ألا أقبل فقد نلت القبولا
أعبد الله ما لك من خلاق فعد بالناكثين ذوي النفاق
كفاك من المخافة ما تلاقي وما لك من قضاء الله واق
وإن أمسيت للشعري نزيلا
أبيت على ابن عمرو ما أرادا وشر القوم من يأبى الرشادا
نهاك فلم تزد إلا عنادا ألم يسمع فريقك حين نادى
أطيعوا الله واتبعوا الرسولا؟
يقول نشدتكم لا تخذلوه وموثق قومكم لا تنقضوه
رسول الله إلا تنصروه فإن الحق ينصره ذووه
ألا بعدا لمن يبغي الغلولا
تجلّى نور ربك ذي الجلال وهز الشعب صوت من بلال
بلال الخير أذن في الرجال فهبوا للصلاة من الرجال
وقاموا خلف سيدهم مثولا
علا صوت الأذنين فأني معنى لمن هو مؤمن أسمى وأسنى؟
إله الناس فرد لا يثنى تأمل خلقه إنسا وجنا
فلن تجد الشريك ولا المثيلا
أجل؛ الله أكبر لا وراء فهل سمع الألى كفروا النداء؟
أظن قلوبهم طارت هباء فلا أرضا تطيق ولا سماء
جلال الحق أورثهم ذهولا
سرى الصوت المردد في الصباح فضج الكون حيي على الفلاح

تَلَقَّى صِيحَةَ الْحَقِّ الصَّرَاحِ
يَسْبَحُ رَبِّهِ غَبَّ ارْتِيَاكِ
تَعَطَّفَتْ الْجِبَالُ عَلَى الْبَطَاحِ
وَأَوَّيْتُ الْبَحَارُ مَعَ الرِّيَاكِ
كَتَابَ الْحَقِّ مَا لِلْحَقِّ مَاحِ
فَقُلْ لِلنَّاسِ مِنْ ثَمَلٍ وَصَاحِ

فَمَنْ مِنْكُمْ يَرِيدُ بِهَا بَدِيلًا؟

أَلَا طَالَتْ صَلَاتُكَ إِذْ تَقَامُ
أَقْمَهَا يَا مُحَمَّدُ فَهِيَ لَامُ
بِهَا يَتَخَطَّفُ الْجَيْشُ اللَّهَامُ
قَضَاهَا اللَّهُ فَهِيَ لَهُ ذِمَامُ
يُوَطِّدُ مِنْ بَنَى وَهِيَ الدِّعَامُ
نَهَضَتْ لَهَا وَمَا هَبَّ النِّيَامُ
مَقَامُ مَا يَطَاوِلُهُ مَقَامُ

يَصُونُ لَوَاءَهُ جَيْلًا فَجِيلًا

هُدَى الْأَجْيَالِ يَخْطُبُ فِي الْهَدَاةِ
وَبِالْأَخْلَاقِ غُرًّا طَيِّبَاتِ
وَصَفَ لِلنَّاسِ آدَابَ الْحَيَاةِ
وَوَخَّضَهُمُ بِالنِّصَائِحِ وَالْعِظَاتِ
شَعُوبَ الْأَرْضِ مِنْ مَاضٍ وَأَتِ
إِذَا ضَلَّتْ دِهَاقِينَ الثَّقَاتِ
وَخَفَ ذُووِ الْحُلُومِ الرَّاسِيَاتِ

أَقَمْتُ الْأَرْضَ تَكْرَهُ أَنْ تَمِيلَا

أَلَا بَرَزَ الزَّبِيرُ فَأَيُّ وَصَفِ
بَرَزَتْ لَخَالِدٍ حَتْفًا لِحَتْفِ
وَتَدْفَعُهُ إِذَا ابْتَعَثَ الرَّعِيلَا

أَلَمْ تَرَهُ وَعِكْرَمَةً اسْتَعْدًّا؟
فَأَمَّا جَدَّتْ الْهَيْجَاءُ جَدًّا

بنى لهما رسول الله سداً ومثلك يُعجز الأبطال هداً
ويترك كل ممتنع مهيلاً
لمن يرث الممالك لا سواه أعد القائد الأعلى قواه
وبث الجيش أحسن ما تراه تعالى الله ليس لنا إله
سواه فوالله ودع الجهولا
رماة النبل ما أمر النبي فذلك لا يكن منكم عصي
إذا ما زالت الشم الجثي وكان لها انطلاق أو مضى
فكونوا في أماكنكم حلولا
رماة النبل ردوا الخيل عنا وإن نهلت سيوف القوم منا
فلا تتزحزحوا فإذا أذننا فذلك إن للهيحاء فناً
تلقنه الجهابذة الفحولا
تلق أبا دجانة باليمين حسامك من يد الهادي الأمين
وخذه بحقه في غير لين لتنصر في الكريهة خير دين
يرف على الدنى ظلاً ظليلاً
نصيبك نلت من فضل ربّ قضاة لصادق النجدات ضرب
تخطى القوم من آل وصحب فكان عليك عضباً فوق عضب
تبختر وامض مسنوناً صقيلاً
أبا سفيان لا يقتلك همّاً ولا يذهب بحلمك أن تذمّاً
أحين بعثتها شراً وشؤماً أردت هودة وطلبت سلماً؟
مكانك لا تكن مذللاً ملولاً
من الداعي يصيح على البعير أما لي في الفوارس من نظير
أروني همة البطل المغير إليّ فما بمثلي من نكير
أنا الأسد الذي يحمي الشبولا
تحده الزبير وفي يديه قضاء خف عاجله إليه
رمى ظهر البعير بمنكبيه وجرّعه منيته عليه
فأسلم نفسه وهوى قتيلاً
ألا بُعداً لطلحة حين يهذي فيأخذه عليّ شر أخذ

أُصِيبَ بِقَسُورِيَّ الْبَأْسِ فَذُّ يُعَدُّ لِكُلِّ طَاغِي الْنَفْسِ مَوْذُ
يَعَالِجُ دَاءَهُ حَتَّى يَزُولَا

أَمِنْ فَقْدٍ إِلَى فَقْدٍ جَدِيدٍ؟ لَقَدْ أَضْحَى الْلِوَاءُ بِلَا عَمِيدٍ
بَصَارِمَ حِمْزَةِ الْبَطْلِ النُّجِيدِ هَوَى عَثْمَانَ إِثْرَ أَخٍ فَقِيدِ
وَأَمَ الْكُفْرِ مَا بَرَحْتَ تَكُولَا

أَبَى شَرَّ الثَّلَاثَةِ أَنْ يَرِيْعَا فَخَرَّ عَلَى يَدَيَّ سَعْدٌ صَرِيْعَا
ثَلَاثَةٌ إِخْوَةٌ هَلَكُوا جَمِيْعَا وَرَاحَ مَسَافِعُ لَهُمْ تَبِيْعَا
رَمَتْ يَدَ عَاصِمٍ سَمًّا نَقِيْعَا تَوَرَّدَ جَوْفُهُ فَجَرَى نَجِيْعَا
وَجَاءَ أَخُوهُ يَلْتَمِسُ الْقَرِيْعَا فَأُورِدَ نَفْسَهُ وَرَدًّا فَظِيْعَا
وَإِنْ لِرَبِّكَ الْفَضْلُ الْجَزِيْلَا

رَمِيَتْهُمَا فَظْلًا يَزْحَفَانِ يَجْرَانِ الْجِرَاحُ وَيَنْزِفَانِ
وَخَلْفَهُمَا مِنَ الدَّمِ آيَتَانِ هُمَا لِلْكَفْرِ عَنَوَانِ الْهُوَانِ
تَرَى الرُّأْسَيْنِ مِمَّا يَحْمَلَانِ عَلَى الْحَجَرِ الْمَذْمُومِ يَوْضَعَانِ
أَمِنْ ثُدِيِّي سَلَافَةً يَرْضَعَانِ؟ تَقُولُ وَقَلْبُهَا حَرَّانِ عَانِ
عَلَيَّ الْجُودُ بِالْمِئَةِ الْهَجَانِ لِمَنْ يَأْتِي بِهَامَةٍ مِنْ رِمَانِي
فَوَاضِمَائِي إِلَى بِنْتِ الدَّنَانِ تَدَارُ بِهَا عَلَيَّ فَوَدَّعَانِي
وَمَوْتَا إِنْ لِلْقَتْلَى نَحُولَا

دَعَاةَ اللَّاتِ وَالْعِزَّى أَنْيَبُوا فَلَيْسَ لَصَائِحٍ مِنْكُمْ مَجِيْبُ
وَلَيْسَ لَكُمْ مِنَ الْحَسَنِ نَصِيْبُ لِرَبِّ النَّاسِ دَاعٍ لَا يَخِيْبُ
وَدَيْنَ الْحَقِّ يَعْرِفُهُ اللَّبِيْبُ وَمَا يَخْفَى الصَّوَابُ وَلَا يَغِيْبُ
رَوِيْدًا إِنْ مَوْعِدْكُمْ قَرِيْبُ وَكَيْفَ بَمَنْ يَصَابُ وَلَا يَصِيْبُ؟
سَلِيْبُ الْنَفْسِ يَتَّبِعُهُ سَلِيْبُ أَمَا يَفْنَى الطَّعِيْنَ وَلَا الضَّرِيْبُ
لِوَاءٍ لَيْسَ يَحْمِلُهُ عَسِيْبُ عَلَيْهِ مِنْ مَنَايَاكُمْ رَقِيْبُ

كِفَاكُمُ يَا لَهُ حَمْلًا ثَقِيْلَا! فَرَدَّ الْخِيْلُ دَامِيَةَ الشُّكِيْمِ
رَمَى بِالنَّبْلِ كُلَّ فَتَى عَلِيْمِ يَصْبُ عَلَى فِرَاعِنَةِ الْجَحِيْمِ
بَنْضَحٍ مِثْلَ شَوْبُوبِ الْحَمِيْمِ تَحَرَّضَ كُلُّ شَيْطَانٍ رَجِيْمِ
وَصَاحَتْ هَنْدٌ فِي الْجَمْعِ الْأَثِيْمِ

ألا بطل يذبُّ عن الحريم ويضرب بالمهند في الصميم؟
فهاجت كلُّ ذات حشى كليم تبتُّ الشجو في الهذر الذميم
وتذكر طارقًا دأب المليم يسيء ويدعى لأب كريم
وأين مكانهن من النعيم ومن جرثومة الحسب القديم؟
زعمن الشرك كالدين القويم لهنَّ الويل من خطب عميم

رمى الأبناء وانتظم البعولا

من البطل المعصَّب يختليها رقابًا ما يمل الضرب فيها؟
بأبيض تتقيه ويعتريها وتكره أن تراه ويشتهيها
لها من حده وإلٍ يليها وينتزع الحكومة من ذويها
بررت أبا دجانة إذ تريها وجيَّ الموت تطعمه كريها
صدت عن السفهية تزديها وتكرم سيفك العف النزيها
تولول للمنية تتقيها فأياها يا ابنة الهيجاء إياها
نجوت ولو رآك له شبها مضى العضب المشطب ينتضيها
حياةً مناجز ما يبتغيها إذا شهد الكريهة يصطليها
فأرسلها دمًا وهوى تليلا

مَقْتَلُ حَمْزَةَ (رضي الله عنه)

أبلى حمزة (رضي الله عنه) في وقعة أحد بلاء حسناً، وكان يقاتل بين يدي النبي ﷺ بسيفين، ويقول: أنا أسد الله، وقد أصيب ببضع وثمانين جراحة ما بين ضربة بسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم.

قتله وحشي الحبشي مولى جبير بن مطعم بن عدي، قال وحشي: إني لأنظر إلى حمزة يهد الناس بسيفه حتى عثر فانكشفت الدرع عن بطنه، فهزرت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت في ثنيته (موضع تحت السرة وفوق العانة).

خرج النبي ﷺ يلتمس حمزة، فوجده ببطن الوادي وقد بقر بطنه ومثّل به، فلم يكن أوجع لقلبه الشريف مما رأى وقال: «لن أصاب بمثلك، وما وقفت موقفاً أغيظ لي من هذا، رحمة الله عليك كنت فعولاً للخيرات وصولاً للرحم»، ثم صلى عليه وعلى إخوانه من الشهداء، وأمر بدفنهم، وقيل إنه أمر بدفنهم بدمائهم وثيابهم، فلم يغسلوا ولم يصلّ عليهم.

جعلت هند زوج أبي سفيان ومن معها من نساء المشركين يمثّلن بقتلى المسلمين، يجدعن آذانهم وأنوفهم، ويتخذن منها القلائد، وقد بقرت هند بطن حمزة وأخرجت كبده فلاكته، ولم تستطع أن تسيغها فآلقتها من فيها، وكانت قد نذرت أن تأكلها إذا قُتل، وقيل إن وحشياً هو الذي بقر بطنه وجاءها بكبده فأعطته ثيابها وحليها، ووعده أن تدفع له عشرة دنانير إذا رجعت إلى مكة، وجاء بها إلى مصرع حمزة فجذعت أنفه وقطعت أذنيه، ثم جعلت من ذلك كالسوار في يديها، وقلائد في عنقها.

صاحبُ السيفين ماذا صنعنا؟ ودّع الصفيين والدنيا معا

غاب عن أصحابه ما علموا
 غاب عن أعينهم في غمرة
 طلبوه وتنادى جمعهم
 يا رسول الله هذا حمزة
 إنه عمك إلا أذننا
 إنه عمك فانظر بطنه
 كبد الفارس ماذا فعلت
 نذر هند هي لولا أنها
 طفقت تمضغ من أفلانها
 كلما همت بها تدفعها
 نذرت يوم أبيها نذرها
 جاء وحشي فضجت فرحاً
 تبذلين الحلي والمال على
 يا له يا هند جرماً دامياً
 أفما أبصرت رُكني أحد
 وأبو سفيان ماذا هاجه؟
 غره في يومه ما غره
 يطعن الليث ويفري شذقه
 لو رآه يتحدى نفسه
 يذكر العزى ويدعو هبلاً
 أسد الله رماه ثعلب
 أخذته عثرة مزئودة
 زالت الدرع فغشى بطنه
 حربة ظمأى أصابت مشرعاً
 جزع الهادي لها نازلة
 تلك رؤياه وهذا سيفه
 ثلثة هدت من الكفر حمى

أي دار حل لما ودعا
 سد غول الهول منها المطلعا
 نكبة حلت وخطب وقعا
 أترى عينك منه المصرعا؟
 قطعت منه وأنفاً جدعا
 كيف شقوه وعاثوا في المعى؟
 أين طاحت؟ من قضى أن تُنزعاً؟
 لم تسغها أكلتها أجمعا
 علقماً مرّاً وسماً منقعا
 ملء شدقيها أبت أن تُدفعاً
 علّها تشفي الفؤاد الموجعا
 ويك إن الأرض ضجت فزعا
 أن جناه جاهلياً مفضعا
 ضاق عنه الصبر مما اتسعا
 حين سال الجرح كيف انصدعا؟
 أفما يزمع أن يرتدعا؟
 إن عند الغد سرّاً مودعا
 حين ألقى جنبه فاضطجعا
 لراها كيف تهوي قطعاً
 ويحه من ذاكر ماذا دعا؟
 يا له من حادث ما أبدعا
 ضجت الدنيا لها تدعو لعا
 دافق من دمه فادّرعاً
 كان من خير وبرٍّ مترعا
 جلّلت عليا قريش جزعا
 لا رعى الرحمن إلا من رعى
 زعم الكفار أن لن يُفرعا

بورك المضجع والقوم الألى	وسدوا فيه الشهيد الأروعا
مثل القوم به من بغيهم	ما نهاهم دينهم أو منعوا
ليس للأخلاق إلا دينها	يؤثر المثلى ويهدي من وعى
وعد الإسلام خيرًا من عفى	إن حسن العفو مما شرعا
سائل اللائي تقلدن الحلى	من جلود من رآها خشعا
أهي كاللؤلؤ أم أبهى سنًا	من غواليه وأسمى موضعا؟
بوركت إني أراها زُلْفًا	رفع الله بها من رفعا
لن يفوت الكفر منها ذابح	لا يُبالي أي جلد مزعا
يا لريب الدهر ما أفدحه	حادثًا نكرًا ورزءًا مفجعا
رجع الذكرى به مؤتنفًا	ولقد أشفقت أن لا يرجعا
شغل الأهل عن الأهل فيا	عجبًا للدهر ماذا صنعا؟
أفما أبصر إلا لاهيًا	أو معنًى بالأمانى مولعا؟
اذكروا يا قوم من أمجادكم	ما نسيتم رب ذكر نفعا

الرُّمَّةُ

لما قتل أصحاب لواء المشركين واحدًا بعد واحد انهزموا وتبعهم المسلمون يضعون فيهم السلاح وينتهبون الغنائم، فألقى نساؤهم الدفوف وذهبن إلى الجبل كاشفات سيقانهن صارخات مولولات، ففارق الرماة أماكنهم ونهاهم أميرهم عبد الله بن جبير (رضي الله عنه) فتركوه وانطلقوا يبتدرون الغنائم، إلا فريقًا منهم دون العشرة ثبتوا معه في أماكنهم.

نظر خالد بن الوليد إلى قلة من بقي في الجبل من الرماة، فكرَّ بالخيـل ومعه عكرمة بن أبي جهل فحملوا على هذه البقية فقتلوا ومثلوا بأمرها، وخرجت أحشائه لكثرة ما طعن بالرماح.

وأحاط المشركون بالمسلمين وقد شغلوا بالنهب والأسر، ووضعوا السيوف فيهم فتفرقوا في كل وجه، وانتقضت صفوفهم فاختلطوا وصار يضرب بعضهم بعضًا وهم لا يعلمون، وقيل إن مناديًا منهم قال: يا عباد الله، أخراكم؛ يريد: احترزوا من جبهة أخراكم، فعطفوا على أخراهم يقتل بعضهم بعضًا وهم لا يشعرون.

وذهبت طائفة منهم إلى المدينة فأقامت ثلاثة أيام ثم رجعت، فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾.

ثبت النبي ﷺ لما تفرق أصحابه، وصار يقول: «إليَّ يا فلان، إليَّ يا فلان، أنا رسول الله»، والنبـل يأتيه من كل ناحية، والله يصرفه عنه، وثبت معه جماعة من أصحابه واستمر أبو طلحة بين يديه — وكان رامياً مجيداً — ينثر كنانته ويقول: نفسي لنفسك الفداء، ووجهي لوجهك الوقاء، وما زال ﷺ يرمي عن قوسه الكتوم (التي لا يسمع لها صوت) حتى صارت شظايا.

أئن تولت جنود الشرك مدبرة
 كأنهم والرّعان الشم تقذفهم
 يخالهم من يراهم ساعة انطلقوا
 ردّوا على ابن جبير رأيه ومضوا
 أصابها خالد منهم وعكرمة
 فاستنفروا الخيل والأبطال وانطلقا
 هم خلّفوا رمم القتلى مطرّحة
 طاروا إلى جبل راس على جبل
 قال الرسول فأعطاه مقالته
 توزعوه فلو أبصرت مصرعه
 طعن وضرب يعاف البأس عندهما
 سلّوا حشاه فظلت من أسنتهم
 تتابع القتل يجتاح الألى معه
 تلك الدماء التي سالت على أحد
 ظلمتها ما لشيء مثل رتبتها
 لم يبق سهم ولا رام يُسدّده
 وكرت الخيل تردّي في فوارسها
 المسلمون حيارى كيف يأخذهم
 حلّوا الصفوف وجالوا في مغانمهم
 تنكّرت صور الهيجاء واتخذت
 خرساء صماء تُعمي عن معالمها
 مُغبرة الجو ما زال الخفاء بها
 ترى الليوث وإن كانوا ذوي رحم
 يعدو على مهجة الضرغام صاحبه
 هذا البلاء لقوم مال غافلهم
 قال اثبتوا فتولوا ما عصى أحد

خف الرماة وظنوا الأمر قد وجبا؟
 سيل تدفق في شؤبوبة صببا
 سهامهم حين جاش البأس فالتها
 إلا فريقا منهم رأى ما لم يروا فأبى
 أمنية لم تصب من ذي هوى سببا
 في هبوة تزدهي الأرماع والقضبا
 وغادروا الجند جند الله والسلبا
 ما اهتز مذ قام من ضعف ولا اضطربا
 وما سوى نفسه أعطى ولا وهبا
 أبصرت في الله منه منظرا عجبا
 سلاح من طعن الأبطال أو ضربا
 تموج في الدم يجري حوله سربا
 لولا المناقب لم يترك لهم عقبا
 لو أنبت الدم شيئا أنبتت ذهباً
 وإن تخطى المدى أو جاوز الرتبا
 تغيب الوابل الهطال واحتجبا
 بعد الفرار فأمسى الأمر قد حزبا
 بأس العدو أما ردوه فانقلبا؟
 ما ظنّ عسكريهم شرّاً ولا حسبا
 من الأعاجيب أثواباً لها قشبا
 عين البصير وتعيي الحاذق الدربا
 حتى تقنّع فيها الموت وانتقبا
 لا يتقي بعضهم بعضاً إذا وثبا
 ولا يجاوزه إن ظفّره نشبا
 عن رأي سيدهم إذ يُحكم الأربا
 منهم ولكن قضاء واقع غلبا

أمر من الله مرجوٌ عواقبه	يقضيه تبصرة للقوم أو أدبا
إن النبي ليمضي الأمر في وضح	من حكمة الله يجلو نوره الريبا
مسدد الرأي ما تهفو الظنون به	الخير ما اختار والمكروه ما اجتنبا
للسلم والحرب منه حازم يقظ	يُعيي الدهاة ويُردّي الجحفل اللجبا
إن الذي زين الدنيا بطلعته	حابی العروبة فيه واصطفى العربا

زياد بن عُمارة (رضي الله عنه)

كان من أعظم أبطال هذه الغزوة، ثبت بين يدي النبي ﷺ يتلقى السهام دونه ويدافع القوم عنه حتى أثقلته الجراح فسقط، فأمر النبي أصحابه وقال: «أدنوه مني»، فأفرشه قدمه الشريفة فمات وخده عليها.

أكان يزيد بأسك إذ تصاب؟	زيادة ذلك العجب العجائب
تكاثرت الجراح وأنت صلب	يهابك في الوغى من لا يهاب
قوى تنصبُ ممعنة حثًا	وللدم في مواقعها انصباب
تردُّ الهندوانيات ظمأى	يخادعها عن الرِّي السراب
تريد محمدًا والله واقٍ	فترجع وهي محنقة غضاب
زيادة دونه سور عليه	من النفر الألى احتضنوه باب
وما بمحمد خوف المنايا	ولا في سيفه خُلق يعاب
ولكن جلَّ منزلة وقدرًا	فبِرَّ رجاله ووفى الصحاب
هوى البطل المغامر واضمطت	قواه وخارت الهمم الصلاب
فتى صدقت مشاهده فظلت	تعاوره القواضب والحراب
وهى منه الأديم فلا أديم	وأعوزه الإهاب فلا إهاب
تمزقت الصحائف من كتاب	طواه في صحائفه الكتاب
تلقيه برحمته ورؤت	غليل جرحه السور العذاب
أيادي الله يجعلها ثوابًا	لكل مجاهد — نعم الثواب
أهاب محمد أدنوه مني	فذلك صاحبي المحض اللباب

أحاذر أن يعفره التراب	على قدمي ضعوا للَّيْثَ رَأْسًا
وماج الجو وامتدَّ العباب	ففاضت نفسه نورًا عليها
ويغرق في جوانبه السحاب	عباب تنطوي الآفاق فيه
ومن بركات خالقه حباب	مضى سعدًا عليه من الداراري
منضرة تحب وتستطاب	تلقته الملائك بالتحايا
مآبك إنه نعم المآب	وزخرفت الجنان وقيل هذا

مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ (رضي الله عنه)

قاتل مصعب بن عمير (رضي الله عنه) قتالاً شديداً في هذه الغزوة، وصنع الأعاجيب بين يدي رسول الله ﷺ، يدافع عنه ويقيه بنفسه، ولما قطعت يده اليمنى فسقط اللواء وهو يجاهد المشركين أخذه بيده اليسرى وبقي يعمل بين يدي الله ويدي رسوله، فلما قطعت يده اليسرى وسقط اللواء جثا عليه وضمه بعضديه إلى صدره، ثم دأب على القتال حتى قتله عبد الله بن قمئة يظنه النبي ﷺ، ثم رجع إلى المشركين يقول: قتلتم محمداً، وذلك بعد أن أقبل على المسلمين وهو يقول: أين محمد لا نجوت إن نجا، وفي رواية أن قاتل مصعب هو أبي بن خلف.

متزحزح فاصبر له يا مصعب
ما لا يخوض الفارس المتلعب
وتقيه من بأس العدى ما ترهب
أن الفداء هو الذمام الأوجب
غاو يضلُّ أو دَعِيَّ يكذب
من لا يرى أن الفداء المذهب
هذا هو المثل الأبرُّ الأطيب
أوفى بعهده إلهه يتقرب
ركب العظائم أن يهول المركب
تذرو الفوارس والمنايا وتُثب
ما انفكَّ يطعن في النحر ويضرب

هو مُرْتَمَى الأبطال ما لك دونه
ولقد صبرت تخوض من أهواله
ترمي بنفسك دون نفس محمد
تبغي الفداء وتلك سنة من يرى
دع من يعضُّ على الحياة فإنه
ما اختار نُصرة دينه أو رأيه
ما هذه المثل التي لا تنتهي؟
طاح الجهاد به شهيداً صادقاً
إيمان حر لا يبالي كلما
يرسو وأهوال الوقائع عصَّف
إن يضربوه ففارس ذو نجدة

كم هارب يخشى بواذر بأسه
الموت في وثباته يجري دماً
سقطت يداه وما يزال لواؤه
لو يستطيع لمدّ من أهدابه
يمناه أم يسراه أعظم حرمة
جارى منيته فكل يرتمي
حتى دعاه الله يرحم نفسه
إن كان ذلك من أعاجيب الوغى
إنّ امرأ كره الجهاد فلم يفز
ويخاف منه مشيئاً ما يهرب
والموت في نظراته يتلهب
في صدره يحنو عليه ويحب
سبباً يشد به إليه ويجذب
أم ساعده وصدرة والمنكب؟
في شأنه جلاً وكل يدأب
فأجاب يلتمس القرار ويطلب
فالبخل بالدم في المحارم أعجب
بالموت في غمراته لمخيّب

المؤمنون والمنافقون

لما ذهب ابن قمئة يقول إني قتلت محمدًا، جاء أبو سفيان إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بعد أن كان من أمره ما كان، فقال: أنشدك الله يا عمر، أقتلنا محمدًا؟ قال عمر: لا وإنه ليسمع كلامك الآن، قال: أنت أصدق عندي من ابن قمئة وأبر. قال قوم من المؤمنين: إن كان محمد قد قتل أفلا تقاتلون على دين نبيكم وعلى ما كان عليه نبيكم حتى تلقوا الله شهداء، وقال نابت بن الدحداح (رضي الله عنه): يا معشر الأنصار، إن كان محمد قد قتل فإن الله حي لا يموت، قاتلوا على دينكم فإن الله مظفركم وناصرهم، وفي هؤلاء نزل قوله تعالى: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾. هال بعض المؤمنين الأمر فظلوا حيارى، ولكن الله ثبت قلوبهم وحفظ عليهم إيمانهم، فلم يزلوا ولم يمسكوا عن القتال.

قتيلًا ويأبى الشيخ إلا تماديا
فأبدى له الفاروق ما كان خافيا
ليسمعه من جاء بالحق هاديا
فراحوا سكارى يُكثرون الدعاويا
يخافون من بعد النبي الدواهيا
سراعًا يجزؤون الظبى والعواليا
تردّى قتيلاً؟ ليته كان باقيا
وقد جاوز الغيظ الحشا والتراقيا

يقوا أبو سفيان أودى محمد
فلما أراد الحق أقبل سائلاً
وقال له لا يعمل صوتك إنه
كذلك ظن القوم إذ طاح مصعب
وريعت قلوب المؤمنين فأجفلوا
وزلزل قوم آخرون فأدبروا
يقولون ما نبغي وهذا نبينا
فما أقبلوا حتى انبرت أم أيمن

تعفّر منهم أوجّها ونواصيا
 يبارك منكم بعد ذلك ثاويا
 فيا ويحكم إذ تتّقون الأعاديا
 جهادًا يرينا مصرع الشرك داميا
 فذا مغزلي وليعطني السيف ماضيا
 لأرسلت شؤبويًا من الدمع هاميا
 من الخير تقضين الحقوق الغواليا
 يمُجّ دما منهم وتسقين صاديا
 يفوت المدى الأقصى إذا جدّ ساعيا
 أطاشت يده أم رمى منك غازيا
 فيصدف عنها وإفرّ البر وافيّا؟
 كدين حباب إنه كان غاويا
 فأمسى رسول الله جذلان راضيا
 جوانح لولا الله ظلت نوازيا
 قواعده أمست ثقلاً رواسيا
 ويرجع عنه واهن الظفر واهيا
 فأبعد شيء أن يرى منه ناجيا
 كفى ببيقين المرء للمرء واقيا

تدافعهم غضبي وتحثو ترابها
 تقول ارجعوا ما بالمدينة منزل
 أمن ربكم يا قوم تبغون مهرّبًا
 ألا فانصروا الدين القويم وجاهدوا
 فمن خاف منكم أن يعود إلى الوغى
 لك الخير لو تدرين ما قال معتب
 جزى الله ما قدمت يا أم أيمن
 تطوفين بالجرحى تواسين شاكّيّا
 سعى بك من إيمانك الحق دائب
 عجبت لمن يرميك ماذا بدا له؟
 ألم ير هنذا يرحم السيف ضعفها
 تورّع عنها مؤمن ليس دينه
 جزاه بها سعد إساءة ظالم
 وإذا أنزل الله النعاس فأمسكت
 كذلك إيمان النفوس إذا رست
 ينام الفتى والموت يلمس جنبه
 يجانبه حتى إذا جاء يومه
 فما اسطعت فاجعل من يقينك جنة

* * *

ولاحت عيون الحرب حمرا روانيا
 ويولع بالفتك الليوث الضواريا
 ويصرعهم في حومة البأس داميا
 بهم أثرا من ساطع الدم باديا
 ليخفى من الأسرار ما ليس خافيا
 وللرمي ألّهوب يواليه حاميا
 فغادرها حتّى يرى الحق عاليا
 قضاء على القوم المناكيد جاريا

هوت من عيون الساجعين سناتها
 وهبّ أمير الغيل يدفع دونه
 يزلزل أبطال الكريهة مقدّمًا
 توالّت جراحات الكتوم فأسأرت
 تضرّن بنجواها وتكتم صوتها
 تظل شظاياها تطاير حوله
 هو القائد الميمون ما خاض غمرة
 أبا طلحة انظر كيف يرمي وجاره

ويا سعد لا ترفق بقوسك وارمها
ودونك فاضرب يا سهيل نحورهم
وعينك فاحمل يا قتادة عائداً
ألا ليتني أدركت أم عمارة
وأشهد من حول النبي بلاءها
وأجعل من وجهي وقاء لوجهها
ويا ليت أني قد حملت جراحها
تفيض على الجرحى حناناً وتصطلي
كذلك كان المسلمون وهذه
إذا الحادثات السود عبَّ عبابها
مناقب للدنيا العريضة هزة
لها من معاني الخلد كلُّ بديعة
ووا أسفى إن لم تجد من شيوخهم
إذا ما رايت الهدم للقوم ديدناً

سهاماً أصابت من يد الله باريا
ودعني أصف للناس تلك المرائيا
بمن لا ترى من دونه لك شافيا
فألثم منها موطئ النعل جاثيا
وأنشدها في الله هذي القوافيا
إذا ما رماها مشرك من أماميا
وكننت لها في المأزق الضنك فاديا
من الحرب ما لا يصطلي الليث عاديا
سجايا اللواتي كنَّ فيهم دراريا
كففن البلايا أو كشفن الدياجيا
إذا ذكرتُ فليشدُّ من كان شاديا
فيا ليت قومي يفهمون المعانيا
حفيظاً يُلَقَّاها ولم تُلفِ واعيا
فوارحمتا فيهم لمن كان بانيا

عَبْدُ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)

هو من أعظم أبطال غزوة أحد، استشهد فيها على يد أبي الحكم بن الأخنس بن شريق الذي قُتل كافرًا قبل انتهائها، وكان عبد الله من جملة الشهداء الذين مثَّلَ بهم المشركون ونسأؤهم، ومن حديثه أنه دعا على نفسه قبل الغزوة فقال: اللهم ارزقني غدا رجلاً شديداً بأسه فيقتلني، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك قلت: يا عبد الله، فيم جدع أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفي رسولك، فتقول: صدقت (وهو ابن أميمة بنت عبد المطلب).

أبشر فذلك ما سألت قضاة	رب هداك فكنت عند هداة
آثرته ورضيت بين عباده	من صالح الأعمال ما يرضاه
قتلوك فيه تردُّهم عن دينه	صرعى وتمنع أن يباح حماه
وبغوا عليك فعذبوا الجسد الذي	ما للكرامة والنعيم سواه
هي دعوة لك ما بسطت بها يداً	حتى تقبَّل واستجاب الله
ولقد رأيت حمى الجهاد فصف لنا	ذاك الحمى القدسيَّ كيف تراه؟
ماذا جزاك الله من رضوانه	وحباك في الفردوس من نعماه؟
ماذا أعد لكل برٍّ متَّقٍ	غوت النفوس فما أطاع هواه؟
أرأيت عبد الله كيف بلغته	شرقاً مدى الجوزاء دون مداه؟
دمك المطهر لو أُتيح لهالك	أعيا الأساة شفاؤه لشفاه
صوت يهيب لكل شعب غافل	طوبى لمن رزق الهدى فوعاه
معنى التفوق في الحياة فمن أبى	إلا الصدود فما درى معناه

الأمر رهن الجد ليس بنافع قول الضعيف لعله وعساه
تشقى النفوس ولا كشقوة خاسر لا دينه استبقى ولا دنياه
والمرء يرغب في الحياة وطولها حتى يكون الموت جُلَّ مناه

* * *

أوتيت نصرًا يا محمد ساطعًا يبقى على ظلم العصور سناه
لك من دم الشهداء بأس لم يقم في الأرض دينك عاليًا لولاه
ما تنقضي لأمام حقٍّ قوة إلا تزيد على الزمان قواه

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

والدين معتصم ببأس إمامه
ويصون بيضته بحدّ حسامه
لو كان يدعى في الوغى بغلامه
ويُبَيِّن المأثور من أحكامه
وجنوده في حربيه وسلامه
ما صحّ من دستوره ونظامه
ووفى بعهد إلهه وذمامه
حتى يدين مرامهم لمرامه
فيكفّ عن طغيانه وعُرامه
والنور من دين العمى وظلامه
أنّ قد سقته يداه كأس حمامه
يتخبط المفتون في أوهامه
وأردت صرحاً لست من هُدَامه
وأطال من عرنينه وسنامه
في الداعمين بناءهم كِدْعامه
فانهض إليه إن استطعت وسَامِه
يغتال عزم الليث في إقدامه
فانظر إلى الساقى ورّوعة جامه

هذا إمام الدين في أعلامه
يحمي حقيقته بقوة بطشه
شيخ الجهاد يود كل مجاهد
عالي اللواء يقيمه بحدوده
المصلحون على الزمان سيوفه
عرفوا الجهاد به ومنه تَعَلَّمُوا
غضبت قريش أن جفا أصنامها
يغزو فوارسهم ويقتل جمعهم
ويرى المحجّة كلّ غاوٍ منهم
ويتوب جاهلهم إلى دين الهدى
دَلَفُوا إليه وظنّ أكذبهم مُنَى
أكذاك ينخدع الغبيّ وهكذا
مهلاً أبى لقد ركبت عزيمة
صرح بناه الله أول ما بنى
لا يبلغ الباني ذراه ولا يرى
مهلاً أبى فإن جهلت مكانه
أقْدِم فخذها طعنة من باسل
تلك المنية يا أبى سقيتها

لَمْ تَشْتَكِي وَتَضُجُّ مِنْ آلامِهِ؟
أَعَدَدْتَهُ وَجَعَلْتَهُ لَطْعَامَهُ؟
عَادَى إِلَهَهُ وَلَجَّ فِي آثَامِهِ
يُلْقَى إِلَى غُولِ الرَّدَى بِزِمَامِهِ
حَتْفًا يَمْزِقُ لَحْمَهُ بَعْظَامَهُ
أَشْقَى وَأَخِيبَ آخِذَ بِلِجَامِهِ
جَثْمَ الْحِمَامِ عَلَيْهِ قَبْلَ قِيَامِهِ
مُتْرَافِيًا يَنْصَبُّ فِي أَجْرَامِهِ
أَعْيَا الرَّدَى الْمُحْتَالَ فَضْ صَمَامِهِ
وَدَمَ الْجَرِيحِ يَبْلُ حَرَّ أَوَامِهِ
وَسُمَّ الْمَنِيَةِ مِنْ جِلَى صَمَامِهِ
مَا يَذْبَحُ الْجَزَارَ مِنْ أَنْعَامِهِ
بِحَجَارَةِ تَهْوِي هُوِيَّ سَهَامِهِ
مِنْ كُلِّ غَاوٍ جَدَّ فِي إِجْرَامِهِ
طَلَقَ الْمُحْيَا فِي الْوَعَى بِسَامِهِ
فَلَقَدْ جَرَى مِنْ قَبْلِ فِي إِلَهَامِهِ
بِالْبَالِغِ الْمَوْفُورِ مِنْ إِنْعَامِهِ؟
مِنْ لَيْسَ بِالصَّرُوفِ عَنْ أَصْنَامِهِ
هُمْ عِنْدَ نَصْرَتِهِ وَفِي إِكْرَامِهِ
خُلِقَ يَتَمُّ الْمَجْدَ عِنْدَ تَمَامِهِ
هَلْ لَامَرِيٍّ فِي الدَّهْرِ مِثْلَ مَقَامِهِ؟
وَالسَّادَةِ الْبَانُونَ مِنْ خَدَّامِهِ
لِلْعَالَمِ الْوَحْشِيِّ مِنْ أَسْقَامِهِ
مِنْ ضَلَّ بَيْنَ حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ؟
يَمْشِي بِهِ جَبْرِيلُ فِي أَعْلَامِهِ
فَوْقَ الْحَصَى مِنْ خَلْفِهِ وَأَمَامِهِ
يَقْضِي لَهْنَ الْحَقِّ مِنْ إِعْظَامِهِ

خَدَشَ كَوَقَعَ الظَّفَرَ أَوْ هُوَ دُونَهُ
أَبِّيَّ أَيْنَ الْعَوْدُ وَالْعَلْفُ الَّذِي
إِذْهَبَ لَكَ الْوِيلَاتُ مِنْ مَتَمَرِدٍ
لَكَ مِنْ قَتِيلِ الْكَبِشِ أَشَامُ صَاحِبِ
أَخَذَ النَّبِيَّ بِضَرْبَةٍ كَانَتْ لَهُ
وَلَمَنْ تَقْدِمُ فَوْقَ صَهْوَةٍ عَاثِرِ
هُوَ فِي الْحَفِيرَةِ دُونَ حَصْنِ مُحَمَّدٍ
أَلْقَى الْقَضَاءُ عَلَيْهِ مِنْ أَثْقَالِهِ
أَرَادَهُ بَابِنَ الصَّمَّةِ الْبَطْلِ الَّذِي
يَغْشَاهُ سَيْفُ الْعَامِرِيِّ فَيَنْثَنِي
سَلِمْتَ يَدَاكَ أَبَا دِجَانَةَ مِنْ فَتَى
أَحْسَنْتَ ذَبْحَ الْمُشْرِكِينَ فَأَشْبَهُوا
يَا وَيْلَهُمْ إِذْ يَقْذِفُونَ نَبِيَّهُمْ
كَسَرُوا عَوَارِضَهُ وَشَجَّوْا وَجْهَهُ
يَجْرِي الدَّمُ الْمَدْرَارَ مِنْ مَتَهَلَّلٍ
لَا يَعْجَبُ الْكَفَّارُ مِنْ مَسْفُوحِهِ
مَا ظَنَّهُمْ بِاللَّهِ يُوَثِّرُ عِبْدَهُ
لَنْ يَسْتَطِيعَ سَوَى الضَّلَالَةِ مَذْهَبًا
لَمْ يَخْذَلُوهُ وَلَمْ تَفْتَهُ كَرَامَةُ
صَبْرُ الْمُشْمَرِّ لِلْجِهَادِ عَنِ الْأَذَى
هَذَا مَقَامُ مُحَمَّدٍ فِي قَوْمِهِ
الْقَادَةَ الْهَادُونَ مِنْ أَتْبَاعِهِ
اللَّهُ أَرْسَلَهُ طَبِيبًا شَافِيًا
الْأَمْرَ بَانَ فَأَيْنَ يَلْتَمِسُ الْهَدَى
رَكْبُ النَّبِيِّ إِلَى الْمَدِينَةِ عَائِدِ
يَتَوَسَّطُ الْجَرْحَى تَسِيلَ دِمَاؤُهُمْ
وَيَمْدُ فَوْقَ الْمُؤْمِنَاتِ جَنَاحَهُ

أَدَّينَ مَسْنُونِ الْجِهَادِ وَذُقْنَ فِي
شَمَتِ الْيَهُودِ وَأَرْجَفِ النَّفَرِ الْأَلَى
قَالُوا أَصِيبَ مُحَمَّدٌ فِي نَفْسِهِ
مَا تِلْكَ مَنْزِلَةُ النَّبِيِّ فَإِنَّمَا
جَلَّتْ مَطَالِبُهُ فَرَّاحَ يَرِيدُهُ
لَوْ أَنَّ قَتْلَى الْحَرْبِ كَانُوا عِنْدَنَا
هَاجُوا مِنَ الْفَارُوقِ غَضْبَةً وَاثِقَ
فَدَعَا أُيْتُرِكَ رَأْسَ كُلِّ مَنَافِقِ
قَالَ النَّبِيُّ وَكَيْفَ تَقْتُلُ مُسْلِمًا
صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مِنْ مَتَحَرِّجِ
سَمَحِ الشَّرِيعَةِ وَالْخِلَالِ مُسَدِّدِ
وَهَجِ الْجِلَادِ الْحَقِّ حَرَّ ضَرَامِهِ
طَبَعَ النِّفَاقِ قُلُوبَهُمْ بِخَتَامِهِ
وَرَجَالَهُ وَأَصِيبَ فِي أَحْلَامِهِ
يُؤْتَى النَّبِيَّ النَّصْرَ عِنْدَ صَدَامِهِ
مُلْكًا يَدُومُ جَلَالُهُ بِدَوَامِهِ
مَا هَدَّ هَالِكُهُمْ ذَوِي أَرْحَامِهِ
بِاللَّهِ لَا يُصْغِي إِلَى لَوَامِهِ
فِي الْقَوْمِ يُوْذِنَا بِسُوءِ كَلَامِهِ؟
أَفَمَا تَخَافُ اللَّهَ فِي إِسْلَامِهِ؟
جُمُّ الْأُنَاةِ يَعْفُ عَنْ ظِلَامِهِ
فِي نَقْضِهِ لِلْأَمْرِ أَوْ إِبْرَامِهِ

غَزْوَةُ حَمْرَاءِ الْأَسَدِ

هو مكان على ثمانية أميال من المدينة، وكان الخروج إلى هذه الغزوة يوم الأحد سادس عشر شوال في السنة الثالثة من الهجرة، على أثر رجوع المسلمين من غزوة أحد، دعا إليها النبي ﷺ بعد صلاة الصبح، وأمر ألا يخرج معه أحد ممن تخلف عن أحد، وكانت جراحه وجراح الذين أصيبوا معه في هذه الغزوة لا تزال كما كانت، فلم يتخلف أحد منهم.

وسبب الخروج إلى حمراء الأسد أن عبد الله بن عمرو المزني جاء إلى الرسول الكريم وأخبره أن أبا سفيان يريد الرجوع إلى المدينة بمن معه ليستأصل من بقي من أصحابه، وأن المشركين يحرضونه على القتال، ولما رجع معبد الخزاعي من عند النبي إلى أبي سفيان بالروحاء وصف له بأس المسلمين وقوة جيشهم، ثم نهاه عن القتال، فانصرف خائفًا إلى مكة.

ربض الموت بحمراء الأسد
فتمادى الغيظ واشتد الحسد
كل جبار فأمسى قد همد
مردفات تشتكي مما تجد
تتلظى من قریش في الكبد
شبهها أبطال بدر وأحد
منذ حين وهي حرى تتقد
لا تطعه مرشدًا يأبى الرشد

أقبلوا أو فاتقوا سوء المرد
غاظكم أن لم تنالوا مأربًا
كيف ينجو من رمى من قومكم
لم لا تُزجى السبايا فترى
لا تدعها يا ابن حرب جذوة
يا ابن حرب أطفئ النار التي
كل حرب خمدت نيرانها
لا تطع صفوان وانبذ رأيه

إرجعوا فاستأصلوا أعداءكم
حاربوا الله وزيدوا شططاً
حاربوه وانصروا أصنامكم
يا ابن عمرو هات من أنبائهم
لك أذنٌ من رسول الله في
شاوِر الصديق فيهم ودعا
إنها الهيجاء يا خير الورى
ارفع الصوت وأذن بالوغى
أدع من خاض المنايا واصطلى

تلك عز الدهر أو مجد الأبد
إنها فتنته في من جحد
لا تبالوا من قواه ما حشد
ما رأت عيناك من هزل وجد
حدّ عضبٍ يتَّقِيه كل حد
يسأل الفاروق ما الرأي الأسد؟
ما لنا منها ولا للقوم بدّ
يا بلال الخير أذن واقصد
جذوة الأمس وأمسك لا تزد

نفر القوم خفافاً ما ونى
دعوة الحق استفرّت جابراً
جاء يشكو كيف يُنفى دمه
لم أغبّ عن أحد لولا أبي
فاز بالرضوان إذ خلفني
ومضى قبلي شهيداً فأنا
أنعم الله عليه فشفى
سار في الجيش وخلّى همه
فزت يا جابر فانعم وابتهج

منهم الجرحى ولا استعفى أحد
فاستفزت هبرزيّاً ذا لبد
وهو لله يُرَبِّى ويعد؟
يا رسول الله والجد النكد
في قوارير كثيرات العدد
أبتغي الزلقى لدى الفرد الصمد
ما يعاني من تباريح الكمد
يصطليه من تولى وقعد
أفلح الوالد واستعلى الولد

ذهب السكب حثيثاً فانجرد
يحمل الويل لقوم غرهم
زعموا الحق حديثاً يُفترى
وتماروا في النطاسيّ الذي
ساحر آنا وآنا شاعر
سطع النور لمن يأبى العمى

يحمل البأس ترامى فاطرد
من ذويهم كل شيطان مرد
ورضوا بالشرك ديناً يُعتقد
يصلح الأمر إذا الأمر فسد
ما رأوا من سحره ماذا قصد؟
فعلى عينيه يجني من يصد

من رأى الضعف على الضعف انطوى حمل الجرح على الجرح فتى إليه عبد الله أشهد رافعاً ألقه عن منكب لو ماد من ما لحق الله إلا مؤمن إيه عبد الله ما أصدقها يا أبا سفيان أنصت واستمع إن ترد خيراً فهذا معبد جمع الغازي لكم من صحبه انظروا النيران هل تحصونها؟ واسألوها إنها ألسنة لا تريدوا من بريد غيرها لا تظنوا أنكم أكفأؤهم اذكروا الأبطال تهوي واتقوا	فإذا القوة والعزم الأشد؟ موجع الكاهل مهدود الكتد غزوة الحمراء في القوم الشهد هضب رضوى كل عالٍ لم يمد لا يبالى غيره فيما اعتمد همة صماء تأبى أن تهد ثم أنصت واتئد ثم اتئد أولم ينبئك أن الأمر إد؟ وذويه كل صنديد نجد إنها شتى ترى من بعد يا ابن حرب للمنايا الحمر لد إنها من قومكم خير البرد إنها منكم لأحلام شرد حاصد الموت كفاكم ما حصد

أرايت الرعب يغتال القوى رجع القوم سراعاً وارعوى وتولوا فتولت أنفس يقذف الوادي بهم قذف الحصى غارة الله على أعدائه سوم الأحجار لو صبت على	مستبداً بالعتي المستبد؟ عاصف الشر فأمسى قد ركد تتنزى وقلوب ترتعد تبلغ الريح به أقصى الأمد تتوالى مدداً بعد مدد ذلك الجمع المولى لم يعد

يا أبا عزة ماذا تتقي؟ أين تمضي؟ كل شيء مصرع	يا أبا عزة أقبل لا تجد كل فج من فجاج الأرض سد

هل رعى السيف دمًا من عابث ناكثٍ من كل عهد ما عقد؟
تطلب العفو وتهذي ضارعًا ببنيّات ضعيفات الجلد
أولم يمنن عليك المرتجى لذوي الضعف فأكثرث الفند؟
تنظم الشعر ملحًا حرًا ويك خذها ضربة تشفي الحرد

* * *

وثب العدل يوالي صيده وهو ظلم فاتك إن لم يصد
أخذ الذئبين في أنيابه ما يبالي منهما ما يزدرد
لا تعودوا من صريعي شقوة وليعد من كل حي من سعد
موغل في الشر يسعى دائبًا وحقود لو تزكى ما حقد
جاهليّ زل في إسلامه فهو من بعدما كان صمد
أخطأته حظوة كانت له حظوة الساعي وفوز المجتهد
احذر العقبي فما يدري الفتى أيّ ورد إن دعا الداعي يرد

* * *

ابتدر يا سعد فالزاد نفذ واصطناع الخير أشهى ما تود
إبعث التمر على العير لها من سجاياك العلى حادٍ غرد
تحمل التقوى وتمضي سمحة في سوّى ليس فيه من أود
موقرات أقبلت في جزر تطرد العسر بيسر ورغد
ردت الجوع وصانت أنفسًا هي لله سيوف ما ترد
لك يا سعد لديه ولها من جزاء غير نزر ما وعد

غزوة بني النضير

كانت هذه الغزوة في ربيع الأول من السنة الرابعة، وبنو النضير قوم من اليهود نقضوا العهود، وذهب إليهم النبي ﷺ في أصحابه فجلس إلى جنب جدار من بيوتهم، فخلا بعضهم ببعض يأترون به، وأراد رجل منهم — يقال له عمرو بن جحاش — أن يلقي عليه صخرة من أعلى الجدار ليقتله، فنبأه الله بذلك، فقام من مكانه، وقد انتهت هذه الغزوة بقهرهم، وإجلათهم عن ديارهم.

الجيش محتشد والسيف مسلول
كفوا الأذى ودعوا العدوان أو زولوا
فظن أن رسول الله مقتول
من رحمة الملك القدوس جبريل
لا تتقوا القوم إن النصر مكفول
لو أن نصح ذوي الألباب مقبول
عمّا أردت ولا يهديك معقول؟
يغنون عنكم وأنى يصدق القيل؟
والقوم من غطفان غالهم غول
لهم الحماة إذا ما استصرخ الغيل
إلا السيوف ويقضي الأمر عزريل
عن مركب البأس أطام بها طول؟
كلُّ بغيض وكلُّ بعد مملول

ما الكيدُ ما الغدر ما هذي الأباطيل؟
بني النضير وما تغني معاقلكم
إن القتيل لمن غرته صخرته
جاء البريد بها حرّان يحمله
ما أكذب ابن أبيّ إذ يقول لكم
أولاكم النصح سلام وأرشدكم
مهلاً حييُّ أما تنهاك ناهية
لا الحلف حق ولا الأنصار إن صدقوا
بنو قريظة هدّ الخوف جانبهم
إن الألى جمع الليث الهصور لكم
أتطلبون دم الإسلام؟ لا حكم
هل ينفع القوم إن أزرى بهم قصر
ملؤا الحياة وملّتهم معاقلهم

يدعو كنانة محزوناً وصاحبه
يا قومنا أرايتم كيف يخلفكم
دعوا الحصون وزولوا عن مساكنكم
قضى النبي فما من دون مطلبه
وليس للأمر إذ يُقضى على يده
زال الخفاء وبعض القول تضليل
من كل ذي مقّة وعد ومأمول؟
حُمّ القضاء وأمر الله مفعول
وسوله مطلب للقوم أو سول
بالحق من ربه رد وتحويل

* * *

تلفتوا ينظرون الدور شاهقة
والماء ينساب والأطلال وارفة
قالوا أيذهب هذا كله سلباً
وأقبلوا يهدمون الدور فاختلفت
لها على الكره في أرجائها لغة
الروح يهتف والإسلام مبتهج
من حولها النخل تحنيها العثاكيل
والزرع في شطئه بالزرع موصول
للقوم من بعدنا؟ تلك العقابيل
فيها المعاول شتى والأزاميل
كما تردد في الأسماع ترتيل
والكفر في صعقات الهول مخبول

* * *

يا للركائب إذ تمشي مذممة
العز في عرصات الدور مطرّح
قالوا الرحيل فما أصغت مثقفة
نادى الموكل بالأدنى يعللهم
هذا الذي يرفع الدنيا ويخفضها
مواكب العار لا وسمّ الهوان بها
ما في الهوادج والديباج يملؤها
وما الأساور والأقراط نافعة
تشدو القيان بأيديها معازفها
تجلّدوا يتقون الشامتين بهم
فيم الشماتة هل كانوا ذوي خطر؟
لهم بخير أقدار مؤجلة
والقوم من فوقها سود معازيل
والمال والحلي في الأكوار محمول
ولا استجاب طرير الحد مصقول
وفي الأباطيل للجهاال تعليل
هيهات ذلك إرجاف وتهويل
خاف ولا أثر الخذلان مجهول
للخزي ملء وجوه القوم تبديل
ولا العقود الغوالي والخلاخيل
وما عليها غداة الجدّ تعويل
لبئسما زعم القوم المهازيل
بل غال أعلامهم ظنّ وتخيل
وأذرعات وللأقدار تأجيل

* * *

غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ

أدركتها يا ابن وهب نعمة نصرت
تلك الوسيلة من تعلّق بها يده
وأنت يا ابن عمير زدت مرتبة
أنكرت فعلة عمرو حين همّ بها
رميته من بني قيس بمقتنص
أتلك إذ صدقت يا عمرو أم حجر
في القوم جدك والمغرور مخذول
لم يعدّه من عطاء الله تنويل
وللمراتب عند الله تفضيل
فالنفس غاضبة والمال مبذول
يمشي الضّراء فامسى وهو مأكول
يرمي به الصادق المأمون إجفيل؟

غزوة ذات الرقاع

اختلفت الروايات في شأن هذه الغزوة، فقول: إنها كانت في شهر ربيع الثاني، وقيل: في جمادى الأولى من السنة الرابعة بعد غزوة بني النضير، وفي بعض الروايات أنها كانت بعد غزوة خيبر، وقيل في تسميتها «ذات الرقاع» إن المسلمين نقبت أقدامهم وسقطت أظفارهم فيها، فلفوها بالخرق، فسموها ذات الرقاع، وقيل: إنها سميت كذلك لأنهم رفعوا راياتهم فيها، وقيل غير ذلك.

وسببها أن النبي ﷺ علم أن بني محارب وبني ثعلبة «بنجد» يؤلبون الجموع من غطفان لمحاربتهم، فخرج إليهم في أربع مئة، أو سبع مئة، أو ثمان مئة من أصحابه، فلما بلغ نجدًا لم يجد رجالًا يقدمون على حربه، وهمت طائفة منهم أن يوقعوا بالمسلمين عند صلاة الظهر، فصلى النبي بهم صلاة الخوف، وترقبوا صلاة العصر فكانت كذلك: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَالدِّينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ الآية، ولم تنشب الحرب في هذه الغزوة التي وقع فيها من العجائب ما جعلهم يسمونها (غزوة العجائب)، وقد وجد المسلمون بعض النسوة فأخذوهن.

إلى القوم الألى جمعوا الجموعا	إلى نجد كفى نجدًا هجوعا
أبت شمس الهدى إلا طلوعا	ففاض شعاعها يغشى الربوعا
ويسطع في جوانبها سطوعا	
إلى غطفان إنهم استعدوا	وظن غواتهم أن لن يهدوا

بني غطفان جدُّوا ثم جدُّوا جرى القدر المتاح فلا مردُّ
بني غطفان صبرًا أو هلوعا
مشى جند النبي فأَيُّ جند؟ وأين مضى الألى كانوا بنجد؟
تولَّى القوم حشدًا بعد حشد حذار البطش من جنٍّ وأسد
ومن ذا يشتهي الموت الفظيعة؟
نساء الحيِّ ما صنع الرجال؟ أمكتوب عليكِنَّ القتال؟
لَكُنَّ الأمن إن فزعوا فزالوا أما ومحمد وهو الثمال
لقد نلتنَّه حرزًا منيعا
إليه إليه إنَّ بكنَّ ضعفا وإن به لمرحمةً وعطفا
وفيه من التقى ما ليس يخفى وما حاولت ترجمةً ووصفا
فلست لمثل ذلك مستطيعا
نزيلَ الشعب من يحمي سواكا ولكن قل تبارك من هداكا
أترقد ها هنا وهمو هناكا؟ أما من كالى يُرجى لذاكا
إلى أن يبعث الله الصديعة؟
ألا طوبى لعباد بن بشر وعمارٍ كفاية كل أمر
رسول الله نحن لهم ويجري قضاء الله إن طرقوا بشرَّ
كعهذك إذ جرى سمًّا نقيعا
وأجرى الأمرَ عبَّادٌ سويًا فقام ونام صاحبه مليًا
وكان بأن يناصفه حريًا محافظة على المثلى وبُقيًا
قريع شدائد وافى قريعا
لربك صلِّ يا عباد فردا وزد آلاه شكرًا وحمدا
ومحكم ذكره فاجعله وردا فإنَّ له على الأكباد بردا
وإنَّ أذكى الجوانح والضلوعا
ولا ح سواده فرماه رام أتى إثر الحليلة في الظلام
فديتك يا ابن بشر من همام أما تنفك عن نزع السهام
تحامي عن صلاتك ما تحامي وجسمك واهن الأعضاء دام؟
أما لك يا ابن بشر في السلام وقد جرت الدماء على الرغام؟

ألا أيقظ أخاك من المنام كفاك فقد بلغت مدى التمام
وما تدع القنوت ولا الخشوعا
رأى عمَّار خطبك حين هبَّا فلم ير مثله من قبل خطبا
يقول ونفسه تنهدُّ كربا أيدعوني الحفاظ وأنت تأبى؟
لقد كُلفتُ أمرًا منك صعبا ولو أيقظتني لشفيت قلبا
جرحت سواده جرحًا وجيعا
وأبصر شخصه الرامي الملحُّ فزلزل قلبه للربع نضح
وأمسك منه تهتان وسحَّ وما إن راعه سيف ورمح
ولكن مسَّه خبلٌ فريعا
تولَّى يخبط الظلماء ذعرا ويحسب درعه كفئًا وقبرا
ألا أدبر جزاك الله شرًّا ظفرت بصابر وأبيت صبرا
فأثرت الهزيمة والرجوعا
وجاء غويرث يبغي الرسولا ويطمع أن يغادره قتيلا
كذلك قال يستهوي القبيل غويرث رمت أمرًا مستحिला
فهل لك أن تثوب وأن تريعا؟
أتيت محمدًا تبدي السلاما وتخفي الغيظ يضطرم اضطراما
تقول مخاتلاً أرني الحساما وتأخذه فلا ترعى الذماما
أغدرًا؟ يا له خلقًا وضيعا
تهمُّ به ولسنت بمستطيع فأين مضارب السيف الصنيع؟
وكيف وهت قوى البطل الضليع؟ تعالى الله من ملك رفيع
يريك جلاله الصنع البديعا
سألت رسوله أفما تخاف وسيفك في يدي موت ذعاف؟
أراك من الموارد ما يعاف فلا فرق عراك ولا ارتجاف
فيا لك كَرَّةً خسرت جميعا
فقال محمد ربي يقيني ويمنع مهجتي ويصون ديني
وصارمه تلقى باليمين ألا بوركت من هادٍ أمين
ترد أناته الحلم النزيعا

أخذت السيف لو تبغي القصاصا لما وجد المسيء إذا مناصا
تقول له بمن ترجو الخلاصا إذا أنا لم أرد إلا اقتناصا
فلن تجد الولي ولا الشفيعا؟
يقول غويرث كن خير مولى وأنت أحق بالحسنى وأولى
فقال له أتؤمن؟ قال كلا ولكنني أعاهد ثم ولي
ودين الله يطلبه سريعا
وحدث قومه يا قوم إني بخير الناس قد أحسنت ظني
رأيت خلاله فرجعت أثني عليه وقد مضى الميثاق مني
فلست لمن يناوئه تبيعا
أعز الله شيخ الأنبياء وأيده بآيات وضاء
ألم تخبره ترجمة الرغاء بما يجد البعير من البلاء؟
توجع يشتكي سوء الجزاء وفقدان المروءة والوفاء
أيذبحه ذوهه على العياء وبعد الجد منه والمضاء؟
رثى لشكاته حق الرثاء وراض ذويه من بعد الإباء
فمتّع بالسلامة والبقاء وراح فأبي حمد أو ثناء
يؤدي الحق أو يجزي الصنيعا

غزوة بدر الآخرة

ويقال لها (غزوة الموعد)؛ لقول أبي سفيان عند رجوعه من أحد: موعد ما بيننا وبينكم بدر — يريد موسمها — كانت في شهر شعبان من السنة الرابعة، خرج النبي إليها في ألف وخمس مئة من أصحابه، وكان يحمل لواءه (علي بن أبي طالب)، وذهب نعيم بن مسعود الأشجعي (قبل إسلامه) وهم يتأهبون للخروج فأخبر المشركين بأمرهم، فجعل له أبو سفيان عشرين بعيراً إذا هو عاد إلى المدينة فتبَطَّ المسلمون عن القتال، وأوهمهم أن المشركين في جمع كثير، فما زادهم هذا إلا ثباتاً وقوة: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

وكره أبو سفيان القعود خشية العار، فأجمع أن يخرج بالمشركين ثم يرجع بهم من مكان قريب، فلما بلغوا (مجنة)، وهي سوق معروف من أسواق العرب، قال لهم: يا معشر قريش، لا يصلحكم إلا عام خصب ترعون فيه الشجر وتشربون الماء، وإن عامكم هذا عام جذب، وإنني راجع فارجعوا، وأقام النبي بجيشه في بدر مدة الموسم، وهي ثمانية أيام، ينتظر القوم، ثم رجع إلى المدينة.

ولا أنت ذو جد ولا القوم أبطال
فما تنقضي منكم هموم وأوجال
خطوب ترامى بالنفوس وأهوال
إذا عصفت ريح الكريهة أغوال
لدى الروع جياش على الهول جوال
وَعِدُّه جزاء الإفك لا حبذا المال

إليك أبا سفيان لا الوعد صادق
أتاك ابن مسعود بأنباء يثرب
لكم عند بدر في لواء محمد
هنالك قوم يا ابن حرب كأنهم
جنود عليها من عليٍّ مظفر
دع المرء يذهب بالأباطيل مرجفاً

تردد يخشى منك شيمة مخلف
تمسك من قول ابن عمرو بموثق
مضى يصف الكفار وصف مهول
فما وجفت تلك القلوب ولم تكن
رجال رسا الإيمان ملء نفوسهم
ولا الموت مكروه على العزّ ورده
تداعوا فقالوا حسبنا الله إنه
وأرسلها الصديق ديمة حكمة
محمد إن الله ناصر دينه
لهم موعد لا بدّ منه ومورد
عزيز علينا أن نكون مقالة
يقولون لولا الخوف منّا لأقبلوا
وخفّ أبو سفيان يكذب نفسه
يقول وقد وافى الرجال مجنة
أيا قومنا إنا نرى العام مُجدباً
فعودوا إلى عام من الخصب صالح

يقول فلا وعد وفّي ولا قال
وطارت به في الجوّ هوجاء مجفال
يقول جموع ما تُعدّ وأرسال
كأخرى لها من هدّة الرعب زلزال
فلا الجبن منجاة ولا البأس قتال
ولا العيش مورود إذا خيف إنلال
لما شاء من نصر الهداة لفعال
لها من فم الفاروق سح وتهطال
ومظهره والحق أقطع فصّال
من الحتف تغشاه نفوس وآجال
يرردها قوم مهاذير جُهّال
وإنّا لإقدام حثيث وإقبال
ويشهدها من خيفة كيف يحتال
أيا قومنا مهلاً فإنّا لضلال
وشرّ عتاد الحرب جذب وإمال
ولا تقربوا الهيجاء فالقوم أصلال

تقدم جيش الله وارتدّ جيشهم
وأين من الصيد المصاليات معشر
لبئس الموالي ما تزال تغرهم

وما فيه أكفاء تُهاب وأمثال
لهم من مواليهم لدى البأس خذال؟
ظنون كأحلام النيام وآمال

ألا إنّها الدنيا أعيد بناؤها
فلا شأنها الذي كان يرتضى
عفا السالف المغبر من سيئاتها
أتبقي قلوب الناس في ظلّماتها
هو النور نور الله يملأ أرضه

وصيغ لها رسم جديد وتمثال
بنوها الألى بادوا ولا حالها الحال
فتلك بقاياها قبور وأطلال
تظاهر أكنان عليها وأقفال؟
فتلقّى الهدى فيه عصور وأجيال

غزوة بدر الآخرة

أتى مطلقُ الأسرى يحرر أنفسًا لها من سجاياها قيود وأغلال

غَزْوَةُ دُومَةِ الْجَنْدَلِ

هي أقرب بلاد الشام إلى المدينة، وكانت هذه الغزوة في أواخر السنة الرابعة، على رواية، وفي ربيع الأول من السنة الخامسة على رواية أخرى، وسببها أن النبي ﷺ أخبر أن بهذه البلدة قومًا يظلمون من مرٍّ بها، ويعتدون عليه، وأنهم يريدون الاقتراب من المدينة، فخرج إليها في ألف من المسلمين، فلما اقترب الجيش منها خاف القوم فتفرقوا، وأصاب المسلمون من ماشيتهم وورعاتهم ما أصابوا.

وفي الرجوع من هذه الغزوة وادع النبي عيينة بن حصن الفزاري، وأباح له أن يرعى بمحل بينه وبين المدينة ستة وثلاثون ميلاً، فلما سمت مواشيه، وعاد إلى أرضه وقد زال عنها الجذب، أغار على لقاح النبي، وكان يقال له (الأحمق المطاع)، ومن سوء خلقه أنه دخل على النبي بغير استئذان، وفيه يقول (صلوات الله وسلامه عليه): «شر الناس من تركه الناس اتقاء فحشه»، أسلم بعد فتح مكة، وشهد حنيناً والطائف، ثم ارتد في خلافة الصديق، ولحق بطليحة بن خويلد الذي ادعى النبوة فآمن به، فلما هرب طليحة أسره خالد بن الوليد وبعثه إلى الصديق في وثاق، فمَنَّ عليه وأسلم.

أمعنت في الظلم ولم تُجملني
ترمينه بالفادح المثقل؟
فاستعصمي منه ولن تفعلني
ما مثله في البأس من جحفل
في ساطع من وحيه المنزل
لم يُهزم القوم ولم تُخذلي

سيرني الهويني دُومة الجندل
أكلُّ من مرٍّ خفيف الخطى
المسلمون استصرخوا ربهم
مضى رسول الله في جحفل
يمشي إذا اسودَّت وجوه الوغى
لولا الذي استعظمت من أمره

أهلوك طاروا خوف تَقْتالَه فأَيُّهُمُ بالعرب لم يُقتل؟
كل له من نفسه ضارب إن يُدبرِ الخوف به يُقبل
تلك لعمري من أعاجيبهم ويبتلي ربُّك من يبتلي

* * *

شَرَّدَهُم مذكور من دارهم لا كنت من دار ومن منزل
هَلَّا رعوا إذ أدبروا جُفْلًا ما ريع من أنعامك الجفل؟
ماذا يريد الجيش من عورة حلَّت من الذلة في موئل؟
لولا المروءات وسلطانها لانقضَّ أعلاها على الأسفل
شريعة الإسلام في أهله أهل الحجا والشرف الأطول
وسنة المختار من ربه والمصطفى من خلقه المرسل
جاء بملء الأرض من نوره والناس من حيرى ومن ضلَّ
لا عذر للمصروف عن رشده لم يبق من داجٍ ولا مجهل
معالم الإيمان وضاحة والحلق ملء العين للمجتلي

* * *

إِيهِ قنيص الله في حبله ظفرت بالأمن فلا تَوجل
جئت معافى في يدي صائد لم يخدع الصيد ولم يختل
أقبل فهذا خير من أبصرت عيناك في الجيش وفي المحفل
هذا الذي أعرض عن حقه قومك من باغٍ ومن مُبطل
لو أنهم جاءوه فاستغفروا رأوا سجايا المنعم المفضل
أسلمت تأبى دينهم أولاً فمرحباً بالمسلم الأول

* * *

عَيْنَةُ المغبون في نفسه ماذا جنى من دائه المعضل؟
حمله ما لو تلقَّت ذرى مُسْتَشرف العرنين لم يحمل
ألوى به الجذب فأفضى إلى أكناف وادٍ معشب مقبل
من أنعم الغيث الكثير الجدا ومكرمات العارض المسبل

وغيره من ماله ما يلي	حتى إذا أعجبه شأنه
من سيئات الأحمق الأثول	أتى بها شنعاء مكروهة
على لقاح الغابة الهمل	بئس المغير انقضَّ في غرة
ولا أذاة الضرع الذمل	ما وقعة اللص بمأمونة
وآثر الغدر ولم يحفل	أذى رسول الله في ماله
وزانه بالخلق الأمثل	لو ارتضى دين الهدى صانه

* * *

سعد عن الأهلين في معزل	يا أم سعد لست من همه
دار الوغى في دومة الجندل	إن أهله إلا الألى استوطنوا
في الله لولا الله لم يرحل	لا تذرفي الدمع على راحل
إني أراه سائغ المنهل	واستقبلي الموت على هوله
تطفئ حرَّ اللاعج المشعل	ظمئت من سعد إلى نظرة
ألقي عليها ظلُّه من عل	رواك رب الناس من سرحة
كان الجنى كالصاب والحنظل	تؤتي الجنى كالأزّي طيباً إذا
أفنانها ذو النائل السلسل	صلاة أصفى الناس مما سقى
من أنبياء الله لم تعدل	لو وُزنت كل صلاة بها
جاءتك لم تُطلب ولم تُسأل	يا أم سعد إنها نعمة
وهذه جنّاته فادخلي	هذا جوار الله فاستبشري

غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ

بنو المصطلق بطن من خزاعة، والمصطلق لقب جذيمة بن سعد بن عمرو الخزاعي، لقب به لارتفاع صوته (من الصلق)، وقيل إنه كان حسن الصوت، وأنه أول من غنى في خزاعة.

بلغ النبي ﷺ أن الحارث بن ضرار سيد بني المصطلق جمع قومه وآخرين من العرب لمحاربتة، فبعث إليهم بريدة بن الحصيبي يتعرف أخبارهم، وأذن له أن يقول فيه ما يشاء؛ ليأمنوه ويقوه شرهم، ورجع يذكر تأهبهم للحرب، فخرج إليهم النبي يقود جيشاً كبيراً في شعبان من السنة الخامسة، وبعث الحارث عيناً له ليوافقه بأخبار المسلمين، فأمر النبي بقتله، فضعفت نفسه، وتفرق عنه كثير من رجاله.

وأعطى النبي راية المهاجرين إلى أبي بكر — وقيل لعمار بن ياسر — وراية الأنصار إلى سعد بن عباد، وأمر عمر بن الخطاب أن يقول للمشركين: «قولوا لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم»، فلم يقبلوا ورموا المسلمين بالنبل، فدار القتال، وكان النصر لله ورسوله وللمؤمنين، فغنموا وأسروا وسبوا، وعادوا بنعمة من الله وفضل، وكان من السبايا (برة) بنت الحارث بن ضرار، بنى عليها النبي ﷺ وسماها (جويرية)، فقال المسلمون: أصهار رسول الله، وأطلقوا من كان بأيديهم من الأسرى والسبايا، وفي الرجوع من هذه الغزوة كانت واقعة أم المؤمنين السيدة عائشة (رضي الله عنها).

فاحذروها يا بني المصطلق	نهضت من كل أوب تلتقي
يتقي أهوالها من يتقي	إحذروها غارة ملمومة
حين تمضي في العجاج المطبق	لا تظنوا جمعكم كفوًا لها

مصرع الجيش وحتف الفيلق
أن تبيدوا ليته لم ينق
مبغض القلب محب المنطق
لذوي البأس وأهل المصدق؟
للمنايا في المجال الضيق
إن تَرَدَّى كل جيش مخفق
مرعدٍ من هولها أو مبرق
بعد أخرى كالشواظ المحرق
واضح المطلع طلق المشرق
ما على صمصامه من رونق
عُدَّة الحرب لهول المأزق
في عباب للمنايا مغرق
يرتقي من لجه ما يرتقي
يمتطي خير العتاق السبق
رقية السحر وطب الأولق
مصحف الحبر وسفر البطرق
من سناها كل معنى مونق
وهو خيرٌ هاديًا فيما بقي
كل باب للمعاني مغلق
وفنون حرة لم تطرق
من رياحين البيان المورق

سرَّحو الجيش وكفُّوا إنها
نec الحارث يدعوكم إلى
لا يغرَّنكم رسول جاءكم
يا رسول الصدق ماذا جمعوا
الألى تتسع السبل بهم
يخفق النصر على أعلامهم
ما يبالون المنايا النكر في
لأبي بكر وسعد نظرة
في اللوئين ضياء منهما
وعلى الفاروق من إيمانه
وعليّ وابن عمار هما
يترامى القائد الأعلى بهم
جاش فيه كل زخار القوى
خير خلق الله في شكته
سحر القوم ومن آياته
نزل الذكر عليه فانطوى
وسع الكتب جميعًا ووعى
علم الدنيا الهدى فيما مضى
عربي فتحت آياته
في أساليب حسان غضة
نفحات الحق في أبهى الحلى

* * *

ملة الخير دعاء المشفق
إن ندعه لسواه نفسق
فمشى عزيله في المفرق
نفسه إثم الغويّ الأحق
تتولى فاتئد واستوثق

نهض الفاروق يدعوهم إلى
فأبى القوم وقالوا ديننا
ومشى جاسوسهم يبغى الأذى
قيل أسلم قال لا فاحتقبت
يا أبا برّة ليس البر أن

أَفَمَنْ يَعْتَقُ مِنْ رِقِّ الْهَوَى يَا أَبَا بَرَّةَ لَا تَأَبَّ الْهَدَى قَلْتُمْ الْحَرْبَ وَقَتْلَاهَا وَمَا وَتَوَالَى النَّبْلَ يَهْمِي صَوْبَهُ إِنْ يَقُولُ اللَّهُ فِي عَلِيَّائِهِ قَادَةَ مَا صَادَفُوا أَكْفَاءَهُمْ ذَعَرَ الْجَمْعَ فَلَوْ أَنَّ الْقَطَا صَدَّ عَنْ ظِمَائِي الْعَوَالِي وَلَوَى فَجَعُوا فِي النَّهْبِ وَالسَّبْيِ مَعًا	أَنْفَسِ النَّاسِ كَمَنْ لَنْ يَعْتَقُ؟ وَبِمَنْ حَوْلَكَ فَارَأْفَ وَارْفَقْ هِيَ بِالْأَمْرِ الْأَحَبِّ الْأَخْلَقُ فَوْقَ صَوْبٍ مِنْ نَجِيعٍ مَهْرَقُ لِرَسُولِ اللَّهِ سَدَدٌ وَارْشَقُ وَجُنُودٌ مِثْلُهَا لَمْ يَخْلُقْ طَارَ فِي آثَارِهِ لَمْ يَلْحَقْ كُلَّ صَبٍّ فِي الْمَوَاضِي شَيِّقُ وَسُقُوا أَسْوَأَ شَرِّ الْمُسْتَقِي

* * *

نَعِمْتُ بَرَّةً مَاذَا تَشْتَكِي يَا ابْنَةَ الْحَارِثِ طَيِّبِي وَانْعَمِي ذَاكَ جَوْ الْمَجْدِ وَضَّاحِ السَّنَا إِصْطَفَاكَ اللَّهُ فِيمَنْ يَصْطَفِي وَاحْتَوَى التَّاجُ الْمَحَلِّي دُرَّةً فَارَقِي أَسْرَ ابْنِ قَيْسٍ وَاشْكُرِي اللُّبَابِ الْمَحْضَ مِنْ رَسْلِ الْهَدَى حَطَّ عَنْكَ الْإِصْرَ بَرًّا وَرَثَى وَرَعَى حَقَّكَ لَا يَبْغِي سِوَى	مَنْ أَسَى بَرْحٍ وَهَمٌّ مَقْلَقُ؟ أَيُّ رِزْقٍ صَالِحٍ لَمْ تَرْزُقِي؟ حَلَّقِي مَا شَتَّتَ فِيهِ حَلَّقِي وَانْتَقَى بَيْتَكَ فِيمَا يَنْتَقِي مَنْكَ مِنْ يَلْمَحٍ سَنَاها يُطْرَقُ يَا ابْنَةَ الْحَارِثِ فَصْلَ الْمُطْلَقِ مَنْذُ كَانُوا وَالصَّمِيمِ الْمَعْرَقِ لَكَ مِنْ ضُرٍّ شَدِيدٍ مَرَهَقِ أَنْ تَكُونِي بِالْمَحَلِّ الْأَلِيقِ

إسلام الحارث بن ضرار (رضي الله عنه)

جاء الحارث بن ضرار إلى المدينة يسوق إبلاً في فداء ابنته برة، ولم يكن قد علم أنها أسلمت، وتزوجت من النبي ﷺ، فلما أتى وادي العقيق رغب في بيعين كانا من أفضل هذه الإبل، فاستبقاهما في شعب من شعاب هذا الوادي ليرجع بهما إلى دياره، ثم أقبل فقال: يا محمد، أصبتم ابنتي وإنها لكريمة لا تسبى، وهذا فداؤها، فقال له: «أين البعيران اللذان عقبتهما بالعقيق في شعب كذا وكذا؟»، قال: أشهد أنك رسول الله، ما اطلع على ذلك إلا الله.

أقبل الحارث يحدو إبله	وبه من طول همٍّ ما به
سيد القوم يريد ابنته	ويروم الذبَّ عن أحسابه
قال ويحي كيف تُسبى برة	وأبو بَرَّة في أثوابه؟
حرّة من حرّة أنجبها	ونماها نايه من نايه
إبلي سيري وأمّي يثرّباً	واطلبي ليث الوغى في غايه
شرفي أبى عليه وابنتي	أفتدي منه ومن أصحابه

* * *

ساقها إلا بيعين هما	من صفايا المال أو صيّابه
غودرا في جانب الوادي وما	يجلب الأمر سوى أسبابه
قال دعها يا رعاك الله لي	واشف هذا القلب من أوصابه
إنها بنتي التي ربّيتها	في حمى العزّ وفي محرابه

أعطينيها وتَقَبَّلْ ما معي
قال بل أحدثت أمراً لم تخف
غاب عن ذودك ما استبقيته
يا أبا بَرَّةَ إني لأرى
قال أسلمتُ وما أدنى الهدى
وضح الحقُّ فما من حُجَّةٍ
إنَّه لله فضلٌ ما له
نكص الشركُ على أعقابِه
يا رسول الله لا كان امرؤُ
شرف الأخلاق من أحكامه
أنت نعم الصهر مجدًا وسنا
جئت بالخير بشيرًا لم تزل
تلك بنتي دخلت فيه معي
من فداءٍ جلٍّ عن أضرابِه
سوءَ ما يَغشى الفتى من عايه
لك في الوادي وفي أعشايِه
موضع العودين في أنقابِه
يا رسول الله من طُلَّابِه
لغبيِّ القلب أو مرتابِه
غير من يؤثر من أحبابِه
وهوى القائم من أنصابِه
لم يكن دينك من آرابِه
والتُّقى والبرُّ من آدابِه
إن طلبنا المجد في أقطابِه
تصدع الأغلاق عن أبوابِه
ما خشينا المنع من حُجابِه

بَرَكَهٗ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ جُوَيْرِيَّةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)

قالت عائشة (رضي الله عنها): لا أعلم امرأة أكثر بركة على قومها من جويرية؛ أعتق بتزويجها من رسول الله ﷺ أهل مئة بيت.

جويرية احمدي عقبى البناء	بنى بك خير من تحت السماء
بلغت به ذؤابة كل عال	من الشرف الممنع والسناء
وكننت لقومك الأدنين يمناً	يُريهم يُمن خير الأنبياء
فكم أسرى فككت وكم سبايا	رددت إلى الخدور بلا فداء
محررة الرقاب كفاك فضلاً	صنيعك بالرجال وبالنساء
كشفت الضر عنهم بعد يأس	وأحييت الرميم من الرجاء
توالى المسلمون على سبيل	من الكرم المحبب والسخاء
لأجلك آثروا البُقيا وقالوا	علينا العهدُ عهدُ الأوفياء
أمن وصل النبي فكان صهراً	كمنقطع من الأقوام ناء؟

* * *

خذوا يا قوم أنفسكم وعودوا	إلى أوطانكم بعد الجلاء
سموا بنفوسهم وبني أبيهم	إلى دين المروءة والإباء
ورد الله غربتهم وفازوا	بنعمته فنعم ذوو العلاء
هو الإسلام ما للنفس عنه	إذا ابتغت السلامة من غناء
نظام الأرض يدفع كل شر	وطب القوم ينزع كل داء

ديوان مجد الإسلام

إذا انصرفت شعوب الأرض عنه فبشّر كل شعب بالشقاء

بَيْنَ الْخَزَرَجِ وَالْمُهَاجِرِينَ

كان المسلمون على الماء بعد انتهاء هذه الغزوة، فاختم أجير لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) اسمه جهجاه مع رجل من حلفاء الخزرج، وهو سنان بن فروة، فضربه الأول حتى سال منه الدم فنادى: يا معشر الأنصار، ونادى الضارب: يا معشر المهاجرين، فأقبل جمع من الجيشين وشهروا السلاح، فكادت تكون فتنة عظيمة لولا أن خرج رسول الله ﷺ وقال: «ما بال دعوى الجاهلية؟»، فقالوا: رجل من المهاجرين ضرب رجلاً من الأنصار، فقال: «دعوها — يريد دعوى الجاهلية — فإنها منتنة»، فترك المضروب حقه، وسكنت الفتنة.

هوجاء لولا الله ظلت تعصف؟
ومضى لنصرتك الكماة الدلف
أولى وأخلق من تحب وتألف
صُمُّ الرماحِ على الرماحِ تقصّف
أكذاك تضطرب الجبال وترجف؟
فَمَنْ الدُّعاة من الهداة الهتف؟
يجد السَّبيلَ الحائرُ المتعسّف؟
فيهم مردُّ للسُّيوفِ ومصرف

جهجاه ما لك هجتها مذمومة
الخزرج انطلقوا لنصر حليفهم
لَسنانُ إذ تؤذيه منك بضربةٍ
هفت السُّيوفِ إلى السُّيوفِ وأوشكت
ومشى النبيُّ يقول يا قوم اسكنوا
تدعون دعوى الجاهلية جهرةً
أولستم النفر الذين بنورهم
ردوا السُّيوفِ إلى جماجم معشر

* * *

يهذي فيمعن أو يظن فيسرف

هدأ الرجال وراح ظالم نفسه

لَجَّ النِّفَاقَ فِقَائِلُ لَا يَسْتَحِي
مَا بَالُ مَنْ جَمَحَتْ بِهِ أَهْوَاؤُهُ
يُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ يَزْعُمُ أَنَّهُ
وَيَقُولُ مَوْعِدُنَا الْمَدِينَةُ إِذْ يَرَى
فَلَنُخْرِجَنَّ مُحَمَّدًا مِنْهَا غَدًا
مِمَّا يَقُولُ وَسَامِعُ لَا يَأْنِفُ
أَفَمَا يَزَالُ عَلَى الْغَوَايَةِ يَعْكُفُ؟
فِي قَوْمِهِ مِنْهُ أَعَزُّ وَأَشْرَفُ
أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ الْأَذَلُّ الْأَضْعَفُ
وَلِيَعْلَمَنَّ الْأَمْرُ سَاعَةَ يَأْزِفُ

سَمِعَ ابْنُ أَرْقَمٍ مَا يَقُولُ فَهَاجَهُ
وَمَضَى يَقْصُصُ عَلَى النَّبِيِّ حَدِيثَهُ
قَالَ اتُّدِّ فَلَقَدْ يَغَانُ عَلَى الْفَتَى
فَمَضَى عَلَى أَسْفٍ يَلُودُ بِعَمِهِ
قَالَ اقْتَصِدْ يَا عَمُّ مَا أَنَا بِالَّذِي
ثَقُلْتُ عَلَيَّ مِنَ الْغَبِيِّ مَقَالَةً
وَاللَّهِ لَوْ أَلْقَى صَوَاعِقَهَا أَبِي
غَضَبُ يَضِيقُ بِهِ التَّقِيُّ الْأَحْنَفُ
فِيكَادُ عَنْهُ مِنَ الْكَرَاهَةِ يَصْدَفُ
فَيَزِلُّ مِنْهُ السَّمْعُ أَوْ يَتَحَرَفُ
فَيُلَامُ غَيْرَ مَكْذَبٍ وَيُعَنْفُ
يَغْضِي إِذَا اغْتَابَ الرَّسُولُ مُحَدِّفُ
جَلَلُ تَهْدُّ بِهَا الْجِبَالُ وَتَنْسِفُ
لَحْمَلَتَهَا وَذَهَبَتْ لَا أَتَخَفُفُ

رُويَ الْحَدِيثُ وَغِيظَ مِنْ مَكْرُوهِهِ
أَغْرَى بِقَائِلِهِ مَخُوفَ غَرَارِهِ
سَأَلَ الرَّسُولَ الْإِذْنَ فِيهِ لَعْلَهُ
فَأَبَى وَقَالَ أَلَيْسَ مِنْ أَصْحَابِنَا؟
عَمْرُ فَغِيظَ الْمَشْرِفِي الْمَرْهَفُ؟
مَا كَانَ يَعْلَمُ مِنْ أَذَاهُ وَيَعْرِفُ
يَشْفِيهِ مِنْ دَمِهِ بِمَا يَتَرَشَّفُ
دَعَا فَتَلَّكَ أَشَدَّ مَا أَتَخُوفُ

وَأَتَى ابْنُهُ فَدَعَا أَبِي أَنَا خَصْمُهُ
مَرَنِي رَسُولَ اللَّهِ أَكْفِكَ أَمْرَهُ
إِنِّي أَحَبُّ أَبِي وَأَعْرِفُ حَقَّهُ
سِيفِي أَحَقُّ بِهِ فَإِنْ يَكُ غَيْرُهُ
إِنِّي لِأَخْشَى أَنْ أَرَى دَمَ مُؤْمِنٍ
قَالَ النَّبِيُّ ارْفُقْ بِشَيْخِكَ وَارْعَهُ
فَدَعَا لِي إِنِّي بِهِ لِمَكْلَفُ
فَلَقَدْ عَهْدْتُكَ رَاحِمًا تَتَلَطَّفُ
وَلَأَنْتَ بِي وَبِهِ أَبْرُ وَأَرَأْفُ
عَظُمَ الْأَسَى فِيهِ وَهَالِ الْمَوْقِفُ
بِيَدِي لِأَجْلِ أَبِي يِرَاقُ وَيَنْزِفُ
إِنْ الْعَقُوقُ مِنَ الْبَنِينَ لِمَتْلَفُ

* * *

بالرعب يُلقَى والمخافة تقذف	القاذف الجبار زُلزِل قلبُه
وأخو الهوان الضارع المستعطف	ضاقت مذاهبه فأقبل ضارعًا
صدق المنبئى وافترى من يحلف	جدد الحديث وراح يحلف ما جرى
أُذُنٌ تعي وتصون ما تتلقف	إن ابن أرقم لم تكن لتخونه
نقشت على الصخر الأصم الأحرف	يبقى بها نقش الكلام كأنما
فالنزور من أعدائها والزخرف	صُورٌ إذا وَلِيَ اللسان أداها
بفرائد الوحي المنظم يوصف	ما رُمْتُ وصفاً حسب زيد أنه
كبت الألى قلبوا الأمور وزيفوا	الله أنزله بياناً صادقاً
نزلت وكان غطاؤه لا يكشف	كشف الغطاء عن النفاق بسورة
نادى الزمان به وضجَّ المصحف	جُرْمٌ إذا استخفى مخافة ذاكر

عبد الله بن أبي بن سلول بعد نزول (سورة المنافقون)

كان مما قاله النبي ﷺ لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وهو يستأذنه في قتل عبد الله بن أبي: «ترعد له إذن أنف كثيرة بيثرب»، فلما نزلت سورة المنافقون صار قومه يعاتبونه ويعنفونه، فقال النبي لعمر: «كيف ترى يا عمر؟ إني والله لو قتلته يوم قلت لأرعدت له أنوف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته»، قال عمر: قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري.

ما يكسب المرء من إثم ولا يزر	إلا أحاط به من ربه قدر
وليس للنفس إن خابت وإن خسرت	إلا عواقب ما تأتي وما تذر
جلبت يا ابن أبي شر ما جلبت	نفس على قومها لو كنت تعتبر
زودت قومك خزيًا لم يدع أحدًا	إلا قلاك وأمسى صدره يغمر
تتابع الوحي ترميهم قواعدها	لما تتابع منك اللغو والهذر

قالوا استجر برسول الله ملتمسًا	سبل النجاة فما يغنيك منتظر
إن تُلّفه حين ترجوه وتسأله	مستغفرًا لك لا يعلق بك الغمر
فقال يا ويلكم ما زلت أتبعكم	حتى هلكت فلا جاء ولا خطر
لم يبق فيما أرى إلا السجود له	يقضي به الحق أو يقضي به الوطر
أذلك الجد منكم أم هو السخر؟	دعوا اللجاج فهذا مطلب عسر

وصدَّ مستكبرًا يلوي لشقوته رأسًا يغيظ الظُّبَى أن ليس يهتصر
يزيده الجهل طغيانًا ويصرفه عن الهدى من أفانين الهوى سَكر

* * *

قال الرسول ونار الغيظ تلفحهم ألم أقل لك لا تقتله يا عمر؟
لو قمت يومئذٍ بالسيف تأخذه بعثتها غضبة جأواء تستعر
تلك الأنوف التي كنَّا نحاذرها أمست سلامًا فلا خوف ولا حذر
لو قلت للقوم جيئوني بهامته رأيتهم يفعلون اليوم ما أمروا

* * *

تبَيَّن الرشدُ للفاروق وانحسرت عن جانبيه غواشي الظن والستر
فقال بوركت من هادٍ لأُمته تعيا بحكمته الأبواب والفكر
لسنا كمثلك في علم ومعرفة أنت الإمام وهذا النهج والأثر
تدري من الأمر ما تُخفي ظواهره وما لنا فيه إلا الرأي والنظر
في معجزاتك للغاوين تبصرة وفي علومك للجهال مزدجر
صلى عليك الذي آتاك من شرف ما ليس يبلغه جنٌّ ولا بشر

* * *

هذا ابنه جاءه غضبان يمسكه دون المدينة للمختار ينتصر
يقول تلك ديار لست تدخلها حتى تفيء وحتى يُعلم الخبر
أنت الأذلُّ فقلها غير كاذبة إن كنت حُرًّا فبئس الكاذب الأشر
فقالها مُرَّةً حرَّى وأرسلها كأنها روحه من فيه تنحدر
مشى أعزُّ بني الدنيا وأشرفهم قدرًا وأرفعهم ذكرًا إذا ذُكروا
حلَّ المدينة منه ليث ملحمة لا النصر يخطئه فيها ولا الظفر
فليعرف الحق قوم ضل رائدهم وارتدَّ قائدهم خزيان يعتذر

قِصَّةُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)

لما رجع النبي ﷺ بالمسلمين من غزوة بني المصطلق، وكانت عائشة وأم سلمة (رضي الله عنهما) معه، بات الجيش في مكان على مسافة من المدينة، وقبل أن يؤذن الناس بالرحيل ذهبَت تقضي حاجتها فجاوزت الجيش، وفي عودتها إلى رحلها أحسَّت أنها فقدت عقدًا لها، فرجعت إلى المحل الذي كانت فيه تلتمسهُ، وأمر الجيش بالرحيل وهي لا تزال في التماسه، وأقبل الموكلون لها فحملوا هودجها، ووضعوه على البعير الذي كانت تركبه، وهم يظنون أنها فيه، ثم سار الجيش وعادت فلم تجد أحدًا، وغلبتها عينها فنامت.

وكان صفوان بن المعطل السلمي على ساقَة الجيش، فتخلف عنه وأصبح عند المنزل الذي بقيت فيه أم المؤمنين (رضي الله عنها)، فرأى سواد إنسان نائم، واقترب منه، وإذ عرفها أخذَه الحزن ورفع صوته قائلاً: إنا لله وإنا إليه راجعون، فاستيقظت على صوته وخمرت وجهها بجلبابها، وصمت صفوان بعد ذلك فلم يزد على أن أناخ راحلته وقال: أمه، قومي فاركبي، ثم سار بها فأدرك الجيش بعدما نزل عند الظهر، قالت (رضي الله عنها): فلما نزلنا هلك من هلك بالقول والافتراء ...

والذي تولى كبره عبد الله بن أبي بن سلول، فإنه أول من أشاع الإفك في العسكر، ثم برأها الله فشرح صدر النبي والمؤمنين بهذه البراءة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ إلى بقية الآيات العشر (سورة النور).

بشَّرَ الأبطال بالنصر المبين
عصمة الراجي وعون المستعين

سيّد الرسل وأم المؤمنين
خرجت في الجيش ترجو ربّها

ينصر الحق ويقضي أمره إصبري إن جل أمر إنها أرأيت الأرض لما رجفت اقشعرت وتمنت لو هوى أنت في شأنك إذ تبغينه سوف يبدي الخطب عن روعته	إن رماه كل أفاك مهين يا ابنة الصديق دنيا الصالحين إذ هوى عقدك؟ بل لا تشعرين كل عالٍ من رواسيها مكين وهي في همٍّ وغمٍّ وأنين بعد حين فاصبري حتى يحين

رفعوا اليهودج والظنُّ بها وانجلي الليل عن الخطب الذي أين غابت أيُّ أرض نزلت يا رسول الله صبرًا إنها يا أبا بكر رويدًا إننا	أنها فيه وساروا مُدلجين غادر الإصباح مسودَّ الجبين كيف غمُّ الأمر؟ هل من مستبين؟ في ذمام الله رب العالمين لنراها في حمى الروح الأمين

رجعت والليل في برده ذهب الجيش وأمست وحدها خطرت في الجو من أنفاسها ماج كالبحر طغت أثباجه نام عنها الهمُّ لما رقدت وأتى صفوان ما يبدو له يرسل الطرف ويمشي نحوها عرف الخطب فما أصدقه دعوة رنَّت فلو قيل اسمعوا أيقظت عائشة من نومها جفَلت منه فغطت وجهها يصرف اللحظ كليلاً دونها قرب الناقة منها ودعا	دائم الإطراق كالشيخ الرزين غير أصداء من الوادي الحزين خطرات للأسى ما ينقضين وارتمت أهواله حول السفين فهو في الأحشاء مكتوم دفين غير شيء مائل للناظرين مشية المرتاب في رفق ولين حين يدعو دعوة المسترجعين لسمعنا اليوم تردّادَ الرنين مثلما يوقظها صوت الأذنين وهي في سترين من عقل ودين خاشع القلب كدأب المتقين إركبي أماء مُليت البنين

قَصَّةُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)

أَخَذَ الْمَقُودَ يَمَنًا وَمَضَى يَتَّبِعُ الْمَاضِينَ مِنْ أَهْلِ الْيَمِينِ
يَنْتَحِي يَثْرَبَ بِالنُّورِ الَّذِي يَمْلَأُ الدُّنْيَا وَيُعْيِي الْمَطْفُئِينَ

نَشَرُوا الْإِفْكَ فَسَادًا وَأَذَى وَعَلَى اللَّهِ جِزَاءُ الْمُفْسِدِينَ
لَا يَنَالُ الْحَقُّ فِي سُلْطَانِهِ كَذِبَ الْحَمَقِيِّ وَإِفْكَ الْمَرْجُفِينَ
يَا لَهَا مِنْ عَصَبَةٍ فَاسِقَةٍ هَاجَهَا لِلشَّرِّ شَيْخُ الْفَاسِقِينَ
وَجَدْتَ فِيهِ زَعِيمًا حَازِقًا وَإِمَامًا بَارِعًا لِلْمُفْتَرِينَ

هَكَذَا يَا ابْنَ أَبِي هَكَذَا لَا يَكُنْ شَأْنُكَ شَأْنَ الْمُسْلِمِينَ
انْفُتِ السَّمُّ وَخَضَهَا فَتْنَةٌ تَتَلْظَى نَارَهَا لِلْخَائِضِينَ

يَا ابْنَةَ الصَّدِيقِ صَبْرًا لَيْتَهُ أَلُمُّ الْمَرْضَى وَهَمُّ الْمَوْجَعِينَ
يَا لَهَا مِنْ عِلَّةٍ لَوْ تَعْلَمِينَ إِنَّهَا أَبْرَحَ مِمَّا تَشْتَكِينَ
أَعْقَبَ الْبَشَرَ عُبُوسٌ وَبَدَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مَا لَا تَرْضِينَ
كَيْفَ تَيْكُمُ لَيْسَ مِنْ عَادَاتِهِ كَيْفَ تَيْكُمُ؟ يَا لَهْمُ مِنْ مُجْرِمِينَ
غَيَّرُوهُ فَلَوْ مِنْ عَطْفِهِ وَطَوَى مِنْ لُطْفِهِ مَا تَعْهَدِينَ
وَهُوَ يُخْفِي لَكَ مَا لَا يَنْقُضِي مِنْ هَوَى صَافٍ وَشَوْقٍ وَحَنِينِ
سَجَنَ السَّرِّ وَكَمْ مِنْ رُوعَةٍ لَكَ يَا أُمَاهُ فِي السَّرِّ السَّجِينَ

أَنْصَتِي فَالْإِلِيلُ مَصْغٌ أَنْصَتِي وَقَعَ الْخَطْبُ فَمَاذَا تَصْنَعِينَ؟
جَاشَتْ النَّفْسُ وَلَجَتْ رَعْدَةٌ لَمْ تَدَعْ فِي الْقَلْبِ مِنْ رُكْنٍ رَكِينَ
مَسْطَحٌ لَا قَرَّ عَيْنًا مَسْطَحٌ شَبَّهَا نَارًا تَهْوِلُ الْمُصْطَلِينَ
فَضَحَتْهُ عَثْرَةٌ مِنْ أُمِّهِ فَانْظُرِي كَيْدَ ذَوِيكَ الْأَقْرَبِينَ
لَا تَلُومِيهَا إِذَا مَا غَضِبَتْ إِنَّهَا تَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمِينَ
أَرْسَلَتْهَا دَعْوَةٌ وَاحِدَةٌ لَيْتَهَا زَادَتْ عَلَى حَدِّ الْمُثْنِينَ

تعس الثعلب ما أخبثه فدعى بدرًا وآساد العرين

* * *

رجعتُ في غمرة من همها لم تبت منها بليل الراقدين
لوعةٌ مشبوبة في سقم في شئاييب من الدمع السخين
يا رسول الله هل تأذن لي؟ إن بيتي بمصابي لقمين
مرّ ودعْ همِّي لأمي وأبي إنما استأذنت خير الأمرين
بان حُسْنُ الصبر والعزم انطوى وأرى السقم مقيمًا ما يبين
قال ما شئتُ هلمَّي فافعلي لك يا صاحبتني ما تؤثرين

* * *

نهبْتُ يحزنها أن لم تكن طوَّحَ الدهر بها في الذاهبين
ثم قالت وهي تبكي عجبًا لك يا أماه ماذا تكتمين؟
أفلا نبأْتَنِي ما زعموا؟ ويحهم ما حيلتي في الزاعمين؟
ظلموني ما رعوا لي حرمة ربُّ كن لي ما أقل المنصفين

* * *

جزع الصديق مما نابَه إنه خطب يهول الأكرمين
قال أفُّ لك من داهية ما رمينا بك في ماضي السنين
أفلمَّا زاننا دين الهدى ساءنا منك حديث لا يزين؟

* * *

كيف تيكم؟ يا لها صاعقة أرسلتُ من فم خير المرسلين
كيف تيكم؟ كيف تيكم كلما جاء إن الله مولى الصابرين
إصبري يا ربَّةَ العقد الذي زُيِّنَ من عينيك بالدر الثمين

* * *

أوجعتها من عليٍّ شدة هي من دأب الأباة الأولين
سلَّطَ الضرب على مولاتها أيُّ سرٍّ عندها للضاربين؟!

قَصَّةُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)

أَقْسَمْتَ صَادِقَةً مَا عَلِمْتَ غَيْرَ مَا يَدْفَعُ دَعْوَى الْوَاهِمِينَ
التَّقَى وَالْبِرُّ فِي تَاجِيهِمَا هَلْ رَأَى التَّاجِينَ أَعْلَى الْمَالِكِينَ؟

* * *

مَرْحَبًا بِالْحَقِّ يَحْمِي جَنْدَهُ مَا اسْتَبَاحَتْ تُرَاهُتَ الْمَبْطَلِينَ
مَرْحَبًا بِالْوَحْيِ يَجْلُو مَا طَوَتْ ظِلْمَاتُ الشَّكِّ مِنْ نَوْرِ الْيَقِينِ
مَرْحَبًا بِالرُّوحِ يُلْقِي مِنْ عِلٍّ رَحْمَةُ اللَّهِ تَغِيثُ الْمُؤْمِنِينَ
فَتْنَةً جَلَّتْ فَلَمَّا انْكَشَفَتْ أَزْلَفُوا الشُّكْرَ وَرَاحُوا رَاشِدِينَ
وَتَجَلَّتْ غَمْرَةُ الْهَادِي فَلَا رَيْبَةَ تَغْشَى وَلَا ظَنْ يَرِينَ
يَا ابْنَةَ الصَّدِيقِ طَيِّبِي وَانْعَمِي ذَاكَ حُكْمُ اللَّهِ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ
ضَرْبُ الْقَوْمِ بِمَاضٍ مَخْذَمٌ مِنْ مَوَاضِيهِ فَوَلَوْا مَدْبِرِينَ
سَقَطُوا صَرَعَى عَلَيْهِمْ غَبْرَةٌ مِنْ قِتَامِ الْبَغْيِ تَخْزِي الظَّالِمِينَ

* * *

أَمْسَكَ الصَّدِيقُ مِنْ مَعْرُوفِهِ يَنْكُرُ الْغَدْرَ وَيَنْهَى الْغَادِرِينَ
وَطَوَى عَنْ مَسْطَحِ نِعْمَتِهِ لِيَرَى حَقَّ الْكِرَامِ الْمُنْعَمِينَ
عَالَهُ دَهْرًا فَلَمَّا خَانَهُ رَاحَ يَجْزِيهِ جِزَاءَ الْخَائِنِينَ
سَنَةَ الْعَدْلِ قَضَاهَا مِنْ قَضَى سَنَةِ الرَّحْمَةِ بَيْنَ الرَّاحِمِينَ
نَزَلَ الذِّكْرُ بِهَا قَدْسِيَّةٌ فَعَفَا النَّاقِمَ وَارْتَاحَ الضَّنِينَ

* * *

إِجْعَلِ الْخَيْرَ قَرِينًا إِنْ أَبَى كُلُّ غَاوٍ إِنَّهُ نَعَمُ الْقَرِينَ
جَلَّ رَبِّي وَعَلَا كُلُّ أَمْرٍ بِالَّذِي يَكْسِبُ مِنْ أَمْرِ رَهِينٍ

غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ

لما أصاب بني النضير ما أصابهم شق ذلك على اليهود، فسار من سادتهم إلى مكة حيي بن أخطب، وسلام بن مشكم، وكنانة بن أبي الحقيق، وهوذة بن قيس، وأبو عامر الفاسق، وجعلوا يحرضون المشركين على قتال النبي ﷺ، ويعاهدونهم على أن يكونوا معهم، فرحب بهم أبو سفيان وقال لهم: لا نأمنكم إلا إن سجدتم لآلهتنا، فسجدوا، وخرج من بطون قريش خمسون رجلاً فألصقوا أكبادهم بالكعبة، وتعلقوا بأستارها يتحالفون على النصرة وحرب النبي، ثم جاءوا إلى غطفان، وجعلوا لهم تمر خيبر سنة إن هم نصروهم فرضوا.

وتأهبت الجموع للحرب، وكانت القيادة العليا لأبي سفيان، وقدم المدينة ركب من خزاعة، فأخبر النبي بما أجمعوا عليه، فجمع الصحابة وشاورهم في الأمر، وهل يخرجون من المدينة للقاء العدو أم يبقون فيها للدفاع عنها؟ فقال سلمان الفارسي (رضي الله عنه): يا رسول الله، إنا كنا بأرض فارس إذا تخوفنا الخيل خندقنا علينا، فركب النبي في رجال من المهاجرين والأنصار، وجعل يرتاد أفضل المواقع لحفر الخندق، ثم أقبلوا يعملون فيه والنبي بينهم، وقد انتهت هذه الغزوة بقهر المشركين، وكسر شوكتهم، وكانت في شهر شوال من السنة الخامسة، وهو قول الجمهور.

أحشدت إلا جمعك المهزوما؟	إنه ذهب حيي مذممًا مشئوما
خطب يراه بنو أبيك عظيمًا	إن تغضبوا لبني النضير فإنه
ترك الهداة بناءكم مهدوما؟	القوة انصدعت فكيف بكم إذا
مثل الجراح إذا امتلأ سموما	سرتم تحكُّون الجراح ولا أرى

رَحَّبَ أبا سفيان إن لمثلهم من مثلك الترحيب والتسليما
جمع الهوى بعد التفرق بينكم بئس الهوى يصلي النفوس جحيما
تُذكي سيوفُ الله من أضغانكم نارا تصيب من القلوب هشيما
ضمُّوا القبائل واجمعوا أحزابكم سترون بأس محمد مضموما

* * *

قال ابن حرب لليهود مقالة لم تلقَ إلا فاسقا وأثيما
إن كان حقًا ما زعمتم فاعبدوا ما نحن نعبد وانبذوا التحريما
خرُّوا لآلهة ابن حرب سجَّدًا لا ينكرون صنيعه المذموما
كفر على كفر رموا بركامه والكفر أقبح ما يرى مركوما
سئلوا عن العلم القديم فزوروا وأذى المزور أن يكون عليما
قالوا شهدنا دينكم خير لكم من دين صاحبكم وأصدق سيما

* * *

خَفَّ الرجال إلى البنيَّة إنهم كانوا أخف من اليهود حلوما
عقدوا لهم حلفًا على أستارها والله يعقد أمره المحتوما
هل ألصقوا الأكباد من سفه بها أم ألصقوا إحنا بها وكلوما؟

* * *

غطفان هبي للكريهة واغنمي من تمر خيبر حظك المقسوما
كذب اليهود وخاب ظنك إنهم لم يبلغوا أن يُرزقوا المحروما
لن يُطعموك سوى سيوف محمد وستعلمين ذعافها المطعوما
ما أكذب الأحزاب يوم تعاهدوا أن لا يبالوا الصادق المعصوما
جعلوا أبا سفيان صاحب أمرهم كن يا ابن حرب قائدًا وزعيما
كن كيف شئت فلن ترى لك ناصرًا ما دمت لله العليّ خصيما

* * *

جمعوا الجنود وجاء ركب خزاة يبدي الخفيّ ويظهر المكتوما
حمل الحديث إلى الرسول فزاده بأسا وزاد المسلمين عزيما

نزلوا على الشورى بأمر نبيهم	يبغي لأمته السبيل قويما
قال انظروا أنقيم أم نمضي معاً	نلقى العدو إذا أراد هجوماً؟
فأجابه سلمان نحفر خندقاً	كصنيع فارس في الحروب قديما
حملوا المساحي والمكاتل ما بهم	أن يحملوها أنفساً وجسوما
هي عندهم لله أو هم عندها	خدامه سبحانه مخدوما
دلفت قروم محمد في شأنها	تلقي بيثرب من ذويه قروما
يسعى ويعمل بين عيني ربه	طلق الجلالة بالهدى موسوما
دأب الإمام فما ترى من راث	إن الإمام يصرف المأموما
حمل التراب فظل يثقل ظهره	ويقلقل الأحشاء والحيزوما
وإذا رأيت خليفته رأيت	لله في ثوبيهما ملموما
ومضت بعمارٍ وزيد همة	لم تبق من هم الجهاد مروما

* * *

سلمان أحسنت الصنيع ونلته	نسباً مضى فقضى لك التقديما
لما تنافس فيك أعلام الهدى	حكم النبي فأنصف المظلوما

* * *

سلمان منّا آل بيت محمد	ولقد نسبت فما نسبت زنيما
الدين يجمع ليس منا من يرى	في أهله عرباً ويعرف روما
والأكرم الأتقى تبارك ربنا	إنا نطيع كتابه المرقوما
الله مولاكم وأنتم شعبه	لا تذكروا شعباً ولا إقليما

* * *

سلمان دعها كدية توهي القوى	وترد كل محدد مثلوما
إضرب رسول الله كم من صخرة	لم تألها صدعاً ولا تحطيما
من ليس يبلغ من جبابرة القوى	ما أنت بالغه فليس ملوما
بشر جنودك بالفتوح ثلاثة	تدع العزيز من العروش مضيما
وصف المدائن والقصور لمعشر	مثلتها صوراً لهم ورسوما

أبصرتها في نور ربك ما رأَت	عيناك آفاقاً لها وتخوما
ما زلت تحدث كل أمر معجز	لولا النبوة لم يكن مفهوما
جهل العجائب معشر لم يعرفوا	منهن إلا السحر والتنويما
لله أسرار تريك جلاله	إن شاء فضّ كتابها المختوما
والعلم إن ضل السبيل ولم يلد	ما يرشد الجهلاء كان عقيما
بلوى ذوي الأسقام أكثرها أذى	بلوى أخي عقل تراه سقيما

* * *

بلغ الطوى بالقوم غاية جهده	وكأنما طعموا الصفايا الكوما
جيش يصوم على الدثوب ولم يكن	لولا أمانة ربه ليصوما
من كل مبتهج يضجُّ مكبراً	في الحرب يدعو الواحد القيُّوما

* * *

كانت فتاتك يا ابن سعد إذ أتت	غوئاً وخيراً للغزاة عميما
جاءت ببعض التمر تطعم والداً	برّاً وخالاً في الرجال كريما
ألقي عليه الله من بركاته	فكفى برحمته وكان رحيماً
أخذ النبي قليله فدعا الطوى	داعي الرحيل وما يزال مقيما
جمع الجنود وقال هذا رزقكم	فكلوا هنيئاً واشكروه نعيما
فرحوا بنعمة ربهم وتبدلوا	حالاً تزيد الكافرين وجوما

* * *

هذا الذي صنع الشويهة قادم	أحبيب بذلك مشهداً وقدوما
حيّاً النبي وقال جئتكَ داعياً	ولقد أراني في الرجال عديما
ما لي رعاك الله غير شويهة	لو زادها ربي بذلت جسيما
أعددتها لك يا محمد مطعماً	يشفيك من سغب أراه أليما
يكفيك من ألم الطوى وعذابه	حجر يظل على الحشا محزوما

* * *

سار الرسول بجنده ومشى الذي	صنع الشويهة حائراً مهموما

عَزَوَةُ الْخَنْدَقِ

يا رب صاع واحد وشويهة	دَبَّرَ وادٍ فقد دعوت حكيما
وضع الطعام فظل يشرق وجهه	بشراً وكان من الحياء كظيما
وضع النبي يديه فيه فزاده	رب يزيد رسوله تكريما
تلك الموائد لو يقال لها انظمي	شمل الشعوب رأيته منظوما
كرم صميم راح يورث جابراً	شرفاً يفوت الوارثين صميما

* * *

والأشهلية إذ يجيء رسولها	يمشي بجفنتها أغر وسيما
الله علّمها مناقب دينه	فشفى الخبال وأحسن التعليما
لولا مراشده تُقَوِّمُ خلقه	لم يعرفوا الإصلاح والتقويما
نهض الحماة به ولو لم يهتدوا	لم يبرحوا في القاعدين جثوما

بَعْدَ حَفْرِ الْخَنْدَقِ

لما انتهى المسلمون من حفر الخندق أمر النبي ﷺ أن يجعلوا ظهورهم إلى جبل (سُلع)، وأن يستعدوا للقاء العدو، ثم أعطى لواء المهاجرين إلى زيد بن حارثة، ولواء الأنصار إلى سعد بن عباد، وأمر بصرف الغلمان الذين لم يبلغوا الخامسة عشرة من سنهم، وكانوا يعملون في الخندق، وكان بنو قريظة على عهد معه ﷺ، فما زال حيي بن أخطب بسيدهم كعب بن أسد القرظي حتى نقض العهد، ومزق الصحيفة، وكان أبو سفيان هو الذي حرض ابن أخطب على ذلك.

مضت السيوف وولت الأرباب	فإلى الهزيمة أيها الأحزاب
لا اللات نافعة ولا أخواتها	كلُّ بلاءٍ واقعٌ وعذاب
في السفح من سلع قضاءً رابض	والويل حين يثور أو ينساب
يبغي الفرية والمنية مخلب	ويصول والأجل المعجل ناب
هو يا ابن حرب ما علمت وحربوا	الغيل بَسْل والليوث غضاب
أشقى سليط وابن عوف ضغنكم	أم تَمَّ ضغن واغر وضباب؟
لا بوركت تلك السيوف فإنها	لتصيب من أعدائها فتصاب
كل الذي نلتهم ونالت من دم	عطب يُتاح لكم معًا وتباب

* * *

زيد وسعد في الفوارس فانظروا	إن كان يصدق نفسه المرتاب
الله أكبر كل شيءٍ دونه	صدق الذين دعاهم فأجابوا

ثوبوا جموع المشركين فإنما غرتكم الأوثان والأنصاب
لا يُعجبني بني قريظة غدركم فمحمد للغادرين عقاب
هب ابن أخطب فاستزل بمكره كعباً وأمر الجاهلين عجاب
يا للصحيفة إذ يمزقها أما ينهائهم عن خطأ الغواة صواب؟

* * *

خطر الفحول فأين تذهب فتية مُلئ السواعد والسيوف رطاب؟
قال النبي دعوا القتال لمعشر بلغوا النصاب فللقَتال نصاب
إن تذهبوا ناجين من غمراته فَلَكُمْ إليه مرجع ومآب
لن يُحرّموا في الله أجر جهادكم إذ تعملون ويعمل الأصحاب
عنق المجاهد ليس يُغمط حقه سيّان سيف قاطع وتراب
الخنديق الهيجا حملتم عبثها والأمر جدّ والخطوب صعب

* * *

هاتيك خيل ابن الوليد وصحبه تدنو فتطمع تارة وتهاب
باب من الهيجا لم تر مثله فيما تُسدّ وتُفتح الأبواب
ذُعر الفوارس في متون جيادهم لَمَّا تردّى الفارس الوثاب
نظروا فكان لهم بمصرع نوفل خطب تطيش لهوله الألباب

* * *

الجو مستعر يشبُّ أواره ويعبُّ فيه من اللهب عباب
جرت النبال به يذيب وطيّسها بأس الألى لولا الرجاء لذابوا
ماذا لهم بعد الغرور وما لقوا في الحرب إن كذب الرجاء وخابوا؟

* * *

دفعوا الجياد وصاح عمرو صيحة هاج الهزبر لها وماج الغاب
شيخ قضى في الغالبين لنفسه فقضى عليه الأشوس الغلاب
يا عمرو خذها من علي ضربة هي إن سألت عن الجحيم جواب

* * *

أَحْيَاءُ قَوْمِكَ مَا حَيَّيْتُ سَحَابَ	جَبَّانَ لَا سَلَمْتَ يَدَاكَ وَلَا سَقَى
أُمِّ الْكِتَابِ وَتَفْزَعُ الْأَحْقَابَ	أَرْسَلْتَهُ سَهْمًا تَضْجُ لِهَوْلِهِ
تَنْهَدُ مِنْ صَدَمَاتِهَا الْأَصْلَابَ	مَنْ ذَا رَمَيْتَ؟ رَمَاكَ رَبُّكَ بِالَّتِي
عَنْ طَيْبِ أَمِّكَ هَا هُنَا الْأَطْيَابَ	أَخْزَيْتَ أَمِّكَ لَا تُحَدِّثُ بَعْدَهَا
فِي الْقَوْمِ مَسْكٌ سَاطِعٌ وَمَلَابَ	دَمٍ مِنْ جَرَحَتْ وَإِنْ جَهَلْتَ مَكَانَهُ
أَسَدُ الْعَرِينِ تَزِينُهَا الْأَحْسَابَ	سَعْدُ الْعَشِيرَةِ وَالْكَتِيبَةِ حَوْلَهُ
عِنْدَ الْوَغَى وَالسَّيِّدِ الْمُنْتَابَ	الْفَارِسِ الْمَرْجُوُّ يَقْدَمُ قَوْمَهُ
أَوْ جَنَّ لَيْلِ الْخُطْبِ فَهُوَ شَهَابٌ	إِنْ جَدَّ جَدُّ الضَّرْبِ فَهُوَ مَهْنَدٌ

* * *

يَعْيَا بِأَيْسَرِ أَمْرِهِ الطَّلَابُ	أَغْرَى عَيْنِيَّةً وَابْنَ عَوْفٍ مَطْمَعٍ
وَكَأَنَّمَا يُلْقَى عَلَيْهِ حِجَابُ	تَرَكَأَبَا سَفِيَّانَ فِي غَفْلَاتِهِ
وَمِنْ الرِّجَالِ ثَعَالِبٌ وَذُنَابُ	لَمْ يَبْصُرِ الذُّبَابِينَ حِينَ تَسْلَلَا
تَمَرًا وَرَاضِي السَّلْمِ لَيْسَ يِعَابُ	قَالَا رَضِينَا السَّلْمَ يَشْبَعُ قَوْمَنَا
فَلَكُمْ عَلَيْنَا ذِمَّةٌ وَكِتَابُ	تَمَرِ الْمَدِينَةِ إِنْ أَصَبْنَا نَصْفَهُ
فَاشْتَدَّ لَوْمٌ وَاسْتَحَرَّ عِتَابُ	نَدَعَ الْقِتَالَ وَإِنْ أَبَى حَلْفَاؤُنَا
وَلَنَا طَعَامٌ سَائِغٌ وَشَرَابُ	لَهُمُ الْكِرِيهَةُ يُطْعَمُونَ سَمُومَهَا

* * *

هِيَ لِلضَّرَاغِمِ شِيْمَةٌ أَوْدَابُ	هَاجَا مِنَ السَّعِيدِينَ سُورَةُ غُضْبَةٍ
لَمْ تَصْطَنِعْهُ قَوَاضِبٌ وَحِرَابُ	أَبْيَا اسْطِنَاعَ الرَّأْيِ فِي وَهْجِ الْوَغَى
يُوهِي الْقُلُوبَ الصَّمَّ وَهِيَ صَلَابُ	وَتَنَازَعَا نَظْرًا يَهُولُ وَمَنْطَقًا
فِينَا وَنَحْنُ السَّادَةُ الْأَقْطَابُ؟	مَنْ هُمْ؟ أَيَجْمَلُ أَنْ يُقَالَ تَحْكُمُوا
مَنْ أَنْ يَحُومَ عَلَى جَنَاهِ ذِبَابُ	نَحْمِي مَدِينَتَنَا وَنَمْنَعُ نَخْلَهَا

* * *

قال النبي بدا المغيَّب فارجعا ولكل نفس موعد وحساب
النصر عند الله يجعله لنا إن شاء وهو المنعم الوهاب
صبرًا على حرِّ القتال فإنه خطب يزول وغمرة تنجاب

* * *

شغل القتال عن الصلاة وإنها سكن لنا من ربنا وثواب
قم يا بلال مؤذنًا لنقيمها سكن القتال وزالت الأسباب
ربِّ ارمهم بالنار ملء بيوتهم وقبورهم فلو اتقوك لتابوا
وببأسك انصرنا وزلزل جمعهم تزلُّ الهموم وتذهب الأوصاب

عَبَادُ بَنِ بَشَر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)

كان عباد بن بشر (رضي الله عنه) لا يفارق قبة الرسول الكريم ساعة من الليل، فهو يبيت طائفاً حولها يحرسها من الأعداء، وكان بالخندق ثلثة يتفقدنها ﷺ بالليل مرة بعد أخرى ويقول: «ما أخشى أن يؤتى المسلمون إلا منها»، وقال مرة: «ليت رجلاً صالحاً يحرس هذه الثلثة الليلة»، فسمع صوت السلاح، فقال: «من هذا؟»، قال سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه): أنا يا رسول الله، جئت أحرصك، قال: «عليك هذه الثلثة فاحرسها»، وطافت خيل المشركين بالخندق، فبعث عباد بن بشر وأصحابه في وجوههم، ورماهم المسلمون بالنبل فانقشعوا.

فابن بشر ساهر لم ينم
حارس الجيش وحامي العلم
إنها الخيل أراها ترتمي
فهو لحمي يا ابن بشر ودمي
قذفونا بالرعييل المقدم
في حمى الله الأجل الأعظم
لا تخافوا كل غاو مجرم
إن رمى في الله سهماً أو رُمي
صخرة من عزمه لم تُثلم
لن تنالوا النصر ما لم تُهزم
إن خير الدين دين المسلم

من ينم عن لهزم أو مخدم
يحرس القبة ما فيها سوى
هَبْ يدعو يا ابن بشر خلّني
كل لحم من جنودي ودم
خلّني واذهب إلى القوم الألى
إمض في صحبتك إنني ها هنا
إحرسوا الخندق وارموا دونه
أدركوا سعداً وكونوا مثله
حارس الثلثة يُلقى حولها
أدركوه واهزموها قوة
انصروا الله وصونوا دينه

هو إن طمَّ على الأرض الأذى رحمة الأرض ومحيا الأمم
وإذا ما أظلمت أرجاؤها فهو نور الله ماحي الظلم

* * *

ذهب الصحب كرامًا ورَمَوْا بيد الله الأعز الأكرم
يذهب السهم سديدًا راشدًا فهو ملء العين أو ملء الفم
وهو في النحر قضاء آخذ نافذ في كل سدٍّ محكم

* * *

عادت الخيل سراعًا وبها من جنود الله مثل اللمم
وتولَّى الجند في زلزلة تصدع الفيلق إن لم تهدم

* * *

حارت الأحزاب ماذا تنتوي وبمن فيما دهاها تحتمي
خذلتها في الوغى آلهة لو هوى الوادي بها لم تعلم
تطلب الغوث وما من سامع أي غوث يرتجى من صنم؟
يا زعيم القوم أيقن واستفق إنه الحق الذي لم تزعم
يا زعيم القوم هل من نادم؟ إنما يهلك من لم يندم
نهض القوم برأيٍ مُبصر ودهتكم عثرة الرأي العم
إستفيقوا وانبذوا أربابكم أو فذوقوا البأس مرَّ المطعم
إنكم ممن كرهتم دينهم بين نابي كل صلٍّ أرقم

نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ الْأَشْجَعِيِّ وَجُنُودُ اللَّهِ

قدم نعيم بن مسعود الأشجعي على النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني أسلمت، وإن قومي (غطفان) لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت، فقال له: «إنما أنت رجل واحد، فخذل عنّا ما استطعت، فإن الحرب خدعة»، وأجاز له أن يقول ما أراد، فذهب إلى بني قريظة وكان لهم نديماً، فأخذهم بدهائمه، وقال لهم كالناصح الأمين: لقد رأيتم ما وقع لبني قينقاع ولبني النضير من إجلائهم وأخذ أموالهم، وإن قريشاً وغطفان ليسوا مثلكم، البلد بلدكم، وبها أموالكم ونساؤكم وأبناؤكم، لا تقدرون على أن ترحلوا منه إلى غيره، فإن رأى هؤلاء نهزة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلاهم، وخلوا بينكم وبين محمد ولا طاقة لكم به، فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا رهناً من أشرافهم سبعين رجلاً يكونون بأيديكم.

قالوا: أشرت بالرأي والنصح، ودعوا له وشكروه ... ثم ذهب إلى أبي سفيان ومن معه من أشراف قريش فقال: قد عرفتم ودي لكم وفراقي لمحمد، وإني ناصح لكم، إن معشر يهود ندموا على ما صنعوا من نقض عهدهم الذي أعطوه محمداً، وقد أرسلوا إليه وأنا عندهم يقولون: هل يرضيك أن نأخذ لك من قريش وغطفان سبعين رجلاً من أشرافهم تضرب أعناقهم وترد جناحنا الذي كسرت إلى ديارهم، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم؟ فقبل ذلك منهم ...

ثم ذهب نعيم إلى غطفان فقال: إنكم أهلي وعشيرتي، وأحب الناس إليّ، ولا أراكم تتهمونني، قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتهم، فقال لهم مثل ما قال لقريش، فلما كانت ليلة السبت أرسل أبو سفيان ورءوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر منهم، فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر، فأعدوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه ... قالوا: إن غداً السبت وقد علمتم ما أصاب الذين

اعتدوا منأ يوم السبت، ومع ذلك فإننا لا نقاتل معكم حتى تعطونا سبعين رجلاً رهينة، قالوا: صدق والله نعيم.

اختلفت كلمتهم، وبعث الله عليهم ريحاً عاصفاً نقلت بيوتهم وكفأت قدورهم، وسفت عليهم التراب، ورمتهم بالحصى، وكانوا يسمعون في أرجاء معسكرهم التكبير وقعقة السلاح، ومزق الله جمعهم فانقلبوا خاسرين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾.

أقبل نعيم هداك ربك ساريًا	وكفى بربك ذي الجلالة هاديا
جئت النبي فقلت إني مسلم	من أشجع لم يدرِ قومي ما بيا
مرني بما أحببت في القوم الألى	كرهوا الرشاد أكن لأمرك واعيا
قال ارمهم بالرأي يصدع بأسهم	عنا ويتركه ضعيفاً واهيا
عد يا ابن مسعود إليهم راشداً	واصنع صنيعك أمراً أو ناهيا
قال استعنت بمن هداك بنوره	ومحا بملتك الظلام الداجيا
ومضى فهزّ بني قريظة هزة	يغتيال راجفها الأشم الراسيا
قال اتبعوا يا قوم رأي نديمكم	إني محضتكم الوداد الصافيا
أفما رأيتم ما أصاب محمداً	من قومكم لما أطاعوا الغاويا؟
جهلوا فعاجلهم ببأس عاصف	لم يبق منهم في الجزيرة ثاويا
فدعوا قريشاً لا تظنوا أمرها	من أمركم أمماً ولا متدانيا
إن البلاد بلادكم فإن انثنت	ومضى البلاء فلن تصيبوا واقيا
إن تأخذوا سبعين من أبطالهم	رهناً يكن حزمًا ورأياً شافيا

* * *

وأتى قريشاً في مخيلة ناصح	يبدي الهوى ويذيع سرّاً خافيا
يا قوم إن بني قريظة أحدثوا	أمراً طفقت له أعضُ بنانيا
قال المنبئ إنهم ندموا على	ما كان منهم إذ أجابوا الداعيا
بعثوا فقالوا يا محمد ما ترى	إن نحن أحسنًا؟ أتصبح راضيا؟
نعطي سيوفك من قريش ثلّة	ونسوق من غطفان جمعاً رابيا
من هؤلاء وهؤلاء نعدهم	سبعين تقتلهم جزاء وافيا

وتردُّ إخوتنا إلى أوطانهم بعد الجلاء وكان حكمك ماضيا
كانوا على حدث الزمان جناحنا فتركت ناهضه كسيرًا داميا

* * *

ومشى إلى غطفان ينبئهم بما سمعت قريش أو يزيد مُحابيا
أهلي منحت نصيحتي وعشيرتي نبهت أخشى أن يجل مصابيا

* * *

هفت المخاوف بالنفوس فزلزلت ومضت بها هوج الظنون سوافيا
لم يُبق منها الأشجعيُّ بمكره ودهائه غير الهواجس باقيا

* * *

جلس ابن حرب في سراة رجاله همًّا يطالعهم وخطبًا جاثيا
والرهط من غطفان ينظر واجمًا حينًا ويهدر عاتبًا أو لاحيا
لبثوا يدير الرأي كل مجرب منهم فيا لك حيرة هي ما هيا

* * *

بعثوا فقالوا لليهود تأهبوا للحرب نطوي شرها المتماديا
لم يَبَقْ من خُفٍّ ولا من حافر إلا سيصبح هالكا أو فانيا
طال المقام ولا مقام لمعشر نزلوا من الأرض البعيد النائيا
أمست منازلهم بأرض عدوهم والموت يخطر رائحًا أو غاديا
قالوا أيوم السبت نبرز للوغى ولقد علمنا ما أصاب الباغيا؟
لسنا نقاتل أو تُؤدُّوا رهنكم إنا نرى الداء المكتَّم باديا
سبعين إن خنتم قضينا أمرنا فيهم ولن يجدوا هنالك فاديا

* * *

غضب ابن حرب ثم قال لقومه صدق ابن مسعود وخاب رجائيا
غدر اليهود وتلك من عاداتهم يا قوم ما للغادرين وما ليا؟
ما كنت أحسب والخطوب كثيرة أن الأحبة يصبحون أعاديا

* * *

هذا بناء القوم مال عموده	فوهى وأصبح ركنه متداعيا
هدم الإمام العبقري أساسه	وسما بدين العبقرية بانيا
شيخ السياسة ليس يبعث غارة	أو يبعث الرأي المظفر غازيا
الله علّمه فليس كفنّه	فنّ وإن بهر العقول معانيا

* * *

الله أرسله عليهم عاصفاً	متمرداً يدع الجبال نوازيا
شرس القوى عجلان أهوج يرتمي	يزجي الغوائل مستبداً عاتيا
ما لامرئ عهد يظنّ بمثله	من بعد عادٍ رائئاً أو راويا
قلّب المنازل والبيوت فلم يدع	إلا مصائب مثلاً ودواهيا
ألقي على القوم العذاب فما يُرى	متزحزحاً عنهم ولا متجافيا
الأرض واسعة الجوانب حولهم	ما مسّ منها عامراً أو خاليا

* * *

نزلت جنود الله رعباً بالغاً	ملأ القلوب فما برحن هوافيا
وأتى حذيفة في مدارع غيهب	ألقي على الدنيا حجاباً ضافيا
يتلمس الأخبار ماذا عندهم؟	أأفاق غاويهم فيصبح صاحيا؟
جاء الرجال يدسّ فيهم نفسه	والحتف يرقبه مخوفاً عاديا
بيدي معاوية وعمرو أمسكت	كلتا يديه موارباً ومداجيا
لولا الرسول ودعوة منه مضت	لَقِيَ الأُسنة والسيوف مواضيا
بلغ البلاء بهم مداه فلم يجد	منهم سوى شاك يطارح شاكيا
يدعو أبو سفيان يا قوم انظروا	إنّا وجدنا الأمر صعباً قاسيا
فيم المقام؟ كفى التعلل بالمنى	هَبُّوا فإنني قد مللت مقاميا
حسبي على ألم الرحيل وحسبكم	أن يرجع الجيش العرمرم ناجيا
ثم اعتلى ظهر البعير وقال سر	لا كان ذا الوادي المروّع واديا
فاهتاج عكرمة وقال أهكذا	يهنّ الزعيم ألا تقيم لياليا؟

إنزل وسر في القوم سيرة ماجد لا تُشْمَتَنَّ بك العدو ولا بيا
نزل الزعيم يجرُّ حبل بعيره ويقول سيروا مسرعين ورائيا

* * *

ساروا وقال ابن الوليد أما لنا يا عمرو أن نلقى الليوث ضواريا؟
إن كنت صاحب نجدة فأقم معي وليبق من رُزقوا النفوس أوابيا
أبيا الرحيل حمية فتخلفا وأباه قوم يتقون الزاريا
ثم استبدَّ بهم قضاء غالب فمضوا وأدبر جمعهم متراميا

* * *

ومضى حذيفة بالبشارة يبتغي عند النبي بها المحلّ العليا
وافاه في حرم الصلاة وقدها والنور نور الله يسطع زاهيا
حتى قضاها سمحة مقبولة متهجداً يتلو الكتاب مناجيا
ركعات ميمون النقيبة مشرق ترد السماء أهلة ودراريا
سمع الحديث فراح يحمد ربه فرحاً ويشكر فضله المتواليا

* * *

إن يجمع القوم الجنود فإنما جمعوا مزاعم تُفتَرى ودعاويا
جمعوا لأغوال يطول غليلها ممّا تحامها المنون تحاميا
من كل مقتحم سواء عنده وردّ المنية شارباً أو ساقيا

* * *

سر في عبيدك يا ابن حرب إنما لاقيت منهم سادة ومواليا
لن تبلغ النصر المروم ولن ترى إلا ظُبيّ مهزومة وعواليا
ذهبت لطيّتها الكتائب خيِّباً وذهبت تبعث بالكتاب مُناويا
بئس الكتاب عويت فيه ولن ترى ضرغامة الوادي يخاف العاويا
ورفعت للأصنام فيه لواءها وهي التي تركت لواءك هاويا
أتعيبها أن لم تكن عربية؟ أفما رأيت جمالها المتناھيا؟
أنكرت حسن الفارسية غيرة وحسدتها فجعلت نفسك واشيا

لله دُرُّك يا ابن حرب شاديا	زدها من الوصف البديع وغننا
لا تُخَف ما بك إن أردت مواسيا	ماذا أصابك من كتاب محمد
تسري أراقمها فتعيي الراقيا؟	أفما صعقت له وبت بليلة
أفما تزال القاعد المتوانيا؟	إنهض أبا سفيان نهضة مهتد

غزوة بني قريظة

كانت هذه الغزوة يوم رجع المسلمون من غزوة الخندق، فأمر النبي ﷺ بلالاً (رضي الله عنه) فأذن في الناس بالقتال، وبعث منادياً يقول: يا خيل الله اركبي، ثم سار إلى بني قريظة في ثلاثة آلاف مقاتل، وكانت الراية في يد علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه). ولجأ اليهود إلى حصنهم فحوصروا فيه خمساً وعشرين ليلة — على أصح الروايات. ونصح كعب بن أسد كبير اليهود لقومه وعمر بن سعدى، فلم يقبلوا، وضاق بهم الأمر، فبعثوا إلى النبي يطلبون أن يرسل إليهم أبا لبابة — من الأوس حلفائهم — فلما جاءهم قالوا: تحقق دماؤنا، ونأخذ ما تحمل الجمال إلا الحلقة السلاح، وعرض ذلك على النبي فأبى، وطلبوه ثانية ونزلوا عن الأموال والحلقة فأبى، ثم نزلوا على حكمه ﷺ، وحكم سعد بن معاذ (رضي الله عنه)، فأمر بهم فكتفوا، وبالنساء والذراري فجعلوا ناحية، وقتل حيي بن أخطب في من قتل منهم.

فقل لبني قريظة ما السبيل؟	ترامى الجيش واندفع الرعيل
نزىل الشؤم هل صدق النزيل؟	سلوا كعباً وصاحبه حياً
من الأحداث داهية أكل	أطعتم أمره فتلقفتكم
وقد يجني على القوم الدليل	وكان دليلكم فجنى عليكم
يسدده ولا رأي أصيل	دليل السوء لا عقلٌ حصيف
جنود الله يقدمها الرسول	تفرقت الجموع وأدركتكم
رأيتم كيف يتعظ الجهل	جهلتم ما وراء الغدر حتى
به وبسيفه البطل المهول؟	ألم تروا اللواء مشى إليكم

حذارِ بني قريظة من علي وما يجديكم الهذيان شيئاً
ولا يغرركم الأطم الطويل وهل يجدي المُخْبَلُ ما يقول؟
وما لبني القروء سوى المواضي يكون لها بأرضهم صليل

* * *

تواروا كالنساء محجّبات خلا الميدان لا بطل ينادي
أقاموا مُحَجَّرِينَ على هوان يرتق عيشهم جوع وخوف
يبيت لهم منتشراً عليهم يلفهم السهاد فلا رقاد
يخاف النومَ أكثرُهم سهاداً إذا مالت به سِنَّةٌ تنزّى
يطيب لهم ولا صبر جميل تطوف بهم مناياهم طنوناً
كأن النوم في عينيه غول توهُجُ في مخالبتها النصول
يظن جوانب الدنيا تميل وحقاق بهم جنون أو زهول

* * *

يقول كبيرهم يا قوم ماذا ترون؟ أهكذا تَعْمَى العقول؟
أليس محمد من قد علمتم فما الخَبَلُ الملحُ وما الغفول؟
رسول الله ما عنه صدوف لمن يبغي النجاة ولا عدول
أبعد العلم شكُّ؟ بل ضللتهم على علم وذلكم الغلول
هلموا نَتَّبِعْهُ فَإِنْ أبيتُم فليس لنا سوى الأخرى بديل
نضحي بالنساء وبالذراري ونخرج والدم الجاري يسيل
بأيدينا السيوف مسللات نصون بها الذمار إذا نصول
فإلاً تفعلوا فالقوم منّا بمنزلة تنال بها الذحول
لهم منّا غداً بالسبت أمن فما يغني التردد والنكول
هلموا بالقواضب إن أردتم فما اجْتُنِبَ الجماح ولا الجفول
عصوه وراضهم عمرو بن سعدى

عَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ

أبوها جزية ثقلت عليهم وقالوا بئسما يرضى الذليل
ففارقهم على سخط وضغن وراح يقول لا نعم القبيل
نهاهم قبل ذلك أن يخونوا فكان الغدر والداء الوبيل

توالى الضُّرُّ عبثًا بعد عبءٍ فهدَّ قواهم العبءُ الثقيل
دَعَوْا يستصرخون ألا دواء فقد أشفى على الموت العليل؟
لعل أبا لبابة إن ظفرنا بمقدمه لعثرتنا مقييل
وأرسله النبي فخالفوه وقالوا لا يصاب لنا قتيل
لكم منَّا السلاح إذا أردتم وتنطلق الركائب والحمول
وعاد فراجعوه على اضطرار وهان عليهم المال الجزيل
إليك أبا لبابة ما منعنا وشرُّ المال ما منع البخيل
خذوه مع السلاح وأطلقونا فحسب محمدٍ منَّا الرحيل
فقال دماؤكم لا بدَّ منها وذلك حكمه فمتى القبول؟
أجب يا كعب إن الأمر حتم فماذا بعد إلاَّ المستحيل
وما من معشر يا كعب إلاَّ على حكم النبي لهم نزول
نصحت لكم وما للقوم عذر إذا نصح الحليف أو الخليل

هووا من حصنهم وكذاك تهوي وتهبط من معاقلها الوعول
وجاءوا ضارعين لهم خوار يجاوبه بكاء أو عويل
يبثُّ الوجد مبتئس حزين وتذري الدمع والهة ثكول
قضاء الله من قتل وسبِّي مضى والبغي دولته تدول

يقول الأوس إن القوم منَّا على عهد وقد طمت السيول
موالينا إذا خطبُ عناهم عنانا ما يشقُّ وما يعول
وهم حلفاؤنا نحنو عليهم ونحذب إن جفا الحذب الوصول

رسول الله إن أثم الضلوع	أنقتلهم بأيدينا؟ فغفوا
إلى سعد فنعم هو الوكيل	فقال جعلت أمر القوم طرا
ترفق إنك المولى النبيل	وجيء به يقول له ذووه
بنصرة ربه الأعلى كفيل	فقال دعوا اللجاج فإن سعدا
رجال عزمهم وإه كليل	فصاح يقول وا قوماه منهم
وآل الأمر أحسن ما يئول	أتى فأقرَّ حكم الله فيهم
صقيل منهما غضب صقيل	عليّ والزبير لكل غضب
وروح الله بينهما رسيل	هما استبقا نفوس القوم نهبا

* * *

ورد يا كعب ما ورد الزميل	تقدم يا حيي فلا محيص
وسجل من منيته سجيل	لكل من شقاء الجد ورد
هوى بكما فشأنكما ضئيل	أصابكما من الأقدار رام
هم البرحاء والداء الدخيل	لبئس السيدان لشر قوم
فلم تطب الفروع ولا الأصول	منابت فتنة خبيثت وساءت
والباب من الزعماء حول	قلوب من سواد القوم عمي
وعمهم البلاء فهم قليل	أضلهم الغباء فهم كثير

* * *

له من محكم التنزيل غيل	تخطفهم هريت الشدق ضار
ولا سلم الشباب ولا الكهول	فما نجت النساء ولا الذراري
وأشرقت المزارع والحقول	تهللت المنازل والمغاني
لآل محمد ظل ظليل	وبات الحصن مبهجا عليه

* * *

تراب في حفائهم مهيل	لعمر الهالكين لقد تأذى
تمور بمن عليها أو تزول	طوى رجسا تكاد الأرض منه
وأخرى بالشام لها أليل	يساق السبي شردمة بنجد

ولا ولد يذبُّ ولا حليل بأرض ما تجرُّ بها الذبول وخيلاً في قوائمها الحبول كريم الذكر ليس له مثيل تعالَت أمة واعتزَّ جيل إذا الأقمار أدركها الأفول فما يُخفي زواهرها الخمول من الدهر العوائق والشغول إذا انطلقت لحاجتها الفحول حرائرُ ما لها أبداً مُذيل يخالطها ولا أدب هزيل لألباب أضرَّ بها المحول فيخلف مطمع ويخيب سول؟ لأسرى ما تفارقها الكبول؟	جلائب لا أبُّ في السوق يحمي تُجرُّ على الهوان ولا مغيث أصاب المسلمون بها سلاحاً مكرمة تُعدُّ لكل يوم إذا ذكرت مناقبه الغوالي مناقب ما يزال لها طلوع لها من نابه الأدب انبعاث ضمنتُ لها البقاء وإن عنتني وما تغني الخزائم حين تُلوى تُخلِّدُها مصونات حسان صفايا الشُّعر لا خلق زريُّ لعلَّ الله يجعلها ربيعاً فوا أسفا أتطمعني القوافي ووا حرباً أما يُرجى فكاك

ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) وَالزُّبَيْرُ بْنُ بَاطَا

كان الزبير بن باطا (بزاي مفتوحة، وقيل مضمومة) شيخاً من بني قريظة من على ثابت بن قيس في الجاهلية يوم بعث حرب بين الأوس والخزرج كان الظفر فيها للأولين، أخذه فجز ناصيته، ثم خلى سبيله.

سأل ثابتاً (رضي الله عنه) أن يشفع له لدى النبي ﷺ لينجو من القتل، فجاءه وذكر له ما كان من أمره معه، وقال: يا رسول الله، إنها يد أحفظها له، وأحب أن أجزيه بها، فقال: «هو لك»، وعاد فأخبر الزبير فقال: شيخ كبير لا أهل له ولا ولد، فما يصنع بالحياة؟ ورجع ثابت فكلّم النبي في أهله وولده. فقال: «هم لك»، وأخبر الشيخ فقال: أهل بيت بالحجاز لا مال لهم، فما بقاؤهم على ذلك؟ وشفع ثابت في ماله، فقال له الرسول الكريم: «هو لك».

قال اليهودي: أما أنت فقد قضيت ما عليك، فماذا فعل بالذي كان وجهه مرآة مضيئة، تتراءى منها عذارى الحي؟ يعني كعب بن أسد سيد بني قريظة، قال ثابت: قتل، قال: فما فعل بسيد الحاضر والبادي من يحملهم في الجذب ويطعمهم في المحل، حيي بن أخطب؟ قال: قتل ... ثم سأله عن آخرين من سادات قومه فقال: قتلوا، قال: أسألك يا ثابت أن تلحقني بالقوم، فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير، أأرجع إلى دار قد كانوا فيها حلولاً فأخلد فيها؟

فقال ثابت: ما كنت لأقتلك، وقدمه إلى الزبير بن العوام (رضي الله عنه) فقتله.

ويركب متن الظلم من ليس ينصف
وللمرء ذي التقوى عن الغي مصرف
وأثر حد السيف والسيف يصدف
لدى محسن يُسدي الجميل ويعطف
لشيخ دعاني ضارعًا يتلهف
وتلك يد بيضاء للشيخ تُعرف
على ما ترى من شأنه لمكلف
يبشره بالعفو والشيخ يرجف
وقال حياة شرها ليس يوصف
سوى الموت إني عن حياتي لأعزف
أنبقى بلا مال فنشقى ونتلف؟
وبرًا فراح الشيخ يهذي ويهرف
ويُطري سجاياهم فيغلو ويسرف
وقال أريد الموت فالعيش أخوف
هم الصحب ما لي بعدهم متخلف
ديار بهم كانت تُحبُّ وتؤلف
تبیت لها نفسي ترف وتنطف
فهل أنت للصادي المعذب مسعف؟
ومثلي يأبى ما تريد ويأنف
يغالبه والموت بالشيخ يهتف
فطاح به ماضي الغرارين مرهف
كريبه وخطب فادح ليس يكشف
وبرٌ رسول الله والبرُّ مجحف
وذو الجهل يُرمى من يديه ويقذف

كذلك يَشقى الجامح المتعسف
يموت بسوء الرأي من ساء خلقه
أضاع الزبير الأمر والأمر مقبل
سعى ثابت يجزيه سالف صنعه
فقال رسول الله جئتكَ شافعًا
حباني دمي يوم البعث وفكّني
فهبه رسول الله لي إنني به
فقال فعلنا ثم عاد شفيعه
فجدّ له في المحسن السمح مطمّع
بنّي وأهلي ليس لي إن فقدتهم
فلما تسنّى الأمر قال لثابت
وجاد رسول الله بالمال رحمة
يسائل عن كعب وسادات قومه
توجّع لما قيل ذاقوا حمامهم
خذ السيف واضرب يا ابن قيس فإنهم
كفى حزناً يا صاحبي أن تضمّني
أرحني أرحني يا ابن قيس بضربة
تزودت من نأي الأحبة غُلّة
فقال معاذ الله لست بفاعل
وجاء به يلقي الزبير على أسي
وقال اسقه ريّ الغليل من الردى
فيا لك من رأي سفيه ومركب
قضى ثابت حق المروءة وافيًا
ولكنّ شيخ السوء أهلك نفسه

سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) فِي خِيْمَةِ رُفَيْدَةِ الْأَسْلَمِيَّةِ

لما رمى حبان بن العرقة سعد بن معاذ (رضي الله عنه) في غزوة الخندق بسهم في أكحله أمر النبي ﷺ أن يوضع في خيمة رفيدة الأسلمية (رضي الله عنها)، وكانت في جانب من مسجده ليعوده من قرب، فلما عاد إليها بعد أن أمضى رأيه في بني قريظة انفجر جرحه، فإذا الذين في المسجد يرون الدم يسيل إليهم، وله هدير من خيمة زوج رفيدة، وهو من (بني غفار)، فسألوا فقيلاً لهم: إنه سعد بن معاذ انفجرت جراحته فمات — وقد كان سأل الله حين أصابه ذلك السهم أن لا يميته حتى يشفي صدره من بني قريظة، وقد شفاه.

وأبى الهدوء الصارخ المتوجع
وحشاشة تهفو وقلب يفزع
خطب يجيء به الزمان ويرجع
تُرَجَّى عواقبها ولا هو ينزع
أين الولائد والفناء الأوسع؟
للمعشر الجَفَلَى تقام وترفع
فوفى الرجاء وصحَّ منك المطمع
مثواك مطَّرح الجوار ويجزع
الخير والرضوان عندك أجمع
منِّي على كُثْبٍ أراه وأسمع

هدأ المخيم واطمأنَّ المضجع
الحقُّ جنُبُ بالجراحة مثخن
يا سعد خطبك عند كل موحد
السهم حيث تراه لا آلامه
ما أنت حيث يكون سيد قومه
لك من رُفَيْدَةِ خِيْمَةٍ في مسجد
بل تلك منزلة الصَّفِيِّ بلغتها
حدِبَ الرسول عليك يكره أن يرى
جارَ الرسول وما بليت بحاسد
قال اجعلوا البطل المنوَّة باسمه

وَأَعُوذُهُ مَا شِئْتُ أَقْضِي حَقَّهُ وَأُرَى قِضَاءَ اللَّهِ مَاذَا يَصْنَعُ؟
حَسْبَ الْمَجَاهِدِ أَنْ يَكُونَ بِمَسْجِدِي فَلَذَلِكَ الْحَرَمُ الْأَعَزُّ الْأَمْنَعُ

* * *

اللَّهُ خَصَمَكَ يَا ابْنَ قَيْسٍ إِنَّهُ سَهْمٌ أَصِيبَ بِهِ التَّقِيُّ الْأَرْوَعُ
لَا أَخْطَأُكَ مِنَ الْجَحِيمِ وَحَرِّهَا مَشْبُوبُهُ فِيهَا تَدْعُ وَتَدْفَعُ

* * *

لَمِنَ الدَّمِ الْجَارِي يَظِلُّ هَدِيرُهُ مَلَأَ الْمَسَامِعَ دَائِبًا مَا يُقْلَعُ؟
أَفَمَا تَرُونَ بَنِي غَفَارٍ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ خِيَمَتِكُمْ يَفِيضُ وَيَنْبَعُ؟
مَاذَا بِسَعْدٍ يَا رُفَيْدَةَ خَبَّرِي إِنْ الْقُلُوبَ مِنَ الْجَنُوبِ تَطْلُعُ؟
يَا حَسْرَتَا هُوَ جَرَحَهُ يَجْرِي دَمًا بَعْدَ الشِّفَاءِ وَنَفْسُهُ تَتَمَزَعُ
حَضَرَتْ مَنِيَّتُهُ وَحُمَّ قِضَاؤُهُ وَلِكُلِّ نَفْسٍ يَوْمُهَا وَالْمَصْرَعُ

* * *

ضَجَّ النِّعَاةُ فَهَزَّ يَثْرِبَ وَجَدَهَا وَهَفَا بِمَكَّةَ شَجَّوْهَا الْمُتَنَوِّعُ
رُكْنٌ مِنَ الْإِسْلَامِ زَالَ وَمَا انْتَهَى بَانِيهِ ذَلِكُمُ الْمَهْمُ الْمَفْطَعُ
خَطَبَ أَصَابَ الْمُسْلِمِينَ فَذَاهِلَ مَا يَسْتَفِيقُ وَجَازَعُ يَتَفَجَّعُ

* * *

صَبْرًا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ تَكُ شِدَّةُ نَزَلْتَ فَإِنَّكَ لَلْأَشَدُّ الْأَضْلَعُ
أَنْتَ الْمَعْلَمُ لَا شَرِيعَةَ لِلْهَدَى إِلَّا تُسَنُّ عَلَى يَدَيْكَ وَتُشْرَعُ
تَمْضِي عَلَى الْمَثَلَى وَكُلُّ يَقْتَفِي وَتَجِيءُ بِالْفَضْلَى وَكُلُّ يَتَّبِعُ
أَقَمِ الصَّلَاةَ عَلَى الشَّهِيدِ وَسِرُّهُ فِي ظِلِّ رَبِّكَ وَالْمَلَأْتُكَ خُشْعُ
يَمْشُونَ حَوْلَ سَرِيرِهِ عِدَدُ الْحَصَى فَالْأَرْضُ مَا فِيهَا لِرَجْلِكَ مَوْضِعُ
تَمْشِي بِأَطْرَافِ الْأَصَابِعِ تَتَّقِي وَلَقَدْ تَكُونُ وَمَا تُوقَى الْإِصْبَعُ
الْعَرْشُ مَهْتَزُّ الْجَوَانِبِ يَحْتَفِي وَاللَّهُ يَضْحَكُ وَالسَّمَاءُ تُرْجَعُ

* * *

يا ناهضًا بالدين يحمل عبأه
إهناً بها حللاً حملت حسانها
هذا مكانك لا العطاء مقتّر
لك يوم بدر عند ربك مشهد
نُصِرَ النبي به على أعدائه
كانت مقالة مؤمن صدعت قوى
بعثت من الأنصار كل مدرّب
يا سعد ما نسي العريش مُقيمه
لما توالى الزحف جئت تحوطه
في عصابة ممن يليك دعوتها
قمت صفوفاً كالهضاب يشدها
ولقد رميت بني قريظة بالتي
أحبب بها من دعوة لك لم تمت
نقع الإله غليلَ صدرك إنه
إن شيعوك فلم تجدني بينهم
الدهر معمور بذكرك أهل

والبأس يعثر والسوابق تطلع
نوراً على نور يضيء ويسطع
عند الإله ولا الجزاء مضيع
هو للهدى والحق عرس ممتع
والجو يُظلم والمنايا تلمع
زعمت قريش أنها لا تُصدع
يقظ المضارب والقواضب هُجّع
يحمي غياث العالمين ويمنع
وتردُّ عنه المشركين وتردع
فالبأس يدلف والحمية تسرع
راس على الهوال ما يتزعزع
سمع المجيب فهالك ومروّع
حتى أصابك خيرها المتوقّع
يشفي صدور المؤمنين وينقع
فالخطب خطبي والبيان مشيّع
ما في جوانبه مكان بلقع

رُفِيدَةُ الْأَسْلَمِيَّةِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)

أقامت هذه السيدة الفاضلة خيمة لمداداة جرحى المسلمين الذين ليس لهم من أهليهم وذوي قرابتهم من يقوم عليهم ويتولى أمورهم، وكانت هذه الخيمة المباركة في ناحية من مسجد الرسول الكريم بالمدينة.

وزيدي قومك العالين شانا	رفيدة علّمي الناس الحنانا
وطوفي حولهم أنا فأنا	خذي الجرحى إليك فأكرميهم
عن الصوت المرّد حيث كانا	وإن هجع النيام فلا تنامي
تورّقهم فمثلك من أعانا	أعيني الساهرين على كلوم
سواك لهم ولا وجدوا مكانا	همُ الأهلون ما عرفوا أنيسًا
وسوّى من مراحمه البنانا	حباك الله من تقواه قلبًا
يزاحم في مواكبه الزمانا	رفعت لأسلم ذكرًا جليلاً
تُذكّرنا محاسنه الجنانا	ضيوف الله عندك في محلّ
جلال لا يرام ولا يُداني	فيا لك خيمةً للبر فيها
فجمّلها بروعته وزانا	جلال الله ألقاه عليها
نزيد على الزمان به افتتنا	نسيج من شعاع الحق بدع
وإن نسجوا للجنّ أو الجمانا	تقلّ بدائع النساج عنه
يحيط به ولو أفنى البيانا	وما يجد الأديب الفرد وصفًا
جليل الشأن يعيي الترجمانا	له في الذهن ترجمة ومعنى
جناح الريح أجعله لسانا	لساني موثّق يا رب هب لي

فأذهب حيث شئت من القوافي وأرسلها محبة حسانا
وألبسها رفاة معجبات ضوامن أن تجل وأن تصانا

* * *

رُفاة جاهدي ودعي الهوينى فما شرف الحياة لمن توانى
ورب مجاهد بلغ الثريا وما عرف الضراب ولا الطعانا
وكم هز الممالك في علاها فتى ما هز سيقا أو سنانا
ومن لم يمتحن دنيا المعالي فما امتحن الشجاع ولا الجبانا
رفاة ذلك الإسلام حقا تبارك من هداك ومن هداانا
تبارك ربنا ألقى علينا سنا الوحي المنزل واصطفانا
هديننا العالمين به وإنا لنحن القوم لا هاد سوانا

سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)

كان طعام المسلمين في هذه الغزوة التمر، يرسله سعد بن عبادة (رضي الله عنه)، فهو الذي مؤن الجيش، ومن مناقبه أنه أبى على عيينة بن حصن والحارث بن عوف أن يأخذا نصف تمر المدينة ليرجعا بمن معهما في غزوة الخندق، وكان سعد بن معاذ (رضي الله عنه) على رأيه في ذلك، ومن هذه المناقب طوافه على الأنصار يستفزهم للقتال في غزوة بدر، وقد غاب عن هذه الغزوة المباركة؛ لأن حية نهشته فلم يقدر على الغزو، وقال النبي ﷺ في ذلك: «لئن لم يشهدا سعد لقد كان حريصاً عليها»، ثم ضرب له بسهمه وأجره. كان (رضي الله عنه) نقيب بني ساعدة (من الخزرج)، ومات بحوران من أرض الشام في السنة الرابعة عشرة، في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وقبره بالمنيحة (قرية من غوطة دمشق).

يا مطعم الجيش أشبعت السيوف دما	لولاك ما شبعت يوماً ولا طِعما
أنت الحياة جرت في كل منطلق	تغشى الكمّي وتغشى الصارم الخدما
تتابع الجود لا بخل ولا سأم	دين المروءة يأبى البخل والسأما
المسلمون يدٌ لله عاملة	تمضي أصابعها في شأنها قدما
لا تشتكي إصبع من إصبع وهنا	ولا تغايرها إذ تشتكي الألما

* * *

يا سعد أدّيت حق الله من ثمر	لو كان من ذهب ما زدته عظما
كذلك الخير يُدعى المرء مغتنماً	إن راح ينهبه في القوم مغتنماً

زادتك نخلك يا سعد بن ساعدة
هذا جناها بأيدي القوم منتَهَب
أحصاه يا سعد عدًّا ثم ضاعفه
فضلًا وزادت على أمثالها كرما
والله يكتب فانظر هل ترى القلما؟
فلست تحصيه حتى تحصي الأمما

إدفع عيينة واردع جها صاحبه
تمر المدينة ما فيه مساومة
طعام كل فتى لله منتدب
منعته ونصرت الله في همل
وصنّته علماً للحق تحفظه
ما يصنع الناس إن ضاعت محارمهم؟
إن الحديث حديث الله لو علما
أو يرجع السيف عنه مترعًا بشما
لا يغمد السيف عمن يطعم الصنما
من عصبة الشرك لا يرضونه حكما
لا يحفظ العرض من لا يحفظ العلما
وما على الأرض أن لا تحمل الرمما؟

ألم تُهَبْ يوم بدر بالألى نفروا
يا قوم إن جموع الكفر حاشدة
إن لم يبت ناجيًا من سوء ما اعتزموا
للحرب يصلون من نيرانها ضرما؟
فأين يذهب دين الله إن هُزما؟
فلا نجا أحد منّا ولا سلما

يا باعث القوم شتّى من مجاثمهم
من حيّة السوء ألقيت السلاح على
كنت الحريص عليها وقعة جلا
كذاك قال رسول الله فابتهجت
أعطاك سهمك يجزي نية صدقت
ما بال عزمك في آثارهم جثما؟
كره ورحت تعاني الهم والسقما
لم تُبق للكفر من أطامه أطما
منك المشاهد لم تنقل لها قدما
شريعة الله ما حابى ولا ظلما

غزوة بني لحیان

كانت في ربيع الأول من السنة السادسة، وسببها حزن النبي ﷺ لما أصاب عاصم بن ثابت وأصحابه، والمندر بن عمرو الخزاعي وأصحابه (القراء السبعين) رضي الله عنهم من غدر بني لحیان وفتكهم، وكانوا قد طلبوا منه أن يبعث إليهم من يفقههم في الدين، ويدعوهم إلى الإسلام، فقتلوا من قتلوا من الأولين في (الرجيع)، واستأصلوا هؤلاء عند (بئر معونة)، وكانت الواقعة الأولى في مستهل السنة الرابعة، والثانية في صفر من هذه السنة.

والواقعتان داخلتان في باب السرايا، وقد اعتمدنا في ملاحمتنا هذه أن نبدأ بالغزوات ثم نأتي بعدها بالسرايا في مجموعة خاصة، فنحن إذن لا نجري على الترتيب التاريخي في هذين البابين احتفاظًا بالوحدة النوعية في كل باب.

خرج النبي إلى هذه الغزوة في مئة من أصحابه فلما بلغ (وادي غراب) من منازل بني لحیان، وهو المكان الذي قتل فيه أصحاب الرجيع، ترحم عليهم، ودعا لهم بالمغفرة، فسمع القوم وهربوا في رءوس الجبال، فأقام يومًا — أو يومين — يبعث السرايا في كل ناحية من نواحيهم، فلا تجد منهم أحدًا، ثم رجع ﷺ.

وقوا مهجاتكم حرًّا القتال	بني لحیان لودوا بالجبال
لقد ضقتُم بأخلاق الرجال	أمن غدر إلى جبن؟ لعمري
فليس لناره في الحرب صال	لكم من خصمكم عذر مبين
صاحبته بمكر واحتيال؟	أما انصدعت قواكم إذ أخذتم
وما الكفار إلا في ضلال	كذبتم ما لأهل الشرك عهد

مخوف الكر مرهوب النزال	قتلتهم عاصمًا بطلًا مجيدًا
بأسرار الأسنة والنصال	فنون الحرب تعرفه عليمًا
إذا فزع الرماة إلى النبال	وتشهد أنه البطل المرجى
أمانته وأودى غير آل	رماكم ثم جالدكم فأدّى
أيحفل حين يقتل أو يبالي؟	وقاتل عقبة في يوم بدر
رويدًا إن صاحبكم لغال	أردتم بيعه ليُنال وتر
لهامة ماجد سمح الخلال	وليس لدى سلافة من كفاء
وسوء المنكرات من الفعال	حماه الله من دنس ورجس
من الدبر المسلح للنضال	شهيد الحق تحرسه جنود
وسقتم صاحبيه بشر حال؟	وعبد الله فيم قتلتموه
ويلوي المرء عن طلب المعالي	طلاب المال يولع بالدنايا
قليل النفع من إبل ومال	رضيتم بيع أنفسكم ببخس

يُعذَّب في أداهمه الثقال	خُبيبٌ في يدي جاف شديد
يصبُّ عليه مختلف النكال	وزيد عند جبار عنيد
فتلك حفائظ الرمم البوالي	كلا أبويهما قتلا ببدر
بأن الحادثات إلى زوال	يزيدهما البلاء هدىً وعلماً
وإن طمع المضلل في المحال	وأن لكل نفس منتهاها
جلال الحق بورك من جلال	لكلّ مشهد عجب عليه
يكشر عن نواجذه الطوال	يروح الموت حولهما ويغدو
من العبق المقدس ما يوالي	وذكر الله متّصل يوالي
يزلزل في الخطوب قوى الجبال	هو الإيمان من يشدّد قواه

رفيع الشأن ممتنع المنال	هنيئًا يا خبيب بلغت شأواً
أتاك بغير كد أو سؤال	ملأت يدك من رزق كريم
عميم الجود فيأض النوال	تنزل من لدن رب رحيم

غزوة بني لحيان

كُلِّ العنَبَ الجنِّيَّ وزده حمداً على حمد يدوم مدى الليالي
تقول الحارثيَّة ما لعيني أفي سحرٍ تقلَّب أم خيال؟
أرى عنباً وما من ذاك شيء بمكة يا لها عظةً ويا لي
ويا لك من أسير ما علمنا له بين الأسارى من مثال

* * *

أتى الأجل الذي انتظروا وهذي سيوف القوم محدثة الصِّقال
فماذا في يمينك يا خبيب وما بال الصغير من العيال؟
كأنَّ بأمه حذراً عليه نوازع من جنون أو خبال
ترى موسى بكفك وهو رهن بذبح فوق فخذك واغتيال
ولكنَّ للكريم السمح ناه من الشيم السنيَّة والخصال
وماذا كنت تحذر من عقاب وورد الموت محتضر السِّجال؟
وسعت عدوك الموتور حلماً ومكرمة على ضيق المجال
فأَيْكَمَا الذي رمت السَّجايا مروءته بأسر واعتقال
وأَيْكَمَا القتيل؟ ومن سيبقى حياة للأواخر والأوالي؟

* * *

ألا إن الصلاة لخير زاد وإن الركب آذن بارتحال
تزود يا خُبيبٌ وثق برب لمثلك عنده حسن المآل
فسر في نوره الوضاح والبس جمال الخلد في وطن الجمال
هنالك معرض لله فخم بديع الصنع لم يخطر ببال
أترضى أن ترى خير البرايا مكانك؟ ساء ذلك من مقال
صدقت خبيب إنك للعوادي إذا هي أخطأته لذو احتمال
تبيع بشوكة تؤذيه نفساً تشكُّ صميمها صم العوالي
كذلك قال زيد الخير لما تردى في السفاهة كل قال
همو قتلوك مصلوباً وأغروا به وبك الضعاف من الموالي
رفيقك في التجلُد والتأسي وخدنك في التقدم والصيال
أتعزلان دين الله خوفاً؟ فمن أولى بخوف وابتهاال؟

معاذ الله إن الله حق وإن المجرمين لفي وبال
لدين الشرك أجدر باجتناز وأخلق باطراح واعتزال
هو الداء العضال لمبتغيه وكل الشر في الداء العضال
كمال النفس إيمان وتقوى وماذا بعد مرتبة الكمال؟

* * *

حبيس الأربعين ألا انطلقاً كفاك ألم تزل مُلقَى الرحال؟
أسرَّك أن تظل مدى الليالي جميع الشمل موصول الحبال؟
على خرقاء يكره من يراها طلاب الود منها والوصال
علقت بها فما أحدثت هجرًا ولا حدّثت نفسك بالزيال
يملُّ المرء صاحبه فيشقى بصحبته وما بك من ملال
ويسلو كل ذي شجن ووجد وأنت على مصابك غير سال
بليت بكل ذي قلب غبيٍّ غدافيٍّ من الإيمان خال
لأنّ الحجة الكبرى عليهم فما نفْعُ المرء أو الجدال؟

* * *

تأهبّ يا خبيب أتاك غوث يؤمك في ركائبه العجال
مضى بك يتبع الغرماء منه بعيد مدى التعلل والمطال
تقاضوه فما ظفر التقاضي بغير علالة النقع المذال
قطيع من طغام القوم يعدو على آثاره عدو الرئال
فلما أوشكوا أن يدركوه أهاب عليك يا رب اتكالي
وألقي بالشهيد فغيبته طباق الأرض كنزًا من لال
يزين المسلمين إذا تداعت شعوب الأرض من عطل وحال
طوت جسدًا من الريحان رطبًا عليه جلالة الشيخ البجال
قضى وكأنه حيٌّ يُرجى لحسن الصنع من صحب وآل
يدير القوم أعينهم حيارى كأن الله ليس بذى محال
ويأسف معشر باتوا سهارى تفيض جراحهم بعد اندمال
أجاب الله دعوته فبادوا وعادوا مثل محترق الذبال

غزوة بني لحيان

* * *

وماذا بالأُسود من النمال؟	بني لحيان ما صنع ابن عمرو
فياللؤم والخلق الرُّذال	قتلتهم صاحبه وصرعتموه
وهل تخشى القروم أذى الأفال؟	ولولا العذر لم يخشوا أذاكم
لأنتم شر أصحاب الشمال	أأصحابُ اليمين بكم أصيبوا

* * *

خبث جمراته بعد اشتعال	بني لحيان وا عجبى لبأس
على القمم الشواهد والقلال	فررتهم تنقون الموت زحفًا
تصيد القانصين إلى وعال	هو المسخ المبين فمن أسود
من الإسلام وارفة الظلال	دعوا الشرك المذل إلى حياة
ويصلح أمرهم بعد اختلال	هو الدين الذي يُحيي البرايا
ويسطع ما تلا القرآن تال	يَظِلُّ النور في الآفاق يسري

* * *

تَبَطَّنْ جوفَها داءُ السلال	أرى أممًا على الغبراء مرضى
على الضعف المبرِّح والهزال	تخال أشد خلق الله بأسًا
فلا تغررك جلجلة السعال	إذا ملأت جوانبها دويًّا
يعنُّ وتلك أنياب السعالي	مخضبة الجنان لكل صيد
ولا تدع الحرام إلى الحلال	حيارى لا تريد الحق نهجًا
ويسحم داءها بعد اعتلال؟	ألا هادٍ يقوِّم من خطاها

غَزْوَةُ ذِي قَرَدٍ

كانت بعد أيام قلائل من غزوة بني لحيان، وسببها أن عيينة بن حصن أغار في خيل من غطفان على لقاح رسول الله ﷺ، وكان يرعاها رجل من غفار وامرأة بمكان يقال له (الغابة)، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة مع اللقاح، وعلم بذلك سلمة بن الأكوع، فجعل يرميهم بالنبل بعد أن اشتد في أثرهم، وكان يسبق الفرس جرياً، ففعل بهم الأفاعيل، واستنفذ منهم كثيراً من اللقاح، وصاح ابن الأكوع فسمعه النبي، وقال: «الفرع الفرع، يا خيل الله اركبي»، فجاء الرجال، وجعل اللواء لسعيد بن زيد، رضي الله عنهم جميعاً.

ترفق يا عُيَيْنَةُ باللقاح وبالخيل المغيرة والسلاح
وخفض من غرورك والطماح فما مال النبيّ بمستباح
ولا هو يوم حرب أو كفاح
أتحسبها صناديد الرجال تداعوا بالقواضب والعوالي؟
وخفوا يا عيينة للقتال؟ يلفون الرعال على الرعال؟
فليس على الفوارس من جناح؟
رويداً إنها إبل تساق وراع واحد دمه يراق
وما بال التي احتمل الرفاق؟ أخفتم أن يكون لها انطلاق
فترميكم بمصمّة رداح؟
كفى ابنُ الأكوع البطل الجسور فذوقوا النار حامية تفور
رمى بالنبل فاضطرم السعير كذلك يفعل الرامي القدير
وتلك سهامه ما من براح

يُوَالِي الكَرَّ سَاعِدُهُ شَدِيدٌ وَبَيْنَ ضُلُوعِهِ قَلْبُ حَدِيدٍ
عَذَابٌ إِذَا يَكْرُرُ وَإِذَا يَحِيدُ يَفُوتُ الْخَيْلَ مِنْهُ مَا تَرِيدُ
وإن طارت بأجنحة الرياح
إذا طلبته لم تبلغ مداه وإن رجعت فليس لها سواه
يَمَزَّقُهَا بِمَا تَرْمِي يَدَاهُ فَتَذْهَبُ كُلَّمَا جَاشَتْ قَوَاهُ
حوامل للجراح على الجراح
تَخْطَفُ لِقْحَةً مِنْ بَعْدِ أُخْرَى وَجَاهِدُ يَرْهَقُ الْفَرَسَانِ عَسْرًا
يَرِيدُ لِقَاحَ خَيْرِ الْخَلْقِ طَرًّا وَيَكْرَهُ أَنْ يَسَاءَ وَأَنْ يُضْرًّا
وتلك مشاهد البطل الصراح
أَذَاقَهُمُ الْبَلَاءُ فَمَا اسْتَطَاعُوا وَغَالَهُمُ ارْتِجَافُ وَارْتِيَاعِ
قَوَى ضَاقَتْ بِهَا هَمَمٌ وَسَاعُ فَأَسْلَمَتْ الْأَكْفُ قَوَى شَعَاعُ
وَأَلَقْتُ بِالْبُرُودِ وَبِالرَّمَاحِ
وَيَا لَكَ صِيحَةً زَهَبَتْ تَرَامِي فَنَبِهَتْ الْأَلَى كَانُوا نِيَامَا
تَلَقَّاهَا النَّبِيُّ فَمَا أَقَامَا وَهَبَّ الْجَيْشُ يَحْتَدِمُ احْتِدَامَا
وحانت وقعة القدر المتاح
وَطَارَ الْأَخْرَمُ الْأَسَدِيُّ فَرْدًا يَسْبُ الْمَجْرَمِينَ وَمَا تَعَدَّى
وَلَمْ يَرَ مِنْ وَرُودِ الْمَوْتِ بَدًّا فَجَادَ بِنَفْسِهِ وَرَعَاهُ عَهْدَا
دَعَا دَاعِيَهُ حَيًّا عَلَى الْفَلَاحِ
هِيَ الرُّوْيَا الَّتِي قَصَّ الْقَتِيلُ عَلَى الصَّدِيقِ صَدَقَهَا الدَّلِيلُ
مَضَى لِسَبِيلِهِ نَعَمَ السَّبِيلُ فَتَى كَالسَّيْفِ مَشْهَدُهُ جَلِيلُ
هوى بمصارع البيض الصفاح
أَتَى جَيْشَ النَّبِيِّ فَأَيُّ خُطْبٍ أَصَابَ الْقَوْمَ مِنْ فَزَعٍ وَرَعْبٍ؟
إِذَا خَفِقَ اللِّوَاءُ فَكُلُّ قَلْبٍ مِنْ الْخَفَقَانِ فِي هَمٍّ وَكَرْبٍ
فَرَفَقًا يَا ابْنَ زَيْدٍ بِالْقَدَاحِ
رَمَوْا وَرَمَيْتَ بِالْأَبْطَالِ شَوْسَا تَخَوَّضَ إِلَى الْوَغَى يَوْمًا عَبُوسَا
تُفَلِّقُ مِنْ أَعَادِيهَا الرِّءُوسَا وَتَبْذُلُ دُونَ بِيضَتِهَا النِّفُوسَا
كَذَلِكَ فَلْيَكُنْ بِذَلِكَ السَّمَاحِ

إلى ابنِ عُيَيْنَةَ انطلق القضاء فما بأبيه إذ أودى غناء
 له من حول مصرعه عواء إذا شفت الصدى البيضُ الظماء
 فأهونُ بالعواء وبالنباح
 وأين دم ابن نضلة هل يضيع ويبقى بعده الحدث الفظيع؟
 لعمرك ما لقاتله شفيح صريع طاح في دمه صريع
 أحيط به فعوجل باجتياح
 هو المقداد إن دعيث نزال تقدّم لا يهاب ولا يبالي
 وما بأبي قتادة في الرجال خفاء حين تشتجر العوالي
 وحين يقال أين ذوو النطاح؟
 أصاب السهم وجهًا منه نضرا وأبصره النبي فقال صبرا
 وعالجه فأخرج منه شرًا وألقى نفثة كرمًا وبرًا
 فراح يذف في القوم الصحاح
 تزودّ منه كنزًا ليس يفنى تزود دعوة سعدًا ويمنا
 تزودّ رحمة وهديّ وأمنا تزود ما أحب وما تمنى
 وجاوز كل سؤل واقتراح
 شفيت أبا قتادة كل صاد لهيف الصدر حرّان الفؤاد
 يبيت على أسي ممن يعادي رسول الله في دين الجهاد
 وفي دنيا المروءة والصلاح
 غنمت سلاح مسعدة الشقيّ وفزت بطرفه فوز التقى
 عطاء من جواد أريحيّ عطاء الله من يدي النبي
 رسول الله أفضل مستماح
 لقد أحدثت للأبطال شغلا وهما ما أشد وما أجلا
 سقوا مكروهه نهلاً وعلاً ولولا فضل ربك ما تجلّى
 دعوا إذ أبصروا البرد المخلّى على الجسد الذي أوجعت قتلا
 نعاء أبا قتادة إذ تولى نعاء الفارس البطل المدلا
 وضجوا بالتي في الخطب تتلى فتنفع من تجلّد أو تسلّى
 فقال محمد يا قوم كلّاً أخوكم لم يزل حيًا فمهلا

كفاكم ربكم فقدًا وتُكلًا فأشرقَت الوجوه وكان فضلًا
طوى قرحى القلوب على ارتياح
تداعى القوم صفًا بعد صفٍّ وولَّوا بعد إقدام وزحف
مضوا بالنصف لو ذهبوا بألف من اللائي اصطفى النعمانُ صرف
لما فرحوا بفوز أو نجاح
وأقبلت الأخيذة بعد يأس على العضباء في شعث وبؤس
عناها الضُرُّ من أسر وحبس وسوء الصنع من ظلم ووكرس
على يد كل عرِيض وقاح
أتت للمسلمين بها ابتهاج وللكفار إذ نجت احتياج
أبا ذرٍّ وللضيق انفراج وربَّتْما حلا الورد الأجاج
هنيئًا بات صدرك في انشراح
أتذكر إذ يقول لك الرسول أقم فالأمر باطنه مهول؟
وما تدري إلى مَ غداً يئول ستعرفه وتذكر ما أقول
إذا ما الغيب آذن باتضاح
أتت فرحى وقالت حلَّ نذري فإن أذن الرسول قضيت أمري
هي العضباء تعقر ما لإصري سواها إن أردتَ شفاء صدري
عليَّ اليوم بعد فكاك أسري وفاء النذر ما لي من مفرٍّ
وقاني الله من سوء وشر له سبحانه حمدي وشكري
على أن صرت مطلقة السراح
فقال لها رسول الله إليه لبئس جزاءها أن تفعلِيه
دعي النذر المحرَّم واتركيه وخافي الله ربك واتَّقِيه
لشر النذر ما لا يرتضيه وما لا حقَّ للإنسان فيه
دعي لي ناقتي وتعلِّميه قضاء ما اهتدى من لا يعيه
وكيف تُقاس منزلة الفقيه بمنزلة الغبيِّ أو السفِيه
هنالك حيُّ أهلك فاطلبِيه على بركات ربك واحمديه
إلها ما لما يقضيه ماح

قضيتَ الحقَ فاغتَنمِ الجِزاءَ
وسعتَ غِزاةَ ذِي قَرْدٍ سِخاءَ
بعثتَ التَّمَرَّ يُعْجِبُهُمْ نِماءَ
قِرَاكِ إِذَا هُمُ التَّمَسُّوا الغِذاءَ
كَذَلِكَ أَنْتَ مَا تَأَلَّوْا وَفِاءَ
بُناةَ الحَقِّ مَا مَلَّوْا البِناةَ
أَجَلْ يا سَعْدُ فارفِعهَا سِماءَ
جَرَى الكِرماءُ فانتَهبُوا الثِناءَ
رُزِقْتَ البِئْسَ أَجْمَعُ والمِضاءَ
بِشْكَرٍ فِي الهِزَاهِزِ وَاِمْتِداحِ

رِسُولُ اللَّهِ يُؤْذِنُ بِالْإِيَابِ
يَسِيرُ مِنَ الْجَلَالَةِ فِي رِكاِبِ
تُسَايِرُهُ بِآيَاتِ الكِتابِ
صَفُوفٍ مِنْ مَلَائِكَةِ طِرابِ
تَرْفُ عَلَى الرِوايِ والبِطاحِ
وَيَرْجِعُ بِالْأَحْبَةِ والصِّحابِ
تَدِينُ لِعِزِّهِ غُلْبُ الرِقابِ
مُرْتَلَّةً بِأَنْغَامِ عِذابِ
تُظَلِّلُهُ بِأَجْنَحَةِ رِطابِ

حِبا ابْنَ الْأَكْوَاعِ الشَّرَفِ المَنِيفِ
كَذَلِكَ يَرْفَعُ اللَّهُ الشَّرِيفِ
أَطِيلِي نَاقَةَ اللَّهِ الْوَجِيفِ
حَمَلَتْ أَجَلً مِنْ يَحْمِي الضَّعِيفِ
حَمَاكَ وَعَطَّلَ النَّذَرَ السَّخِيفِ
حَمَلَتْ اللَّيْثَ فَالْتَمَسِي الْغَرِيفِ
وَبُورِكَ فِي
وَحَسْبُكَ أَنْ يَكُونَ لَهُ رَدِيفِ
وَيَجْزِي الْمُؤْمِنَ الْبِرَّ الْحَنِيفِ
وَوَالِي الْخَطَا مَرْتَجلاً خَفِيفِ
وَأَعْدَلَ مَنْ يَحَاذِرُ أَنْ يَحِيفِ
وَأَمْضَى حُكْمِهِ سَمَحًا عَفِيفِ
جُزَيْتِ كِرامَةُ وَرَزِقَتْ رِيفِ

رِسُولُ الْخَيْرِ جَاءَ بِكُلِّ سَمَحٍ
تَدَارَكَ سَوْرَةَ الْبَطْلِ الْمَلْحِ
وَكَانَ الْقَوْمُ فِي جَهْدٍ وَبِرَحٍ
تَنْحَوْا عَنْهُ إِذْ كَرِهَ التَّنْحِي
وَلَوْ أُخْذُوا بِتَقْتِيلِ وَذُبِحَ
مِنْ الْأَخْلَاقِ فِي صَدَقٍ وَنَصَحِ
وَأَوْصَاهُ بِإِحْسَانٍ وَصَفَحِ
وَرَاءَ الْمَاءِ مَا ظَفَرُوا بِرِشَحِ
فَمَا ابْتَلَّتْ جِوَانِحُهُمْ بِنَضَحِ
لَمَّا اعْتَصَمُوا بِسَيْفٍ أَوْ بِرَمَحِ

صنّعة محسن يمسي ويضحى له تاجان من شكر ومدح
رحيم القلب يأسو كل جرح ويعتدّ الجميل أجلّ فتح
وما ينفكّ في كدّ وكدح يقيم الحق صرحاً بعد صرح
ويحمي الدين من كل النواحي

غَزْوَةُ الْحُدَيْبِيَّةِ

ويقال لها عمرة الحديبية، بئر قريبة من مكة، خرج إليها النبي ﷺ في ألف وأربع مئة — على أصح الروايات — من أصحابه يوم الاثنين مستهل ذي القعدة من السنة السادسة، وكان قد رأى أنه دخل مكة وأصحابه آمنين، محلقين رءوسهم ومقصرين، وأنهم دخلوا البيت وطافوا به، وأخذ هو مفتاحه، ووقف على عرفات مع الواقفين.

قص هذه الرؤيا على أصحابه ففرحوا، وخرجوا معه معتمرين محرمين من ذي الحليفة والهدي يساق بين أيديهم، ولم يكن معهم من السلاح سوى السيوف، وكانوا يخافون أن تصدهم قريش عن البيت، وعلم النبي أنهم خرجوا في نسائهم وصبيانهم متأهبين للقتال، فصف الجيش ومضى بعد أن استشار أصحابه، واختلفت الرسل بين الفريقين، فعقد الصلح على وضع الحرب مدة اختلف الرواة في تقديرها، فقال بعضهم عشر سنين، وقال بعضهم أربع، وقيل سنتان، وأن من جاء إلى النبي من المسلمين بغير إذن وليه رده إليه، ومن أتى المشركين بمكة مرتدًا من المسلمين احتسبوه عندهم، وأن يرجع النبي وأصحابه، ثم يعودون للطواف بالبيت في العام التالي، لا يحملون سوى سلاح الراكب، فتخلي لهم قريش مكة ثلاثة أيام يعودون بعدها إلى المدينة، وقد ثارت نفوس المسلمين لهذا الصلح، ولكن الله ثبت قلوبهم ببركة رسوله الكريم وحكمته التي تجلت آثارها بعد ذلك، وكانت بيعة الرضوان من بركات هذه الغزوة الميمونة.

لو يستطيع أذاك لا يتلوم	منك الحنين ومن ما هو أعظم
من أهل مكة جاهل لا يعلم	البيت أنت به أحق وإن أبى
فاصبر على ثقة وربك أكرم	ما أصدق الرؤيا وأقرب حينها

إن يخل منها اليومُ فالغد بعده بالخير والرضوان منها مفعم
سر يا رسول الله جندك باسل وقواك محصدة ورأيك محكم
آثرت ربك وحده لا تشتكى فيه من الأهوال ما تتجشم
ومضيت معتمراً بصحبك محرماً والهديّ حال بالقلائد معلّم
والمؤمناتُ الصالحاتُ كأنما فيهن سارة والرضية مريم
من كل أمّ برة لم يلهها بعلٌ ولم يغلب نوازعها ابْنُ

يا طيب ما لبيت ربك إنه للحق يزلفه فؤادك والفم
أين الشريك لمن تصرف وحده في ملكه أَمَّنْ سواه المنعم؟
لبيك ربي إن قضيت لنا الهدى فكتابك الهادي وأنت الملهم

تلکم قريش أقبلت في غصبة مشبوبة وحمية تتضرم
قالت أيدخلها علينا عنوة؟ السيف أولى أن يحكم والدم
وروى ابن سفيان الحديث فلو درى لغة السيوف لخالها تتكلم
أصغت إليه فلم يقرّ بغمده منها على طول التحلّم مخذم
يجد التقاة المحرمون ولا كما يجد التقيّ من السيوف المحرم
أبدت تباريح الهموم شديدة وأشدّ منها ما تُجنّ وتكتّم
ودّت لو أن الله قال لها اضربي فمضت تظللها النسور الحوم

قال النبي أنتقيها خطّة هي ما علمتم أم نجدٌ ونقدم؟
فأجابه الصديق بلى نمضي إلى ما كنت تنوي بالخروج وتعزم
ورمى بها المقداد خطبة مؤمن يرمي الخطوب بنفسه لا يحجم
ومضوا يرون المشركين بذي طوى والخيّل شتى والخميس عرمرم

أبلاّل أذنٌ للصلاة فإنها أسنى وأشرف ما يحبّ المسلم

غَزْوَةُ الْحُدَيْبِيَّةِ

نهض النبي يُقيمها في صحبه
وأعدَّ طائفة تقوم فتتَّقِي
حتى إذا سجد الرفاق تخلفوا
لله تُبدأ بالخشوع وتُختم
كيد العدو إذا يكر ويهجم
عنهم فضوعف أجرهم والمغنم

جيش الهدى واليُمن عند جلاله
جعل ابن بشر في الجهاد لخالد
بيمين قائده يُصفُ ويُنظم
يلقاه إن جَمَعَ الفوارس مأزم

سلكوا الطريق الوعر يسطع نوره
يمضي الدليل بهم ويذهب موقنا
بوركت ناجية بن جندب من فتى
وجب الثناء لأسلمي ماجد
وأضلَّ غيرهم الطريق المظلم
ثبتًا فما يرتاب أو يتوهم
جلد على الضراء لا يتبرم
شرفت به نسبًا وعزت أسلم

تلك الحديبية المحبَّب ذكرها
نزل الهداة بأرضها فكأنما
يا مبرك القصوى أتلك رسالة
أبت الماضي ولم يكن ليعوقها
لو شاء أرسلها فزلزل مكة
للحق فيها منزل ومخيّم
طلعت لأهل الأرض فيها الأنجم
جاءتك أم هي من كلال ترزم؟
لو شاء ربك مبرك أو مجثم
خطبُ يضجُّ له الحطيم وزمزم

أبدل أقبل في رجالك والتمس
قال النبيّ أتيتُ غير مُحاربٍ
الهدى حولك والسيوف كما ترى
ما جئت إلا للبنيّة زائرًا
إرجع إلى القوم الغضاب وقل لهم
إن تمنعوا البيت العتيق يكن لكم
البيت بيت الله جل جلاله
علم اليقين لمن يظن ويزعم
وانظر فإن الحرب لا تتلثم
مقروبةً وكأنما هي نوم
أقضي لربي حقها وأعظم
ردُّوا النفوس إلى التي هي أقوم
يوم من الحداث أربد أقتم
ولنحن أولى بالمناسك منهم

* * *

نصح ابن ورقاء الرجال فيا له
قالوا أنذعن صاغرين؟ وأقسموا
وتتابعت رسلٌ فمنهم غادر
ومَقَسَّم الأخلاق يحسن مرة
أهوى على يده المغيرة ضاربًا
ما انفكَّ يضربه بمقبض سيفه
أسرفت عروة فاقتصد واقبض يدًا
كيف ارتقيت إلى محلٍّ ما له
أبلحية المختار تمسك؟ إنها
أحسنَت قولك في الذين ذممتهم
عابوك إذ قلت الصواب جهالة
صدق الحليس فأوجعوه ملامة
بعث الهداة الهدى ثمت أقبلوا
جاءوه شعنًا يرفعون لربهم
فهفت جوانحه وقال على أسى
سبحانه أنصدُّهم عن بيته؟
مولى الأحابيش الذين تألهوا
نبذت قريش رأيه واستكبرت

من ذي مناصحة يُسبُّ ويُشتم
أن ينبذوا المثلى فبئس المقسم
يبغي الفساد وحاذر يتأثم
ويسيء أخرى في الحوار فيعرم
لولا الأناة لطار منه المعصم
والسيف يُغضي والمنية تحلم
ريع السماك لها وغيط المرزم
راق ولو أن الكواكب سلم؟
لتُصان في حرم الجلال وتعصم
وأبى الذين طغوا فأنت مذمم
أيعاب من يأبى النفاق ويوصم؟
والقوم لليقظ المسدد لوم
يلقونه فعناه هم مؤلم
صوتًا يردده الأوصم الأبكم
سبحان ربي ما لنا نتجرم؟
إنَّا إذا قوم نجور ونظلم
لا يتبعون سبيل أقوام عموا
والغي أنكد ما علمت وأشأم

* * *

أذهب خراشٌ إلى قريش ناصحًا
عقروا بعيرك ناقلين وأوشكوا
لولا الأحابيش استحلَّ بظلمهم

فلعلها تبغي الصواب فتفهم
أن يقتلوك فليتهم لم ينقموا
منه دم ما يُستحلُّ محرم

* * *

ذهب ابن عفان إليهم يبتغي
أن يؤثروا الرأي الذي هو أحزم

فأبوا وقالوا لا فكاك لكم وما
نحن الألى نأبى الهوان فنرغم
هم أمسكوه ثلاثة في صحبه
ورموا بها ملمومة تتقحم
أفلا رعوا رسل النبي وصهزة؟
إن العقول على المراس لتعقم

دبّ ابن حصن في الظلام فراعاه
يَقْظَان مِثْل الصَّلِّ لَيْسَ يُهَوِّمُ
حمل ابن مسلمة فغادر صحبه
ومضى فلا رجع الجبانُ الأيهم
جاءوا المعسكر أربعين يقودهم
أسرى عليهم للمذلة ميسم
وأتى الرماة فجال في أحشائهم
سهم تظل به السهام تحطم
منع الأسى وشفى كلوم قتلهم
شكوى قلوب من قريش تكلم
أشقى الأذى والغدر جدّ رجالهم
وَجَرَى لَهُم بِالسَّرِ طَيْرٌ أُسْحَمُ
سقطوا فحسب القوم ما يجدونه
وكفى شهيد الحق ما يتسنم

بعثت قريش أطلقوا أصحابنا
وخذوا الرهائن والأسارى منكم
صُدموا بقارعة تفاقم صدعها
لولا الضراعة من سهيل هدّهم
أقبل فجدك مقبل يتبسّم
بئس المآب لعصبة تأبى الهدى
خزيان يُطعم وجهه المتجهم
يا تارك الطغيان يعبس جده
فانظر إلى الأظفار كيف تُقَلِّمُ
من حق ذي النورين أن يدع الدجى
أإليك مد ذوو العمى أظفارهم؟

هي بيعة الرضوان لم تترك لهم
ليلاً ينام ولا صباحاً ينعم
شهد يشق على العيون مبرح
وأسى يعُضُّ على القلوب مسّم
فكأنما في كل عين مبرد
وكأنما في كل قلب أرقم
المسلمون يبايعون نبيهم
يستمسكون بعروة ما تُفصم
لا يحسبون دم المجاهد مغرماً
هو عندهم إن لم يُرقه المغرم

إِنْ ضَمَّهمْ عِنْدَ الشَّهَادَةِ مُورِدُ
 إِلَهٍ مُوَلَّاهِمُ وَنَصْرَ رَسُولِهِ
 نَهَضُوا خِفَافًا لَوْ رَأَيْتَ جَمْعَهُمْ
 مَا مِنْهُمْ إِلَّا عَلَى يَدِهِ يَدُ
 لُثِمَتْ بِإِيْمَانِ الْقُلُوبِ وَإِنِّهَا
 نَعَمَ الْعِطَاءُ لِمَعِشَرٍ مَا بَيْنَهُمْ
 مَا جَلَّ مَدَّخِرٌ فَخِيمٌ شَأْنُهُ
 لَذَّ الْمَذَاقُ لَهُمْ وَطَابَ الْمَطْعَمُ
 حَقٌّ عَلَيْهِمْ فِي الْكِتَابِ مُحْتَمٌّ
 لَعَلَّمْتَ أَنَّ النَّاسَ إِيْمَانًا هُمْ
 لِلَّهِ يَنْظُرُ نُورَهَا الْمُتَوَسِّمُ
 لَتُتَرَى عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ فَتُلْتَمَّ
 نَكِدٌ يُرَدُّ وَلَا شَقِيقِي يُحْرَمُ
 إِلَّا الَّذِي انْخَرُوا أَجَلَ وَأَفْخَمُ

هَذَا سَهِيلٌ جَاءَ يَحْمِلُ سَوْلَهُمْ
 وَيَقُولُ دَعَهَا يَا مُحَمَّدُ خُطَّةُ
 إِنَّا نَخَافُ الْعَارَ فَلَيْكَ بَيْنَنَا
 الْحَرْبُ تُوَضَّعُ بَيْنَنَا أَوْزَارُهَا
 لَكَ مِنْ سِلَاحِكَ مَا تَقَلَّدَ مُنْجِدُ
 وَاجْعَلْ سَيْوْفَكَ فِي الْغُمُودِ وَلَا تَضِقْ
 حَدُّ الْمَقَامِ ثَلَاثَةَ فَإِذَا انْقَضَتْ
 مِنْ جَاءَ مِنْكُمْ لَا يُرَدُّ وَمَنْ يَجِئُ
 هَذَا الَّذِي نَرْضَى فَهَلْ مِنْ كَاتِبٍ
 وَيَعِيبُ مَا صَنَعَ الرِّمَاءُ وَيَنْدَمُ
 يُرْمَى بِهَا الشَّرَفُ الرَّفِيعُ فَيُثْلَمُ
 صَلَحَ نَدِينٌ بِهِ وَعَهْدٌ مُبْرَمُ
 وَتَعُودُ إِنْ جَمَعَ الْحَجِيجُ الْمَوْسَمُ
 يَبْغِي السَّلَامَةَ أَوْ تَزَوَّدَ مُتَّهَمُ
 بِالشَّرِّ يُدْرَأُ وَالْمُضَرَّةُ تَحْسَمُ
 فَدَعُوا مَنَازِلَنَا وَيَثْرَبَ يَمِّمُوا
 مَنَا فَمُرْدُودُ إِلَيْنَا مُسَلِّمُ
 يَشْفِي الصَّدُورَ بِمَا يَخْطُ وَيَرْقَمُ؟

رَضِيَ النَّبِيُّ يَرِيدُ رَحْمَةَ رَبِّهِ
 صَاحَ الرِّجَالِ وَرَاحَ فَارُوقَ الْهَدَى
 وَيَقُولُ لِلصَّدِيقِ مَنْ هُوَ يَا أَبَا
 أَهْوِ الرِّسُولِ وَنَحْنُ نَتَّبِعُ دِينَهُ؟
 اللَّيْنُ مِنْ خَلْقِ الضَّعِيفِ وَدَأْبُهُ
 مَهْلًا هَذَاكَ اللَّهُ وَالزَّمْ غَرَزُهُ
 إِهْنَأْ أَبَا بَكْرٍ قَضَيْتَ بِحُجَّةٍ
 وَأَبُو عَبِيدَةَ إِذْ يَعُودُ بِرَبِّهِ
 هُوَ عَبْدُهُ وَهُوَ الْأَبْرُّ الْأَرْحَمُ
 يَهْتَاجُ فِي بَرْدِيهِ فَحُلْ مُقَرِّمُ
 بَكَرٍ؟ وَأَيَّةُ مَلَةٍ نَتَرَسَّمُ؟
 فَلَمْ الْهَوَانُ؟ وَمَا لَنَا نَسْتَسْلِمُ؟
 وَمَنْ الْعَجَائِبُ أَنْ يَلِينُ الضَّيْغُ
 إِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ خَيْرَ غَرَزٍ يُلْزَمُ
 صَدَعَ الْيَقِينِ بِهَا وَأَنْتَ مُتَرْجَمُ
 يَخْشَى بُوَادَرَ صَدْعِهَا لَا يُلَامُ

يرقى من الفاروق نفساً صعبة
قال النبي كفاك يا عمر أئتد
أرضى وتأبى أنت؟ إن وراءنا
إني رسول الله ليس بخاذلي
الأمر غيب ما لمثلك مطمع

تأبى عوارمها إذا ما تعجم
فالحق في سلطانه لا يهزم
لو كنت تعلم ما نحب ونرأم
والله يقدر ما يشاء ويقسم
في علمه والغيب باب مبهم

اكتب علي فلن ترى من جامع
وأبى سهيل أن يكون كتابه
قال امح باسم الله وامح رسوله
الدين مختلف وليس لنا سوى
فأبى علي ما أراد وهاجه
قال النبي افعل وسوف بمثلها

إلا يُزَمُّ على الزمان ويُخطم
سمحاً عليه من النبوة وروشم
أتريدها صاباً بسم تؤدم؟
ما كان أورثنا الزمان الأقدم
حرد الأبى فغيظه ما يكظم
تسقى فتغضي الطرف وهي العقم

نظر ابن عمرو نظرة فرأى ابنه
قال ارجعوه فذاك أول عهدكم
وانقضَّ يضربه فيا لك مسلماً
رقت قلوب المسلمين لخطبه
أخذ النبي بثوبه فأعاده
قال انقلب وكفى بربك حافظاً
فمضى يقول ألا ذمامٌ لأمري
عدُّ في قيودك واصطبر إن الأذى
كم للألى اتبعوا الهدى من مغنم
خير على خير يضمُّ ركاهمه
يترنم الباكي وإن بلغ الأسى
أخذوا الصحيفة فتهي في أوهامهم
طاروا بها فرحاً وبين سطورها

يبغي الخطى عجلي ويأبى الأدهم
فلئن أبيتم لهو عهد أجذم
في الله يضرب من أبيه ويلطم
فجوانح تهفو ودمع يسجم
يبني لأمته البناء ويدعم
إن التوكل للسلامة توأم
يبغي الفرار بدينه يستعصم؟
لأضر ما انتجع الرجال وأوخم
في حرمة تلغى وحق يهضم
شر على شر يضم ويركم
منه ويبكي الناعم المترنم
كالكنز يأخذه الفقير المعدم
دهياء بارزة النواجذ صيلم

لم يَمْضِ مِنْهُمْ مَخْذَمٌ أَوْ لَهْذَمٌ
بِالرَّأْيِ تَحْكَمُ فِي الرِّقَابِ وَتُحْكَمُ
وَالْعَدْلُ صَلْبٌ قَائِمٌ مَا يُقْصَمُ
فَرَحُوا وَأَوْلَى أَنْ يُقَامَ الْمَأْتَمُ
بِأَشَدِّ مَا يَرْمَى يُعَانُ وَيُخْدَمُ
مَاضٍ عَلَى هَوْلِ الْخُطُوبِ مَصْمَمٌ
مَا خَابَ إِلَّا مَنْ يَمْلُ وَيَسَامُ
حَقَّ يَرَاهُ فَصِيحَهَا وَالْأَعْجَمُ
وَارْتَابَ ضَلِيلٌ وَلَجَّ مَرْجَمٌ
طَبُّ تَصَحُّ بِهَ النُّفُوسِ وَتَسْقَمُ

نَصْرٌ مَضَى لِمُظْفَرَيْنِ أَعَزَّةٍ
لَيْسَ التَّصَرُّفُ لِلْقَوَاضِبِ إِنَّهَا
لِلْبَغْيِ حِينَ ثَمَّ يَقْصَمُ صُلْبُهُ
وَلَقَدْ يُقَامُ الْعَرَسُ مِنْ سَفْهِ الْأَلَى
مِنْ مَكْرَمَاتِ الْحَقِّ أَنْ وَلِيَّهِ
وَأَحَقُّ مِنْ حَمْلِ اللُّوَاءِ مُجَاهِدُ
وَفَّ الْمَطَالِبَ حَقَّهَا وَاصْبِرْ تَفَزُّ
هَذَا نِظَامٌ لِلشُّعُوبِ وَمِنْهَجُ
نَزَلَ الْكِتَابُ بِهِ فَأَيُّقِنْ مَهْتَدُ
طَبُّ الْهَدْيِ الشَّافِي وَأَعْجَبُ مَا أَرَى

خُزَاعَةُ وَبَنُو بَكْرٍ

في هذه الغزوة المباركة دخلت خزاعة في عهد النبي ﷺ، ودخل بنو بكر في عهد قريش، فساء ذلك كثيرًا من رجالهم، ومنهم حويطب بن عبد العزى، فقال لسهيل بن عمرو: بادأنا أحوالك بالعداوة وكانوا يستترون منّا، فقال سهيل: ما هم إلا كغيرهم، هؤلاء أقاربنا ولحمتنا قد دخلوا مع محمد، إنهم قوم اختاروا لأنفسهم أمرًا، فما نصنع بهم؟ قال حويطب: ننصر عليهم حلفاءنا بني بكر، قال سهيل: إياك أن يسمع هذا منك بنو بكر، فإنهم أهل شؤم، فیسبوا خزاعة فيغضب محمد لحلفائه، وينقض العهد الذي بيننا وبينه.

خزاعة أبشري بالعهد سمحا	وزيدي دولة الإسلام فتحا
كفى بدمام أوفى الناس عهدًا	لكلّ معاهد غنمًا وربحا
ألحّ على بني بكرٍ شقاءٌ	نَزِلُ له العقولُ إذا ألحّا
هُم اتَّبَعُوا الألى انقلبوا بقرح	فزادوهم بما اقترفوه قرحا
حُوَيْطِبُ ما يُغِيظُك من رجال	همو ضربوا عن الغاوين صفحا؟
أتيح لِقَدَحِهِم فوزٌ مبینٌ	وَحُبِّبَ من أحبّ ذویك قَدحا

* * *

رويدك إنّ أحوال ابن عمرو	لأرفع قبّة وأعزّ صرحا
ولولا ما برأيك من ضلال	لجانبت الملام وقلت مرحى
أمن عرف الرشاد فطاب نفسًا	وأقبل يبتغيه كمن تنحّى؟

تراها تلفح الأبطال لفحا	تحاول أن تثير الحرب حتى
يقول الحق لا يألوك نصحا	لقد مضت المقالة من لبيب
دع الرأي الرشيد وزده قدحا	أتقده يا حويطب زند سوء
تكون أشد من يصلاه برحا	لعلك إن رأيت له لهيباً

* * *

يسح الموت من حديه سحاً	وراءك يا حويطب كل غضب
يصول فيمسح الأعناق مسحاً	يجرده لنصر الله قرم
فتملأ أنفاس الشجعان شحاً	سخي النفس والهيجاء تغلي

* * *

كما آبت خزاة وهي فرحى؟	بني بكر أما أبتم حزاني
تلقي نعمة وأصاب نجحاً	هو الجد الشقي علاه جد

أُمُّ كَلْثُومٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)

هي بنت عقبة بن أبي معيط، وأخت عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، أسلمت وبايعت النبي ﷺ قبل هجرته إلى المدينة، وخرجت من مكة بعد رجوعه من الحديبية مهاجرة لله ولرسوله، فلما بلغت المدينة ذهبت إلى دار أم سلمة (رضي الله عنها) وهي من أمهات المؤمنين، فرحب بها الرسول الكريم، وخرج أخاها عمارة والوليد في طلبها، يريدان ردها بالحق الذي في العهد، فقالت: يا رسول الله، أنا امرأة ضعيفة لا تردني إلى الكفار، إني أخافهم على ديني، فنزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ الآية، والامتحان أن تستحلف المهاجرة أنها إنما هاجرت لله ورسوله، وبهذه الآية الكريمة خرجت المؤمنات المهاجرات من حكم الرد الذي وضع في ذلك العهد، فبقيت السيدة أم كلثوم وكانت أول مهاجرة، ولم يكن لها زوج بمكة فتزوجها زيد بن حارثة (رضي الله عنه).

ترامت دعوة الداعي المهيب
أحقُّ بكلِّ أفَّاكٍ مريب
محبَّة المسالك والدروب
وغيل الحق يدفع كل ذيب
ولا تهني على طول الدئوب
فخوضي البيد مقفرة وجوبي
وقلبك لا يقر من الوجيب
خطاك فلن يسوءك أن تثوبي

أجيبني أم كلثوم أجيبني
لَمَكَّةُ إذ يضام الدين فيها
خذي قصد السبيل إلى ديار
حمى الإسلام يمنع كل عادٍ
رعاكِ الله فانطلقني وسيري
أردت الدين معمور النواحي
تُطيلين التلفت من حذار
رويدك إن عين الله ترعى

وهمٌ من مصابهما مذيّب لِرَوْعَةٍ ذلك الحدث العجيب تدور كأنها عين الحريب طويل الوجد متّصل اللهيب تعاود خدرها بعد المغيب؟ فيكشف كربة العاني الكئيب؟ ولا هو عنده علم اللبيب؟ من الأحداث بعدك والخطوب	أرى أخويك في أمر مريج يلف حشاهما حزنٌ عجيبٌ لكلّ منهما في الحيّ عينٌ وقلب دائم الخفقان هافٍ هنا كانت فأين مضت؟ وأنى أما عند ابن عَفَّانٍ شفاء أتذهب أختنا لا نحن ندري كفى يا بنت عقبة ما لقينا

* * *

محطُّ الرجل للنائي الغريب بطيبة فانعمي نفسًا وطيبى رعتُ عيناك في الكرم الخصب؟ عليك حنان ذي النسب القريب يؤلّف بين أشتات القلوب بلوتِ السبل أجمع من ضريب بمخترق السباسب والسهوب يُشَيِّع بالتوجّع والنحيب فيعجب للمصارع والجنوب يهزّ جوانح الوادي الطروب بِعَالٍ من منازل رحيب	قفي يا أمّ كلثوم فهذا حللت بفضل ربك خير دار تلقّاك النبي فأَيُّ بشر يرحّب ما يرحّب ثم يضيفي وما نسب بأقرب من سبيل سبيل الله ليس إذا ما هُدَى الساري يسدده فيمضي يمرُّ بآخرين لهم عواء يرى سبل النجاة وكيف ضلّوا ويحمد فالق الإصباح حمداً تعالى الله ينزل كل برّ

* * *

على فرط التجهم والشحوب وكيف مقام مختبل سليب؟ وديعتنا فما بك من نكوب وما لك غير نفسك من حسيب عليك الدهر من خلق معيب	عمارة والوليد ولا خفاء هما عرفا السبيل فلا مقام أهابا بالرسول أعدّ إلينا هو العهد الذي أخذت قريش سجّيتك الوفاء وما علمنا

أُمُّ كُلْثُومٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)

برأيك فاقض واردها علينا فإنك أنت ذو الرأي المصيب

عناها أن تُردَّ ولا ظهير
فصاحت إنني امرأة وما لي
بربك يا محمد لا تدعني
يعذبني لأترك دين ربي
أأرجع يا حمى الضعفاء ولهى
وما لي في ظلالك من نصيب؟

أتى التنزيل يصدع كل شك
ويحكم حكمه عدلاً وبراً
إذا جاء النساء مهاجرات
بقين مع النبي وإن تمادت
ويجلو ما استكنَّ من الغيوب
فيلقي بالدواء إلى الطبيب
يردن الله ديَّان الشعوب
لجاجة كل عريض شغوب

ليهنك أم كلثوم مقام
وزوج ذو محافظة نجيب
يفيء إلى ذرى الإسلام منه
وما زيد بن حارثة بنكس
أخو المختار من عليا قریش
ومولاه الحبيب أبو الحبيب
كريم عند مرجو مثيب
يفيء إلى ذرى النسب النجيب
فتى للسلم يرجى والحروب
إذا التقت الكماة ولا هيوب

أَبُو بَصِيرٍ وَأَصْحَابُهُ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ)

جاء أبو بصير (رضي الله عنه) إلى النبي ﷺ، وكان من المحتسبين بمكة، فبعث أزهر بن عوف — أسلم بعد ذلك — يطلب رده من النبي في كتاب يحمله رجل من بني عامر اسمه خنيس، وجاء معه آخر يهديه الطريق، وقال النبي لأبي بصير: «انطلق إلى قومك فليس الغدر من ديننا، وسيجعل الله لك فرجاً»، فرجع معهما، واحتال على أخذ السيف من أحدهما فقتله به، وحمل على الثاني ففر راجعاً إلى المدينة وهو يعدو في أثره، وقال الرجل للنبي: قتل صاحبكم صاحبي، وأفلت منه ولم أكد، ثم استغاث به، وقال أبو بصير للنبي: لقد وفيت بدمتك، فقال له: «انذهب حيث شئت».

فذهب إلى محل من طريق الشام تمر به تجارة قريش، وطار الخبر، فقدم إليه أبو جندل في سبعين فارساً، ولحق به آخرون من المسلمين، فكانوا ثلاث مئة مقاتل، ما رأوا غيراً لقريش إلا أخذوها، ولا رجلاً إلا قتلوه، فبعثوا يسألون النبي بالأرحام إلا آوى هذه القوة إليه، وقال بعضهم: إنا أسقطنا شرط رد اللاجئين من العهد، فمن جاءك منهم فأمسكه ولا حرج عليك، فكتب إلى أبي بصير وأبي جندل يستقدمهما إليه، ويأمر أن يذهب من معهما إلى بلادهم وأهليهم غير متعرضين بأذى لقريش، فأخذ أبو بصير الكتاب وهو يحتضر، فمات وهو في يده يقرؤه، فدفنه أبو جندل وعاد مع ناس من أصحابه إلى النبي ﷺ.

أذن الله أن تُحَلَّ وتُحمى
سر طليقاً كفاك حبساً وهماً
نقت منهم أذى كثيراً وظلماً

رحمة يا أبا بصير ونعمى
جاءك الغوث فانطلقت حثيثاً
أنت أفلت من حبائل قوم

جعلوا الحق خصمهم من غباء
جئت دار النبي فادخل وسلم
كم تمنيت أن ترى لك حصناً
وارض حكم الرسول إنك مرد
ذا خنيس وذا كتاب ابن عوف
سألا العهد عند أكرم مسئو
إنقلب يا أبا بصير فليس الد
حسبك الله إنه لك عون
هو مولى المستضعفين ينجي

وغبي من يجعل الحق خصماً
وارع حق المقام روحاً وجسماً
فتأمل حصون ربك شماً
ود ومن مثله قضاء وحكما؟
فالزم الصبر أصبح الأمر حتما
ل فأعطاهما وفاء وحلما
ين دين الهداة غدرًا وإثما
وسيكفيك كل خطب ألماً
هم إذا ما طغى البلاء وطماً

* * *

عاد يخفي لصاحبيه من الشن
وشفاها بذي الحليفة نفساً
نظر السيف في يدي أحد الخص
وهو يطريه في غرور ويسقي
قال بل أعطني أنظره إني
ثم غشاه ضربة علّمت
جاء يصطاده غروراً فأردا
صد عنه رفيقه وتولى
طار يهفو كالسهم يمضي بعيداً
طلب السيف نفسه وهي ولهى
كذب الوهم ما الحياة سوى الأم
وقع الطائر المسف على النس
الرسول الذي تدين له الأر
قال إني لهالك فأجرني
رد عني أبا بصير فحسبي
جرع الحنف صاحبي وانبرى يط
إنه جاء راكضاً يحمل السي

آن ما يملأ الجوانح سُماً
أوشكت أن تزول همًا وغماً
ممين يبدى من المنية وسماً
ه نفوس الكمأة ظناً وزعماً
بسجايا السيوف أكثر علماً
كيف يخشى الهزبر من كان شهماً
ه وكان الغرور شرًا وشؤماً
يتوقى قضاءه أن يُحمًا
وهو أنأى مدى وأبعد مرمى
لو تذوق الردى لما مرّ طعماً
من وشر الأمور ما كان وهماً
مر الذي يملأ السماوات عزماً
ض وتهفو إليه حرباً وسلماً
لا تدعني لبعض صحبك غنماً
ما جناه علي صدعاً وكلماً
لب قتلي ليتبع الجرم جرماً
ف فهب لي دمي لك الشكر جمًا

عَفَّ عَنْهُ وَقَالَ مَا تَمَّ شَيْءٌ
صَدَقَ الْعَهْدُ وَانْقَضَى الرَّدُّ فَانْظُرْ
قَالَ فَازْهَبْ فَقَدْ بَرِئْتَ وَظَلَمَ
لَكَ مَا شِئْتَ أَنْ تَحُلَّ مِنَ الْأَرْضِ
فَتَوَلَّى إِلَى مَكَانٍ يَزِيدُ الْإِسْلَامَ
كُلَّ مَالٍ تَقِلُّ عَيْرَ قَرِيْشٍ
إِنَّهُ الْأَرْقَمُ الصَّمُّ تَدَاعَتْ
مُؤْمِنٌ حَلَّ فِي الْعَرَاءِ مُحَلًّا
أَقْبَلُوا يَنْسَلُونَ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ
لَمْ ذُو الْعَرْشِ شَمْلَهُمْ بَعْدَ صَدْعِ

يَا نَبِيَّ الْهَدَى أَرَى الْأَمْرَ تَمًّا
مَا تَرَى فَاقْضِهِ سَدَادًا وَحَزْمًا
أَنْ يَلَامَ الْبَرِيءُ أَوْ أَنْ يَذْمَا
ضِ سِوَى أَرْضٍ يَثْرِبُ أَوْ تَوْمًا
كَفَرَ وَالْكَافِرِينَ خَسَفًا وَرَغْمًا
بَيْنَ عَيْنَيْهِ ظَاهِرٌ لَيْسَ يَكْمَى
فَارْتَمَتْ حَوْلَهُ الْأَرْقَمُ صَمًّا
جَمَعَ الْمُؤْمِنِينَ فِيهِ وَضَمًّا
يَطْلُبُونَ الْمَصَالَ قَرَمًا فَقَرَمًا
وَخَلِيقَ بِشْمَلَهُمْ أَنْ يُلَمَّا

يَا أَبَا جَنْدَلٍ عَلَيْكَ سَلَامٌ
إِغْتَفَرَ مَا جَنَى أَبُوكَ سَهِيلٌ
إِنَّمَا الصَّابِرُونَ أَوْفَى نَصِيبًا
أَعْمَلُوا الْقَتْلَ وَالنَّهَابَ وَرَدُّوا
غَارَةَ بَعْدَ غَارَةِ تَأْكُلُ الْمَا
زُلْزَلُوا مِنْ أَبِي بَصِيرٍ بِخَطْبِ
مُخْذَمٍ قَاطِعٍ وَمُسْعَرٍ حَرْبِ
ضَاقَتْ السَّبِيلُ وَالْفَجَاجُ عَلَيْهِمْ
عَادَ رَتَقًا كَأَنَّهُ سَدٌ يَأْجُو
جَارُوا يَشْتَكُونَ وَادَّكُرُوا الْأَرْضَ
وَاسْتَمَدُوا الْحَنَانَ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ
قَالَ ذُو أَمْرِهِمْ أَغْثُنَا وَلَا تَغْ
أَفْسَدَ الْعَهْدُ أَمْرُنَا فَعَرَفْنَا
قَدْ تَرَكْنَا لَكَ الرِّجَالَ فَأَمْسِكْ
حَسْبُنَا السَّلَامُ يَا مُحَمَّدُ إِنْ تَبَّ
بَدَّدَ الضَّرَّ وَالْأَذَى بِكِتَابِ

جِئْتُ بِالْخَيْلِ تَرْجُمُ الْأَرْضَ رَجْمًا
يَوْمَ يَطْغَى عَلَيْكَ ضَرْبًا وَلَطْمًا
يَا أَبَا جَنْدَلٍ وَأَوْفَرَ قِسْمًا
كُلَّ غَنَمٍ أَصَابَهُ الْقَوْمُ غَرَمًا
لِ وَتَطْوِي الرِّجَالَ خَضَمًا وَقَضْمًا
بِالْغِ صَدْعُهُ أَبَى أَنْ يَرْمَا
جَرِبَتْهُ الْبَيْضُ الْقَوَاطِعُ قَدَمًا
وَاسْتَحَالَ الْفَضَاءُ سَدًّا وَرَدَمًا
جَ وَمَأْجُوجَ مَا تَرَى فِيهِ ثَلَمًا
حَامٍ يَسْتَشْفَعُونَ جَبْنًا وَلَوْمًا
سَ حَنَانًا وَأَقْرَبَ الرِّسْلِ رَحْمًا
خَفَ عَلَيْنَا إِنْ الْقُلُوبُ لَتَعْمَى
هَ وَمَاذَا لَنَا إِذَا الْأَمْرُ غُمًّا؟
كُلَّ مَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ أَنْ تَذِمَّا
سُطُّ عَلَيْنَا ظِلَالُهُ فَنَعْمَا
نَظْمُ الْبَرِّ وَالْمَرْوَةِ نَظْمًا

لم يدعه أبو بصير ورامي الـ
جاد بالنفس وهو في يده يتـ
آخر الزاد إن أردنا له اسمًا
قال أقبل وفرق الناس وليعـ
موت يلقي عليه سهمًا فسهما
لوه ما أعظم المقام وأسمى
وأراه أجلُّ من أن يسمى
فحسب الطغاة قمعًا ووقما

* * *

رجع القوم راشدين ومن أر
وأبو جندل يؤمُّ رسول الله
كوكب الحق والهدى يتلقى
طلعوا والزمان أسودُّ داج
ورموا بالشعاع مقتل دين
إعرف الحق لا ترعك دعاوى
أيُّ مجد في الأرض أو أي فضل
شدُّ ممَّن رمى الضلال فأصمى؟
في رُفْقَةٍ إلى الله تنمى
من ذويه الهداة نجمًا فنجما
فجلوا من ظلامه ما ادلهما
ردَّ وجه الحياة أغبر جهما
فالمروءات والمناقب ثمًا
لم يكونوا له أساسًا وجذما؟

* * *

إن في حكمة الرسول لذكرى
هدم الله ما بنى العهد من آ
كم رأوا من مشاهد الوهم فيه
لا يغرَّنهم من الغيث وكفُّ
همة من هدى الرسول ولود
لم تزل تضرب الطواغيت حتى
إن للحق بعد لين وضعف
للبيب أصاب عقلاً وفهما
مال قوم يبغون للدين هدمًا
مشهدًا رائع التهاويل فخما
إنه السيل موشك أن يعمًا
تورث الشرك والضلالة عقما
جرَّعتها الرزأين ثكلًا ويتما
قوة تحسم الأباطيل حسما

غَزْوَةُ خَيْبَرَ

كانت هذه الغزوة في المحرم من السنة السابعة، فلما أشرف النبي ﷺ في جيشه على مدينة خيبر عند الصبح، وكان اليهود قد أصبحوا يحملون الفئوس والمساحي ليعملوا في مزارعهم، فأخذهم الرعب وعادوا إلى حصونهم، فبقوا محاصرين فيها، ثم خرج رؤسائهم يبارزون المسلمين، فيأخذهم الله بسيوفهم، ثم دارت رحى القتال بعد ذلك، وكان علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) قد تخلف بالمدينة لرمد أصابه، فبعث إليه النبي سلمة بن الأكوع، فجاء به يقوده وهو معصوب العينين، وعقد له النبي اللواء فباشر القتال، وفتح الله على المسلمين.

وقد طلب اليهود الصلح على أن تحقن دماؤهم، وتترك لهم النساء والذاري، ثم ينقشعون عن خيبر لا يحمل الواحد منهم سوى ثوب واحد، فقبل النبي، وأراد الله له أن يقرهم على أرضهم عمالاً، فساقاهم على النخل وزارعهم على الأرض، وبقي أمرهم كذلك إلى أن كانت خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، فحدث أن ابنه عبد الله ذهب إليهم فأصابوه بسوء بليغ، فأجلاه عن أرضهم وديارهم، وذهب بعضهم إلى تيماء وبعضهم إلى أريحاء.

أعدت يثرب الأسد الغضابا
ليرفع في السمارات القبابا
ويفتح عزمهم باباً فبابا
مع الجيش الدعاء المستجابا
بغير الذعر واضطربي اضطرابا

أعدّي النمل خيبر والذبابا
ومدّي من حصونك كل عال
سينزع بأسهم حصناً فحصناً
أتاك الفاتح المقدام يزجي
أتوك مكبرين فلا تلوذي

أما والذاكرين الله فردًا
أجيبني أين جندك؟ واسأليه
تواروا في الحصون وخادعتهم
ولو جعلوا السحاب لهم محلًا
جنود محمد كالموت يمضي
وليسوا في الحروب إذا تلظت
وفي حصن النطاة لسان صدق
رأى الرأي الذي ذاقته يهود
أصابتهم حميًا اليأس لما
سل البطل المجرب لو أجابا
رماه بعامر قدر إذا ما
ولكنمنية أخرته
وخان السيف صاحبه فأودى
هنيئًا عامرُ رضوان ربِّ
بسيفك متَّ موت فتى كريم
برزت لمرحب بطلًا مهيبًا
ولولا نبوة للسيف طاشت

لقد هزوا المخارم والشعابا
لمن جمع السلاح؟ وكيف غابا؟
ظنون كنَّ حلمًا أو سرابا
لطارَ الجيش يقتحم السحابا
على قدر صعودًا وانصبابا
كمن جهل الأمور أو استرابا
يُعلم كل من جهل الحبابا
مرارته فكان لهم عذابا
تنحى الجيش يلتمس الصوابا
أيعلم أيَّ داهية أصابا؟
رمى المهجات غادرها خرابا
ليبلغ في غوايته الكتابا
شهيدًا برَّ مصرعه وطابا
حباك الأجر جمًّا والثوابا
يحاذر أن يعيِّر أو يعابا
أبى أن يُتقى أو أن يهابا
بمضربه لأورده التبابا

* * *

توالى الزحف واستعرت نفوس
لئن خاضت غمار الموت ظمأى
سهامُ بواسلٍ لاقت سهامًا
تُحدِّثُ عن مخاوف باعثيها
دعتهم للوغى ببيض المواضي
ولو ملكت مسامعهم فلبوا
لو أن الحصن أوتي ما تمنى
رماه محمد فألحَّ حتى
يظلُّ الظرب يحمل منه طولًا

مضت تنساب في الله انسيابا
لقد عرفت مشاربه العذابا
يكاد جبانها يخشى الترابا
حديثًا يبعث العجب العجابا
وصيرت السهام لهم خطابا
لما ملكوا الجماجم والرقابا
أبى إلا هويًا وانقلابا
لأوشك أن يقول كفى عقابا
طوى الأطواد وانتظم الهضابا

وأمسك هذه الدنيا فأمست	وما تخشى الزوال ولا الذهابا
لواء الفتح في يده رهين	بصاحبه الذي فاق الصحابا
يشير إليه محتجبا بوصف	يكاد سناه يخترق الحجابا
ويذكره وبالفاروق حرص	على أن ليس يعدوه انتخابا
عليّ للعقاب وما علي	سوى البطل الذي يحمي العقابا
شهاب الحرب لا عجب ولكن	عجبت لفرقد قاد الشهابا
رسول جاء بالفرج المرجى	وبالنور الذي كشف الضبابا
تقدّم يا علي رعاك رب	كفى عينيك داء والعصا
بطبّ محمد أدركت ما لو	أراد الطبّ أعجزه طلابا
شفى الرمد الذي آذاك حينًا	وكان لعزمك الماضي قرابا
خذ السيف الذي أعطاك واصدع	ببأسك هذه الصمّ الصلابا
حُصُون كلما زيدت دعاء	إلى البيضاء زادت اجتنابا
تُحبّ الكبر لا ترضى سواه	على آفاته خلقًا ودابا

* * *

تقدّم ما لصيدك من قرار	إذا لم تؤته ظفرا ونابا
خذ الذئب اللعين ولا تدعه	صدود الليث يحتقر الذئبا
كفى بالحارث المغرور علما	لمن رزق الغباء ومن تغابى
أرقت حياته فأرقت منها	صريح الكفر يأبى أن يشابا
ورعت به أديم الأرض لما	جعلت عليه من دمه خضابا

* * *

تَحَيَّلَ مرحب ما ليس حقا	ومنته الظنون مَنى كذابا
مشى يختال مرتجزا فلاقى	قضاء الله ينسرب انسرابا
سقاها الموت أبيض مَشْرِفِي	يذيب الموت يجعله شرابا
لك الويلات من ملك غوي	أحيط بملكه فهو ذابا
أعدته اليهود لكل خطب	فضل رجائهم فيه وخابا
أما نظروه مأخوذاً ببأس	يهذُّ البأس أخذًا واستلابا؟

وكل مغالب فله عليّ
توثّب يأسر فتلقفته
أما سمعته خبير حين يهذي
ولو تسطيع لاتخذت حياء
غراب الشؤم يفرعها نعيباً
فتى شاكي السلاح ولا سلاح
ألا إن الزبير لذو بلاء
حواري الرسول يكون منه

غداة الكر يأخذه غلابا
مخالب فاتك ألف الوثابا
فصدت عنه توجهه عتابا؟
من البيض الرقاق لها نقابا
فيا لك بومة ولدت غرابا
لمن يبغي من الموت اقترابا
وإن خشيت صفيّة أن يصابا
بحيث يريد صبراً واحتسابا

* * *

تجلّت غرة الفتح المرجى
وأعولت النطاة لفقد حصن
هو البأس المدمر يا عليّ
وحصن الصعب أذعن بعد كبر
وأدى ما أعدّ القوم فيه
وراح المسلمون بخير حال
أتاح لهم على الضراء رزقا
مغانم من عتاد القوم شتى
كفى بالصبر للأقوام عوناً
وما أمر اليهود إلى صلاح
مشى لهم الحباب يجر جيّشاً
فزلزل حصنهم حتى لودّوا
ولو ملك الجناح لطار يطوي
تنادوا للقتال فبادرتهم
وليس لقوم يوشع من بقاء
عباب الموت يملك جانبيهم

وأمسى النسر قد طرد الذبابا
يغمّ يهود شجوا وانتحابا
فدع أطامها العليا يبابا
وأعلن بعد غلظته المتبابا
فأمسى بين أعينهم نهابا
ولولا الله ما برحوا سغابا
فأمسى اليسر بعد العسر ثابا
تجاوز حين تحصيها الحسابا
إذا حدث من الأحداث نابا
إذا الداعي إلى الهيجا أهابا
شديد البأس يلتهب التهابا
لو أن له إلى الطير انتسابا
طباق الجو نعرًا وارتعابا
سيوف الله شيقة طرابا
إذا طعموا الطعان أو الضرابا
فنعم القوم إن ملكوا العبابا

* * *

تتابعَت الفتوح محجَّلات	تزيد يهود حزنًا واكتئابا
أصيبوا بالقوارع راجفات	تهدُّ الشيب منهم والشبابا
فتلك حصونهم أمست خلاءً	كأن لم يعمروا منها جنابا
تساقَّوا بالعراء الذل مرًّا	يود طغاتهم لو كان صابا
وألَقُوا بالسلاح وما أصابوا	من الأموال جمعًا واكتسابا
وضاقوا بالجلأ فأدركتهم	عواطف محسن تسع الرحابا
أصابوا من رسول الله مولى	يتوب على المسيء إذا أنابا
قضى لهم القضاء فلا انتزاحًا	لقوا بعد المقام ولا اغترابا
ثووا في الأرض عمَّالًا عليها	يؤدُّون الإتاوة والنصابا
وُلَاة الزرع للإسلام منهم	شريكٌ ليس يظلم أو يحابى
هداة الناس أرشدهم سبيلًا	وأحسنهم إذا انقلبوا مآبا

كنز بني النضير

هو حليهم الذي كان سلام بن أبي الحقيق حمله في جلد بغير — وقيل في جلد ثور — يوم إجلاء بني النضير، وهو يقول: إنا أعددنا هذا لرفع الأرض وخفضها؛ لما فتحت خير سأل النبي عنه فقالوا: أذهبت الحروب والنفقات، فدفعت رجلاً منهم اسمه سعية بن عمرو، عم حيي بن أخطب إلى الزبير بن العوام فمسه بعذاب، فدل على مكانه، وكان حيي قد دفنه في ذلك المكان.

فأين يضيع كنز بني النضير؟
لهذي الأرض في الحدث الكبير
وأجهلهم بأعقاب الأمور
وكانوا أهل بهتان وزور
سوى الطمع المخيب والغرور
نذير الويل أجمع والثبور
مقال ذوي السفاهة والفجور
بدا الشرُّ المغيب في الصدور
لِوَرَاثِ الممالك والدهور
تؤذُن في الرقاب وفي النحور
كطسم أو كعاد في الدثور
على أهل المآثم والشرور
يطالعهم بشرٌ مستطير

منايا القوم في جلد البعير
مردُّ الأمر في رفع وخفض
كذلك قال أكذبهم مقالاً
هم اتخذوا الخداع لهم سبيلاً
فما صدقوا النبي ولا استحَبُّوا
وما الكنز الذي دفنوه إلا
يقول غواتهم لم يبقَ شيء
فلما مسَّ صاحبهم عذاب
وجيء بكنزهم إرثاً عتيداً
ولو جحدوه أقبلت المنايا
فبادوا في مصارعهم وعادوا
وما برحت عوادي الدهر تجري
لهم في ذمة الفاروق يوم

فصبرًا إنه لا بد آتٍ فما ليهود خيبر من مجير

المُخَلَّفُونَ

جاء الذين تخلفوا عن غزوة الحديبية إلى النبي ﷺ ليخرجوا معه طلباً للغنيمة فقال لهم: «لا تخرجوا معي إلا راغبين في الجهاد، فأما للغنيمة فلا»، ثم أمر منادياً ينادي بذلك.

هو الدين ما في الدين غَنَمٌ ولا غَزَمٌ	هو المغنم الوافي هو المقتنى الضخم
أتى القوم يبغيون القتال لمأرب	وعند رسول الله من أمرهم علم
فقال ارجعوا لا تجعلوا المال همكم	ولا تجهلوا إن الجهاد هو الهم
فمن جاءنا يبغي مغانم خيبر	فليس له فيها نصيب ولا سهم
هو الدين دين الله يا قوم خالصاً	فإن تلحدوا فيه فذلكم الظلم
ألم أدعكم من قبل فانصرفتم بكم	عن الله دنيا الناس وانتقض العزم؟
عميتم عن المثلى وأقبل معشر	مناجيد لا عُمي القلوب ولا صُمُّ
رموا في صدور المبطلين وجاهدوا	لنصرة رب حقه واجب حتم
أولئك أهل الرأي لا النفر الألى	تولّوا فلا رأي لديهم ولا حزم
أولئك أوفى الناس قسمًا وخيرهم	جزاء فعودوا لا جزاء ولا قسم
هو الدم والحق المحتم فاعلموا	ولله ما يقضي له الأمر والحكم

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بْنِ سَلُولٍ

والأذى بعض سجايا العقرب
تعب الشر ولمّا تتعب
خطل الرأي وسوء المذهب
من وصاياك ببرق خلب
خائب طاح بقوم خيب
بالحصون الشم؟ قل لا تكذب
دافعت عن ياسر أو مرحب؟
ليس يرضى الحق إن لم تغضب
موقف الجاني ومثوى المذنب؟
فزت منه بالذمام الأقرب
دونها من خطة أو مركب
خلق الذئب وطبع الثعلب
ما الخبيث النفس مثل الطيب

عقرب السوء تمادى في الأذى
ويك عبد الله ماذا تبتغي؟
إئتّب يا ابن أبي واجتنّب
أنت أضللت الألى طمعتهم
ليس فيما نابهم من عجب
قومك الأبطال ماذا صنعوا
أتراها في صياصيها العلى
إمتلئ يا ابن أبي غضبًا
أفما يرضيك من الدنيا سوى
لو صدقت الله في دين الهدى
خطة المؤمن يمن ما له
لك في الإسلام من أعدائه
هكذا قدر ربي وقضى

صَفِيَّةُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)

هي بنت حبي بن أخطب سيد بني النضير، وهو من سبط هارون بن عمران أخي موسى (عليهما السلام)، سُبِّيت من حصن الوطيح، وكان اسمها زينب، فلما هداها الله إلى الإسلام سميت صفية، وكانت زوجًا لكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، تزوجها بعد أن طلقها سلام بن مشكم الذي روي أنه لم يدخل بها. خَرَّهَا النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَنْ يَعْتَقَهَا فترجع إلى من بقي من أهلها، أو تسلم فيتخذها لنفسه، فقالت: أختار الله ورسوله.

فَمَا غَنِمْتُ أَجْلُ مِنْهُ وَأَكْبَرُ
هَذَا هُوَ الشَّرَفُ الْأَوْفَرُ
فِي السُّؤْدِ الْعَالِي مَكَانُ يُوْثِرُ
الدَّرَ مِنْ لِمَحَاتِهِ وَالْجَوْهَرُ
وَالْتَّاجُ أَنْتَ بِهِ أَحَقُّ وَأَجْدَرُ
جَهْدُ الْمَنَى مِمَّا يَتَّاحُ وَيَقْدَرُ
فَظْفَرْتُ بِالْحَسَنِ وَمِثْلُكَ يَظْفَرُ
دُنْيَا مَذْمُومَةٌ وَدِينُ مَنْكَرُ
وَحَلَلْتُ بِالْحَصَنِ الَّذِي لَا يَذْعُرُ
رُؤْيَا تَفْسَرُ لِلنِّيَامِ وَتَعْبُرُ
أَثْرَ بَعِينِكَ يَا صَفِيَّةُ أَخْضَرُ؟
هَذَا الْمَقَامُ الصَّعْبُ كَيْفَ يُبَيِّنُ
يَدُهُ وَتِلْكَ جَنَائِيَةُ مَا تَغْفِرُ

إِنْ جَلَّ غَنَمُ الْمُسْلِمِينَ بِخَيْرِ
اللَّهِ أَكْبَرُ يَا عَرُوسَ مُحَمَّدٍ
هَذَا مَكَانُكَ عَالِيًّا مَا مِثْلُهُ
يَا دُرَّةَ صَيَنْتَ لَتَّاجِ جَلَالَةٍ
الشَّأْنُ شَأْنُكَ أَنْتَ خَيْرُ صَفِيَّةٍ
أَدْرَكْتَ بِالْإِسْلَامِ فِي حَرَمِ الْهَدَى
أَدْرَكْتَ دُنْيَا الصَّالِحِينَ وَدِينَهُمْ
وَلَقَدْ غَنَيْتَ وَدُونَ مَا تَجْدِينَهُ
ذَعَرَ الْوَطِيحِ فَأَسْلَمْتَكَ حِمَاتِهِ
مَا مِثْلُ رُؤْيَاكَ الَّتِي كَانَتْ أَدْنَى
أَفْكَنْتَ نَاسِيَةً فَجَدَّدَ ذِكْرَهَا
يَا وَيْلَتَا لَابْنِ الرَّبِيعِ يَغِيظُهُ
لَطْمَتُكَ مِنْ سَفْهِ وَسُوءِ خَلِيقَةٍ

وماذا رأيت من الذي أبغضته	ونقمت ما يرضى وما يتخير؟
أردى أباك وهدد زوجك بأسه	وأصاب قومك منه موت أحمر
ماذا رأيت؟ أما عذرت سيوفه	وعلمت أن عدوه لا يُعذر؟
ولقد بلوت خلاله فوجدته	نعم الخليل إذا يسوء المعشر
أحبته الحب الكثير على القلى	ولحب ربك ذي الجلالة أكثر
ذهب الرعاة فما يسرك صاحب	ورعاك صاحبك الأبر الأطهر
آثرته ورضيت ربك إنها	لله عندك نعمة لا تكفر
أعلى محلك فانعمي وتقدمي	بأجل ما يثنى عليه ويشكر
ولأنت إن عظمت فوائد خيبر	أسنى وأعظم ما أفادت خيبر

* * *

يا قبة المختار دونك ما بنى	في ملكه كسرى وشيد قيصر
مثنوى يهول الناظرين ومنظر	عجب يروع مقامه والمظهر
فيه الجلال الضخم ترتد المنى	من دونه مذعورة تتعثر
فيه السلام لكل جيل يبتغي	فيه النظام لكل عصر يذخر
فيه الحياة تُسل من أكفانها	هلكى الشعوب إذا تموت وتقبر

* * *

إيه أبا أيوب ما بك ريبة	إن المحب على الحبيب ليسهر
تأبى الكرى وتطوف حول محمد	والسيف يقظان المضارب ينظر
ماذا تخاف على حبيبك من أذى	والله كاف ما تخاف وتحذر؟
إهناً بدعوته فتلك وقاية	من كل ذي جبرية يتنمر
تلك الولائم في رحاب محمد	شتى تُسر بها النفوس وتحبر
الصحب من فرح عليها عكف	والرسل أجمع والملائك حضر
عرس النبي وأي عرس مثله؟	هيئات تلك فضيلة لا تنكر

رُجُوعُ الْمُهَاجِرِينَ مِنَ الْحَبَشَةِ

كانت هجرة المستضعفين من المسلمين من مكة إلى الحبشة مرتين؛ الأولى في شهر رجب من السنة الخامسة للنبوّة، والثانية بعد رجوع أكثرهم في شهر رمضان — وقيل شوال — عندما بلغهم أن مشركي مكة أسلموا ثم ظهر لهم غير ذلك.

وسبب هذه الهجرة أن النبي ﷺ قال للمسلمين لما أصابهم الأذى: «تفرقوا في الأرض»، قالوا: وأين نذهب؟ فأشار إلى جهة أرض الحبشة، وقال: «إن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد»، وكان عدد المهاجرين في المرتين ثلاثة وثمانين رجلًا، وثمانية عشرة امرأة، وبعثت قريش في أثرهم عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية إلى النجاشي وعظماء رجاله ليرد هؤلاء المهاجرين إليهم، وقال عمرو وصاحبه: إنهم لا يسجدون لك كما يسجد الناس، ويقولون في عيسى بن مريم (عليه السلام) ما لا يرضيك، فبعث النجاشي إلى الأساقفة فجاءوا بمصاحفهم، وتولى جعفر بن أبي طالب الكلام عن المهاجرين الذين كان يسميهم (حزب الله)، فقال: «إنا لا نسجد إلا لله (عز وجل)، ولا نقول في عيسى (عليه السلام) إلا ما يقول إنه روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم».

قال النجاشي: «يا معشر القساوسة هذا ما عندكم في المصاحف، أشهد أنه رسول الله الذي بشر به عيسى في الإنجيل»، ثم قال للمسلمين: «انزلوا حيث شئتم من أرضي آمين»، وأمر لهم بما يصلحهم من الرزق، وقال: «من نظر إلى هؤلاء الرهط نظرة تؤذيهم فقد عصاني، ردوا هذه الهدايا فلا حاجة لي بها»، وكان عودة المهاجرين في غزوة خيبر، فأمر لهم النبي بأخذ أنصبتهم من الغنائم.

مرحبًا بالأحبة المقبلينا أطفئوا شوقكم وقضوا الحنين

أذن الله باللقاء وكانت
 إن هذي دياركم فادخلوها
 ادخلوها بنعمة وسلام
 أقبلوا أقبلوا وحيّوا رسول
 صافحوه محبّب الوجه سمحاً
 وانظروا حوله الجنود ألوفاً
 واذكروا خطبكم وكيف ذهبتم
 تركبون العباب يأخذه الكبـ
 يضرب الموج في جوانبه المو
 إتخذتم أرض النجاشي داراً
 ملك عادل أقام عليكم
 ورعاكم رعي الحفيّ يؤدّي
 وجد العار في هدية عمرو
 قال يا ويلتا أأهدم مجدي
 أبيع الضيوف يا عمرو دعها
 إنها سبة على الدهر يأبى
 راعه جعفر بقول مبین
 ودرى أنما السجود لغير
 واهتدى قلبه فأثر دين الـ
 دلف القوم بالمصاحف لا يد
 قال ما عندكم؟ أما قال عيسى
 بطلّ الشرك وانتهى الإفك هذا
 كيف نأبى محمداً وهو حق؟
 رب إني آمنّت فاغفر ذنوبي
 هكذا فاز بالكرامة حزب

لوعة للفراق دامت سنيننا
 طيّبات لمعشر طيبينا
 واعمروها بأهلكم والبنينا
 الله مستبشراً يمد اليميننا
 والزموه مباركاً ميمونا
 بعد أن لم تكن تداني المئيننا
 خيفة الضيم في البلاد عزيزنا
 ر، فيأبى عنانه أن يلينا
 ج، وتزجي السفين فيه السفينا
 وتركتم دياركم والقطينا
 من كريم الجوار حصناً حصينا
 حق أضيافه وفيّا أميننا
 فاباها وردّ عمرًا حزيننا
 وأعادي أبوتّي الأولينا؟
 خطة تجعل العزيز مهينا
 كل حرّ مهذب أن تكونا
 فرأى الحق واضحاً واليقينا
 الله إثم يحق بالساجدينا
 حق في مجمع القساوس دينا
 رون ماذا يريد أن يستبيننا
 سوف يأتي من بعده من يلينا؟
 خاتم الأنبياء والمرسلينا
 أيقول الهداة إنا عمينا
 واهدني في عبادك المؤمنينا
 الله طوبى لحزبه المفلحينا

* * *

ادن يا جعفرُ لك الرتب العلـ يا وكنت امرأً بهنّ قمينا

رُجُوعُ الْمُهَاجِرِينَ مِنَ الْحَبَشَةِ

وخذ القُبلة التي هي أقصى	ما ترجّيه أنفس المتقين
ادن يا أشبه الرجال بأعلى الـ	ناس قدرًا وخيرهم أجمعين
ولك العذر إن رقصت فهذي	نشوة الحب تأخذ المخلصين
ناد يا شاعر العروبة واهتف	مرحبًا بالأمجاد الأكرمين
هذه خيبر العصية دالت	لسيوف البواسل الفاتحين
نصر الله جنده وحباه	في لواء النبي فتحًا مبين
فخذوا حقكم هنيئًا مريئًا	واشكروا الله أكرم المنعمين

أُمُّ حَبِيبَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)

هي بنت أبي سفيان، هاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش، فارتد عن الإسلام هناك ومات نصرانياً. أرسل النبي ﷺ عمرو بن أمية الضمري (رضي الله عنه) في المحرم سنة سبع إلى النجاشي ليزوجها منه، ففعل ودفع الصداق من ماله أربع مئة دينار، أو أربع مئة مثقال ذهب، ثم أولم للناس بعد ذلك، وكانت إحدى جواريه قد أخذت منها بعض الهدايا والأموال لما بشرتها بخطبة الرسول الكريم، فأمرها برد ما أخذت، وأمر نساءه أن يقدمن لها العطر والطيب، ثم أرسلها إلى النبي مع شرحبيل بن حسنة.

تمت لك النعمى ففوزي واسعدي
تحكي طلاقه وجهه الغضُّ الندى؟
فيه الشفاء لغلَّة القلب الصد
رؤياك عند أوانها والموعود
أشهى الحديث إلى الكرائم واشهدي
أغلى الكنوز خشيت أن لا تحمدي
في الله راضية ويا لك من يد
شرفاً على شرف أشمَّ مخلص
فمشى إلى الملك الأعز الأصيل
بين الأرائك والجموع الحشد
زين النديّ ونور عين المنتدي
من كل عالٍ في الرجال ممجد

بشراك أم حبيبة بمحمد
هذا بشير الخير أيُّ طلاقه
حمل الرسالة مشرعاً من رحمة
بشراك أم المؤمنين فهذه
بعث النجاشي الوليدة فاسمعي
هذا عطاؤك لو يكون مكانه
نعم العطاء بذلته مرضية
قلدت أمرك خالداً فمضى به
هتف الرسول أجب وكيل محمد
يلقاه في تاج الهدى وسريره
في مشهد زانته غرة جعفر
جمع الأحبة والرفاق فأقبلوا

أَدَّى النجاشيُّ الصداقَ مبارِكًا ملءَ اليدين يسوقه من عسجد
وأقام لله الولائم كلما زادت وفود القوم قال لها ازدي

* * *

مضت الوليدة بالصداق فصادت كرمًا يجاوز مطمع المسترفد
نالت ولم تسأل ولم تمدد يدًا خمسين دينارًا عطاء كالدد
فضلٌ لأم المؤمنين تفجرت عنه فراح يفيض غير مصرّد

* * *

تلك الوليدة قال سيدها ارجعي أنسيت حقَّ الضيف عند السيّد؟
رُدِّي العطية والهدية واذكري آلاء ربِّك ذي الجلال الأوحد
لا ترزئي زوج النبي بأرضنا شيئًا فبئس الزاد للمتزود

* * *

قالت إليك المال والحلي الذي أعطيتنيه فليس أمري في يدي
أمر المليك فلا مرّد لأمره ولك الكرامة في الفريق الأرشد
لي في ذمامك حاجة منشودة لولا الهدى وسبيله لم تُنشد
هل تحملين إلى الرسول تحية مني إذا انطلقت ركابك في غد؟
حيّيه مُنعمًا وقولي إنني أحببته حبّ التقي المهتدي
ورضيت ملّته لنفسي إنه لعلّى طريق للسداد معبّد

* * *

رضي المليك وراح يحمد ربه حمد امرئٍ للصالحات مسدّد
ودعا إلى الصنع الجميل نساءه فالطيب ذو عبق يروح ويغتدي
تمشي الولائد خلفه يحملنه في ملتقى بهج وحسن توّد
يأتين أمّ المؤمنين يزدنها ويقلن مهلاً كلما قالت قدي

* * *

سيرني هداك الله شطر نبيّه في موكب من نوره المتوقّد

أُمُّ حَبِيبَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)

إِلَّا يَكُنْ مِنْ هَاشِمٍ وَفَدَ فِكْمِ لَهُ حَوْلُكَ مِنْ رَسُولٍ مَوْفَدِ
جَبْرِيلَ يَمْشِي فِي رِكَابِكَ خَاشِعًا بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ فَاشْهَدِي وَتَفَقَّدي
اللَّهُ بِوَأَكِ الْكَرَامَةِ مَنْزَلًا وَأَعَزَّ جَدَّكَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدِ

أَهْلُ فَدَكْ

هم قوم من اليهود بعث إليهم النبي ﷺ محيصة بن مسعود (رضي الله عنه)، وهو على مقربة من خير، يدعوهم إلى الإسلام، وينذرهم عاقبة أمرهم إذا عصوا، فقالوا: إن في خير عشرة آلاف مقاتل؛ فيهم عامر وياسر والحارث ومرحب، فلن يغلبهم المسلمون، على أننا سنبعث معك بعد يومين رجالاً للصلح، وذلك من مكرمهم ليروا لمن يكون النصر، فلما جاءهم الذين هربوا من حصن ناعم بعد فتحه، أرسلوا نون بن يوشع، وهو رجل من رؤسائهم، في جماعة منهم إلى النبي يطلبون الصلح فأجاب سؤالهم.

محيصة بلَّغ ما أُمِّرت فإنما	هو الدين دين المسلمين أو القتل
إلى فدك فاحمل بلاغ محمد	وأُنذر بها قومًا أضلَّهم الجهل
أبوا أن يُجيبوا داعي الله وابتغوا	سبيل الألى أعماهم الحقد والغُلُّ
يقولون لن يستطيع جيش محمد	بخيبر نصرًا إنها مطلب بَسْلُ
يدافع عنها من صناديد أهلها	رجال إذا خاضوا الوغى بَطَلُ الهزل
لها عامر عند البلاء وياسر	لها مرحب والحارث البطل الفحل
وإنَّ بها من كل رام وضارب	أَلَوْفاً هم السَّمُّ الذعاف لمن يبلو
على أننا لا نكره السلم فانتظر	محيصةً واصبر إنها خطة فصل

* * *

كذلك قالوا يمكرون كدأبهم	وماذا يفيد المكر أو ينفع الختل؟
أطالوا المدى حتى يروا جدَّ قومهم	وجَدَّ رسول الله أيهما يعلو

وقيل لهم ضاقت بقومكم السبل	فلمَّا رُموا بالحق من حصن ناعم
قلوب هي الكتب الحثيثة والرسل	مشت رسلهم للصلح تهوي أمامها
يقول هلمُّوا ذلك المركب السهل	يَظَلُّ عميد القوم نون بن يوشع
كريمًا يُرجى عنده العفو والفضل	ولاذنوا بأكناف النبي فصادفوا
وأموالهم إن ردهم خيِّبًا حلُّ	أحلَّ لهم صلحًا وإن دماءهم
لكل الذي يسمو الكرام به أهل	لئن خلفوا للوَم أهلاً فإنه
لكل فقير عضه البؤس والأزل	له النصف من تلك الحقول يُعُدُّه
وما خير مولى لا يكون له ظل؟	كذلك مولى القوم يرجون ظلَّه

بَنُو غُطَفَانَ وَسَيِّدُهُمْ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ

لما علم أهل خيبر أن المسلمين قادمون لغزوهم بعثوا إلى حليفهم عيينة بن حصن سيد بني غطفان يستعدونه وقومه عليهم، ولهم في ذلك نصف ثمار خيبر، وقيل إن النبي ﷺ بعث إليهم ينهاهم عن مظاهرة اليهود، فأبوا وقالوا: حلفاؤنا وجيراننا، ثم خرجوا لنصرتهم فسمعوا من ورائهم صوتًا في ديارهم وقع في نفوسهم أنه صوت الغزاة من المسلمين، فأخذهم الرعب، وارتدوا على أعقابهم مسرعين.

وَتَسْلُكُهَا مَعْبُدَةً سَوِيَّةً؟	أَمَا تَدْعُ الْعِمَايَةَ يَا ابْنَ حِصْنٍ
ثَمَارَ النَّخْلِ يَا لَكَ مِنْ بَلِيَّةٍ	أَضَلَّتْكَ الْيَهُودُ فَرَحْتَ تَبْغِي
يُرُونَ الْحَقَّ مَنْزِلَةً دَنِيَّةً	لِبَيْئَسَ الْأَجْرِ أَجْرَكَ مِنْ أَنْاسٍ
لَعَمْرِكَ إِنَّهُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ	أَتَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمْ حَلِيفًا؟
فَمَا وَجَدُوكَ مِنْ أَهْلِ الرُّوِيَّةِ	رَمَوْكَ بِرُسُلِهِمْ يَرْجُونَ نَصْرًا
فَتِلْكَ سَرِيَّةٌ تَتَلَوُ سَرِيَّةً	أَهْبَتَ بِقَوْمِكَ انْطَلِقُوا وَرَائِي
أُولَى النِّجَدَاتِ وَالْهَمَمِ الْعَلِيَّةِ	تَرِيدُ مُحَمَّدًا وَبَنِي أَبِيهِ
إِذَا غَلَتِ الْحَفِيزَةُ وَالْحَمِيَّةُ	حِمَاةَ الْحَقِّ لَيْسَ لَهُ سِوَاهُمْ
لِنَفْسِكَ إِنَّهَا نَفْسٌ غَوِيَّةٌ	نَهَاكَ مُحَمَّدٌ فَأَبَيْتَ رَشْدًا
وَنَحْنُ أُولُو السِّيُوفِ الْمَشْرِفِيَّةِ؟	وَقُلْتَ أَنْتَ رِكَ الْحِلْفَاءَ نَهْبًا

* * *

رويدك يا عيينة أي خطب أصابك؟ ما الحديث؟ وما القضية؟

وما الصوت المرّدّ يا ابن حصن وراءك في منازلك القصيّة؟
وراءك يا عيّنة لا تدّعها فما هي عن دفاعك بالغنيّة

* * *

رجعت بجندك المهزوم رعباً فمرحى ما الهزيمة كالمنيّة
لو أنك جنّت خيبر وهي ظمأى سقتك من الردى كاساً رويّه
نويت غياثها فشغلت عنها وأمر الله يغلب كل نيّة
بربكّ يا فتى غطفان آمنُ فإن له لآياتٍ جليّة

* * *

رجعت إلى النبي تقول ما لا يقول المرء ذو النفس الحيّة
ألسْتُ لمن ظفرت بهم حليفاً؟ فهب لي من مغانمهم عطية
وإني قد أبيت فلم أعنهم عليك وما تركتك عن تقيّه
فقال كذبت ما لك من خلاق وما تخفى على الله الطويّة
عليك بذى الرقيبة إن فيه لَمّا أحببت من صلة سنيّة
تأمل هل ملكت عليّ أمري؟ وهل صدقتك رؤياك الغبيّة؟
لكلّ من دعاة الشرك حرب مظفّرة الوقائع خيبريّة
سجايا المرهفات البيض أولى بمن جعلوا النفاق لهم سجيّة

حجاج بن علاط السلمي (رضي الله عنه)

قدم على النبي ﷺ بخيبر فأسلم، وكان له مال كثير متفرق في مكة، فاستأذنه في أن يذهب إليها ليجمعه قبل أن يعلم إسلامه، وأن يقول للقوم ما يرضيهم ليعينوه على ذلك، فأذن له، وذهب فرأى عند البيت جماعة منهم يتلمسون أخبار خيبر، فأقبلوا عليه يقولون: إيه يا حجاج، فقال: هزم محمد وأصحابه هزيمة لم يسمع بمثلا، وهو أسير في أيدي اليهود، لا يريدون أن يقتل في غير مكة، ففرحوا وأعانوه، وشاع الخبر فحزن المسلمون، وكان أشدهم حزناً العباس بن عبد المطلب (رضي الله عنه)، فبعث غلامه إلى حجاج يسأله، فعاد يبشره بكذب ما أذيع من هذه الأنباء، فأعتقه سروراً بذلك، وجاءه حجاج فصدقه الحديث، وسأله أن يكتم الخبر ثلاثة أيام حتى ينجو بنفسه وماله ففعل، وخرج العباس بعدها على المشركين في زينة فأنبأهم بما غاظهم وأوجع قلوبهم.

ألست ترى النور الذي جاوز المدى؟
وتؤثر خير الزاد فيمن تزودا
وأصبحت تدعوه تقياً مُوحدا
ليالي تآبى أن يُطاع ويعبدا
سواه لأعطاك الحسام المهندا
تسوءك إني أحذر المعشر العدى
أخاف عليه أن يضيع ويفقدا
هم القوم لا يؤذون إلا من اهتدى
بخرقاء تستهوي الغبي المبلدا

تقدّم فهذا مطلع الحق والهدى
أتيت رسول الله تتبع دينه
لك الله يا حجاج أمسيت مشركاً
سيغفر ما أسلفت من جاهليّة
سألت رسول الله ما لو سألته
تقول له دعني أزور مقالة
بمكة لي مال كثير موزّع
سأكتّم إسلامي وأؤذك إنهم
ورحت تحابيههم وتشفي صدورهم

على الفاتحين الغرّ نصرًا مؤيّدًا
أسيرًا لدى ساداتهم ليس يُفتدى
وإن له عمّا قريب لموعدا
يذيعونه زورًا وإفكًا مردّدًا
حيارى يرون العيش أغبر أنكدًا
لدنّ جمعوا من ماله ما تبدّدًا
وأعيا على العباس أن يتجلّدًا
قل الحق يا حجاج وانقع به الصدى
لحقّ عليه أن يُعزّز محمدًا
أبا الفضل أبشر وانتظر مقدمي غدا
وراجعه من أمره ما تعودًا
فأمسى الذي أخفى من الأمر قد بدا
ثلاثة أيام حذارًا من الردى
تشقّ على الأعداء مرأى ومشهدًا
على صفحتيه ساطعًا فتوقدا
ويا لك من حزن أقام وأقعدا
وردّ ذليلاً كل عاتٍ تمرّدًا
إليه سبيل؟ إنه كان مفسدًا
فحاق بنا من إثمه ما تعمّدًا
إذن لجزيناه الجزاء المشدّدًا
كريم السجايا ما أساء ولا اعتدى؟
عليه ويأبى أن يغادره سدى

تقول لقد فاز اليهود وأدركوا
أغاروا فردوهم وأمسى محمد
أبوا أن يذوق القتل إلا بمكة
فطاروا سرورًا واستمر غواتهم
وطاشت عقول المسلمين فأصبحوا
وأرضى الألى ضلّوا السبيل بشيرهم
تزود همّا كل من كان مسلمًا
فأرسل ما هذا الذي أنت قائل؟
تبارك ربي إنه جل شأنه
فقال نعم عد يا غلام وقل له
فأعتق من فرط السرور غلامه
ووافاه حجاج بأنباء خيبر
وناشده أن لا يذيع حديثه
فلما انقضت راع الرجال بطلعة
تدفق بشرًا وجهه وجرى السنا
يقولون لا تحزن فيا للألى عموا
رماهم بأخبار الفتوح فغاظهم
يضجّون أين ابن العلاط؟ أما لنا
لقد غرّنا كيما يفوز بماله
فواهاً له من ماكر لو نصيبه
جزاهم إله الناس ما ذنب مسلم
رأى شرهم فاحتال يحفظ ماله

الشاة المسمومة

عمدت زينب بنت الحارث أخي مرحب — وهي امرأة سلام بن مشكم — إلى عنز لها فذبحتها، وجاءت بسم قاتل لساعته فأشاعته فيها، وعلمت أن النبي ﷺ يحب الذراعين فأكثرته فيهما من ذلك السم، ثم جاءت فوضعتها بين يديه ومعه طائفة من أصحابه فيهم بشر بن البراء بن معرور (رضي الله عنه)، فلما ذاقها النبي أنبأه الله بأمرها، فقال لأصحابه: «ارفعوا أيديكم»، وكان بشر قد أصاب منها ففعل فيه السم ومات بعد سنة، فأمر النبي بقتل تلك اليهودية الخبيثة.

أكانوا كلهم داء عياء؟	فما يجد الأساة لهم دواء؟
ألا إن النطاسيَّ المرجي	أتى يلقي الألى انتظروا اللقاء
أتى بالحكمة الكبرى رسولاً	فكان لعلّة الدنيا شفاء
أتطمع زينب بذراع شاة	يُسَمَّم أن يُضَرَّ وأن يُساء؟
أبى الملك المهيمن ما أرادت	فخيَّبها وكان له وقاء
أنت تمشي بها وتقول هذا	طعامك فارضه وانعم مساء
فقال لصحبه رزقُ أتانَا	فباسم الله لا نُحصى ثناء
فلما ذاقها قال اتركوها	فإن الله قد كشف الغطاء
طعام السوء مسموم وهذا	أخي جبريل بالأنباء جاء
فكفوا غير بادرة لبشر	مضتْ قَدَرًا لربك أو قضاء
فيا لك طعنة لم تُبق منه	لحاجة نفسه إلا ذماء
إذا رام التحول أمسكته	ولو قدرت مفاصله لناء

مرارة عيشه كره البقاء	قضاها حِجَّة من ذاق فيها
يبوُّ جنَّة المأوى جزاء	وحُمَّ قضاؤه فمضى رضىً
كفى بدم التي قُتلتُ عزاء	وقال محمد يا آل بشر
وما كانت لصاحبهم كِفاء	فلاقت زينبُ قتلاً بقتل
كمن حمل العمامة واللواء؟	أمن حمل الخمار من الغواني
أقام السبُل بيّنة وِضاء	كذلك حكم ربك في كتاب
لمن يزن النفوس أو الدماء	هو القسطاس أنزل مستقيماً
فلا جنفاً يريد ولا عداء	أتى يحمي الحقوق ويقتضيها
فسبحان الذي رفع البناء	بناء العدل ليس به خفاء
طوال الدهر خيراً أو نماء	ألا خسر اليهود ولا أصابوا
فما يدع الرجال ولا النساء	كأن الغدر عند القوم دين

المؤمنات في جيش الرسول

خرج في هذه الغزوة مع جيش الرسول الأعظم ﷺ عشرون امرأة من نساء المسلمين، فيهن عمته السيدة صفية (رضي الله عنها وعنهن)، وقد أعطين نصيبًا من الغنائم.

أتين بهنّ من شوق غليلٍ	وعدن لهنّ منقلب جليل
خرجن من الخدور مهاجراتٍ	فلا دعة ولا ظلّ ظليل
يسرنّ مع النبيّ على سواءٍ	ولا هادٍ سواه ولا دليل
يردن الله لا يبغين دنيا	كثيرٌ متاعها نزرٌ قليل
عقائل في حمى الإسلام يسمو	بهنّ من العلى فرعٌ طويل
يفتنن إلى صفيّة حيث كانت	وكان سبيلها نعم السبيل
عليها من رسول الله وسم	مبين العتق وضّاح جميل
عشيرة سُودٍ وقبيل مجدٍ	فبوركت العشيرة والقبيل
يُجرّدن النفوس مجاهدات	بحيث يجردّ العضب الصقيل
فلا ضعف يعوق ولا لغوب	ولا ولد يشوق ولا حليل
نساء الصدق ما فيهنّ عيب	وليس لهن في الدنيا مثيل
أخذن عطاءهنّ على حياءٍ	يزيد جماله الخلق النبيل
لئن قلّ الذي أوتين منه	فأجر الله موفور جزيل

غَزْوَةُ وَادِي الْقَرْيَ

كانت بعد خير، وأهل هذا الوادي من اليهود دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام، فأبوا إلا القتال، وحمل ثلاثة منهم في الطليعة واحدًا بعد واحد، وحمل علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وأبو دجانة فقتلوهم، ثم نشب القتال بين الجيشين فكان النصر للمسلمين، وطلب اليهود الصلح فتركت الأرض والنخيل والبساتين والحدائق في أيديهم يعملون فيها أجراء كإخوانهم يهود خير.

واستقبلوا الموت وأسد الشرى
واللهُ والسيفُ لمن أنكرا
جيرانكم أو فاسألوا خيبرا
ما مثلهم أعمى الهوى معشرا
كلَّ غويٍّ جاء مستهترا
دجانة اضرب مُقبلاً مُدبرا
ليس لغير الله أن يُنصرا
بالكفر حتى يرجع القهقري
ما أشجع القوم وما أصبرا
يلتهم العسكر فالعسكرا
يا ويح للمرتاع ماذا يرى؟
أهوالها العظمى؟ ومن صورا؟
ما أعظم البأس وما أكبرا

خوضوا الوغى يا أهل وادي القرى
أنكرتم الإسلام دين الهدى
إن تطلبوا البرهان فاستخبروا
اقتل عليٌّ إنهم معشرا
ويا حوارِيَّ الرسول اقتنص
وأنت فاضرب في الطلَى يا أبا
كرُّوا جنود الله في نصره
لا تتركوا جيش الألى استمسكوا
يا صولة هَدَّتْ فراعينهم
أبطال حرب لم يزل بأسهم
وادي القرى التَفَّ على روعة
مَنْ مَثَّلَ الأغوال تهفو به
بأس رسول الله في صحبه

تَظُنُّ أَنْ تُغْلِبَ أَوْ تَقْهَرَا	ذَلَّتْ يَهُودٌ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ
فِي الْأَرْضِ لَوْلَا الرِّفْقُ مَا اسْتَعْمَرَا	إِسْتَعْمَرَ الْفَاتِحَ زُرَّاعَهُمْ
مَنْ حَقَّهَا الْوَاجِبُ أَنْ تُشْكِرَا	فَلْيَشْكُرُوهَا مِنْهُ أَكْرُومَةً
إِنْ أَظْهَرَ الْحَدِثَانُ مَا أَضْمَرَا	وَلْيَرْقُبُوا الْعَقَبَى وَزَلْزَالَهَا
فِيَمَا قَضَى اللَّهُ وَمَا قَدَّرَا	لَا حَوْلَ لِلْقَوْمِ وَلَا حِيلَةَ
أَصْحَابُ دِينٍ غَيْرِهِ مَفْتَرَى	لَنْ يَصْحَبَ الْإِسْلَامَ فِي دَارِهِ
أَصْدَقُ مَنْ بَشَّرَ أَوْ أَنْذَرَا	بِشَارَةِ اللَّهِ أَتَانَا بِهَا

أهل تيماء

رأى أهل تيماء انتصارات المسلمين في خيبر وفدك ووادي القرى، فأرسلوا إلى النبي ﷺ يسألونه الصلح على أن يؤدوا إليه الجزية، فقبل وأقرهم على حالهم.

هو النصر يا تيماء يتبعه النصر دعي الرسل تمضي ما عليك ملامة فإن تخفضي منك الجناح لتنعمي وهل يرفع العصفور يوماً جناحه إذا أمسك الصبر البلاد وأهلها ألم يك أهل الأرض موتى فجاءهم أبى أن يظلوا آخر الدهر فوقها حياة الدنى في سيفه وكتابه	فإن كنت في ريب فقد وضح الأمر وكيف يعاف الأمن من غاله الذعر؟ بأفياء عيش ساكن فلك العُذر إذا حلق البازي أو انطلق النسر؟ فليس على هذا قرار ولا صبر رسول حياة دينه البعث والنشر؟ يسيرون في الأكفان وهي لهم قبر وما منهما إلا لها عنده سرُّ

* * *

لك الأمن يا تيماء لا الدم دافق ولا أنت تكلّى ما تُغبُّك لوعة أعانك رأي أبصر القصد فانتحي ولو آثروا الإسلام ديناً لأفلحوا أبوا وتولّوا يشترون نفوسهم يؤدونها من خيفة القتل جزية	ولا النقع مسودّ ولا الجو مغبرُّ مؤجّجة كالجمر أو دونها الجمر بأهلك ما لا ينتحي الجاهل الغرُّ ولكنه الشرك المذمّم والكفر بأموالهم هذا هو الغبن والخسر على الهون مما يرزق الحبّ والتمر

أقاموا يريدون الحياة بأرضهم	وكيف حياة القوم إن فسد الأمر؟
رويد اللى اختاروا الضلالة خطّة	فتلك وإن لم يعلموا خطة نكر
يَضِلُّونَ والفجر المنور طالع	ولا عذر للضلال إن طلع الفجر
لكل أناس مدّة ثم تنجلي	عمايتهم فلْيصبروا إنه الدهر

عُمْرَةُ الْقَضَاءِ

ويقال لها عمرة القضية، والصلح والقصاص، وهي التي أجازها عهد الحديبية للرسول الكريم وأصحابه (رضوان الله عليهم)، وكانت في شهر ذي القعدة من السنة السابعة، وهو الشهر الذي صده المشركون فيه عن البيت سنة ست، ويقال لهذه العمرة غزوة الأمن، ولهذا ألحقت بالغزوات؛ لأن النبي ﷺ خرج إليها بالخيـل والسلاح مخافة أن يغدر المشركون فيقاتلهم، وخرج معه من أصحابه ألفا رجل، أكثرهم ممن شهد الحديبية، فلما رأى احترام القوم للعهد أمر بوضع السلاح في مكان قريب من الحرم يقال له بطن ناجح، ثم دخل مكة هو وأصحابه آمنين، وقضوا مناسكهم من صلاة وطواف ونحر، وخرجوا بعد ثلاثة أيام وفاءً بالعهد.

وَحُلِّيتِ السَّبِيلَ لِلْمَعْتَمِرِ	مضى العام وانبعث المنتظر
فَمَا مِنْ عَصِيٍّ وَلَا مِنْ عَسَرٍ	لقد يسّر الله تلك الصعاب
فَإِنْ الْغَنِيمَةَ لِلْمَبْتَدِرِ	بدارٍ بدار جنود النبي
فَمَا تَمَّ مِنْ خِيفَةٍ أَوْ حَذَرٍ	إلى البيت سيروا سراع الخطى
فَمَا خَابَ مِنْ سَاقِهَا أَوْ نَحَرٍ	وسوقوا الهدايا إلى ربكم
لَنَعْمَ الْفَتَى أَنْ تَمْطَى السَّفَرِ	دعوها لناجية إنه
يَشُقُّ الصَّعَابَ وَيَهْدِي الزُّمَرِ	دليلكم الصدق فيما مضى
وَفَارَسَهَا الشَّمْرِيُّ الْأَغْرَ	وللخيل قائدها المجتبى
فَطَارُوا يَقُولُونَ أَمْرٌ قَدَرِ	رأوها مطهّمة في السلاح
عَلَى الْجَرْدِ فِي الْمَرْهَفَاتِ الْبُتْرِ	أيا قومنا إنهم أقبلوا

خذوا جذركم واجمعوا أمركم
وجاء ابن حصن رسولاً يقول
أتنقض عهدك تبغي القتال
قريشٌ على العهد ما بدّلوا
على م السلاح؟ وماذا تريد؟
فقال النبي اهدءوا إنني
سيبقى السلاح بعيد المكان
لِمَكَّةَ حرمتها والذمام
وأقبل في صحبه الأكرمين
فيا ابن راحة خذ بالزمّام
جلا القوم يأبون لقيا النبي
فطافوا وصلّوا وخفّوا معاً
وقضّوا المناسك مستبشرين
وجاء حويطب يلقي النبي
يقولان إنّنا على موعد
قضيت الثلاثة فاهب إلى
فأرعد سعد وجاشت به
وألقي بصاعقة تستطير
فقال النبي رويداً رويداً
وحُمّ الرحيل فنعم السبيل
همو صبروا فانتنوا ظافرين
فشكراً لربّ يحبّ التقيّ

ألا إنّنا لا نرى غير شر
محمد ما شأنكم؟ ما الخبر؟
وما كنت ممن بغى أو غدر؟
ولا كان منهم أذى أو ضرر
أتأبى لأنفسنا أن تقرر؟
لأولى الورى بوفاء وبر
ليأمن من قومنا من دُعر
ولله سبحانه ما أمر
يؤمّ البنيّة ذات الستر
وقل في النبيّ وفي من كفر
وأصحابه الطاهرين الغر
إلى الركن يغشونه والحجر
فلم يبقَ من مأرب أو وطر
وصاحبُه المرتجى للغير
فما لك عن أرضنا لم تسر؟
منازل يثرب ما من مفر
حميّة مستوفز كالنمر
على جانبيها بروق الشر
وأطفأ من غيظه المستعر
سبيل القبيل الجليل الخطر
وما الصبر إلا بشير الظفر
ويضفي العطاء على من شكر

أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ مَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ الْهَلَالِيَّةِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)

اختارها الله زوجًا لرسوله الكريم في هذه العمرة، وكان اسمها قبل ذلك (برة)، فسمّاها ميمونة، وهي أخت أم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب، وأخت أسماء بنت عميس زوج حمزة لأُمّها.

حَلَّاكَ رَبِّكَ بِالْحَسَنِ وَحَلَاةَ
لَكَ الَّذِي اخْتَارَهُ مِنْ خَلْقِهِ اللَّهُ
يَا أُخْتُ زَوْجَيْهِمَا وَالنَّاسُ أَشْبَاهُ
يَا زَوْجَ أَحْمَدٍ إِذْ أَعْطَاكَ إِيَّاهُ
مِنْكَ الْجَلَالُ الْمُحَلَّى أُمُّ مَطَايَاهُ؟
يَا طَيْبَ مَثْوَاكَ إِنْ شَارَفْتَ مَثْوَاهُ
مَا مِثْلُهُ شَرَفَ عَالٍ وَلَا جَاهُ
عَزَّتْ بِأَبْلَجٍ مَا تُحْصَى مَزَايَاهُ
مِنْ جَانِبِ اللَّهِ مَوْلَاهَا وَمَوْلَاهُ
لِدِينِهِ الْهَادِمُ الْبَانِي وَدُنْيَاهُ
إِلَّا أَصَابَ بِإِذْنِ اللَّهِ مَرْمَاهُ
بَيْنَ الْقِبَائِلِ يَرَعَاهَا وَتَرَعَاهُ
وَالْخَيْرُ أَجْمَعُ شَرَعَ مِنْ سَجَايَاهُ
تَمْضِي عَلَى الْحَقِّ تَرْجُوهُ وَتَخْشَاهُ

اسم سما لفظه وازدان معناه
ميمونة أنت هذا ما تخيّرهُ
أوفى بحمزة والعباس مجدهما
لأنت أكرم عند الله منزلة
لم تعلمي أمطايا الله حاملة
إلى المدينة سيري في كلاءته
قرّي ببعلك عينًا إنه شرف
أطربتُ فيك وفي المختار مؤمنة
عزّ يوطد للإسلام جانبها
ما انفكّ يتخذ الأَصْهَارَ يجعلهم
سياسة ما رمى الطّبُّ اللبيب بها
وقوة لرسول الله شائعة
وسنة لبني الإسلام يشرعها
هم أسرة في ظلال الله واحدة

ولا ترى الخير إلا في وصاياہ	لا تعرف الرشداً إلا في شرائعہ
ما كان أهون دنيا الناس لولاه	دين الألى يؤثرون العزَّ منزلة
شيء إذا نام عنه من تولاه	لكل شعبٍ بناء ليس يمسكه
منه الصدوع ولا انضمت شظاياہ	لولا الأواصر والأرحام ما التأمت

إِسْلَامُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَعُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ وَعَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ)

قال خالد (رضي الله عنه): لما جاء النبي ﷺ لعمرة القضية تغيبت ولم أشهد دخوله، وكان أخي الوليد دخل مكة معه، فطلبني فلم يجدني، فكتب إلي:

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فإنني لم أرَ أعجب من زهاب رأيك عن الإسلام، وقلة عقلك، ومثل الإسلام هل يجهله أحد؟! سألني عنك رسول الله ﷺ فقال: «أين خالد؟» قلت: يأتي به الله، قال: «ما مثله يجهل الإسلام، ولو كان يجعل نكايته مع المسلمين على المشركين لكان خيرًا له»، ولقد مناه علي غيره، فاستدرك يا أخي ما فاتك، فقد فاتك مواطن صالحة.

قال خالد: فلما جاءني كتابه نشطت للخروج، وزادني رغبة في الإسلام، وسرتني مقالة رسول الله ﷺ، ورأيت في المنام كأني في بلاد ضيقة جدبة، فخرجت إلى بلاد خضراء واسعة.

ثم خرج إلى المدينة، فلقي صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وعثمان بن طلحة، فعرض عليهم الإسلام، فما قبله إلا عثمان، ولقي خالد وصاحبه عمرو بن العاص فوافقهما، وقدموا على النبي فأسلموا (رضي الله عنهم).

قم ودع الأوثان والأصناما أفما ترى برهان ربك قاما؟
يا خالد اعمد للتي هي عصمة لذوي البصائر وانبذ الأوهاما

الله رب العالمين ودينه
إقرأ كتاب أخيك ما لك مصرف
أقبل رعاك الله إنك لن ترى
سأل النبي بأي حال خالد
إنني رايت لخالد من عقله
ما مثله يرتاب في دين الهدى
إننا لنعرفه رشيدًا حازمًا
لو أنه جعل المضرة والأذى
ولكان عندي يا وليد مقدّمًا

دين السلام لمن أراد سلاما
عما يريد ولن ترى الإحجاما
كسبيل ربك مطلبًا ومراما
أفما يزال يجانب الإسلاما؟
فيما يمارس مُرشدًا وإماما
فيرى الضياء المستفيض ظلاما
ونراه شهيمًا في الرجال هماما
للمشركين لما استحق ملاما
يلقى لدي البر والإكراما

* * *

أقبل أخي وتلاف أملك لا تكن
كم موطن جلل لو أنك لم تغب
يكفيك ما ضيعت ليس بحازم

ممن إذا وضح السبيل تعامى
عنه لكنت إذن أجل مقاماً
من لا يزال يضيّع الأياما

* * *

نشط الهمام وراح يدرك نفسه
ألقي إلى الوادي الخصب برحله
أُقيم بالوادي الجديد فلا يرى
لاقى بعكرمة وبابن أمية
قال اثتيا نبغي النجاة فأعرضا
وأجابها عثمان دعوة ناصح
مضيا على سنن الطريق فصادفا
يا عمرو دين الله لسنا كالألى
قال اهتديت ولن أكون كمن يرى
ومشوا فما بلغ الرسول حديثهم
سرته مكة إذ رمت أفلاذها
بعثت إليه من الجبال ثلاثة

يبغي لها عند النبي ذماما
فأصاب فيه مرتعًا ومساما
إلا سرابًا كاذبًا وجهاما
شرًا يعب عبابه وعُراما
وتنازعا قولًا يشبُ ضراما
يأبى الهوى ويُجانب الآثاما
عمرًا فقالا ما لنا؟ وإلى ما؟
جعلوا الحلال من الأمور حراما
طول الحياة لنفسه ظلامًا
حتى بدا متهللًا بساما
كبدًا تكنُ الحب والإعظاما
رضوى يصاحب يذبلًا وشماما

إِسْلَامُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَعُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ)

خَفَّ الْوَلِيدُ يَقُولُ لَا تَتَمَهَّلُوا إِنْ الْحَدِيثَ إِلَى النَّبِيِّ تَرَامِي
حُتُّوا الْمَطْيَّ فَإِنَّهُ مَتَرَقِبٌ وَأَرَى جَوَانِحَكُمْ تَرَفُّ أَوَامَا

* * *

وَفَدُوا كِرَامًا يُؤْمِنُونَ بِرَبِّهِمْ وَرَسُولُهُ بِيضُ الْوُجُوهِ وَسَامَا
نَفَضُوا الْهَوَانَ عَنِ الْجِبَاهِ فَأَصْبَحُوا شَمَّ الْمَعَاطِسِ يَرْفَعُونَ الْهَامَا
أَفْيَعْبُدُونَ مَعَ الْغَوَاةِ حَجَارَةً؟ أَمْ يَعْبُدُونَ الْوَاحِدَ الْعَلَامَا؟
كُشِفَ اللَّثَامُ عَنِ الْيَقِينِ وَلَنْ تَرَى كَالْجَهْلِ سَتْرًا وَالْغُرُورَ لَثَامَا
لَوْ طَاوَعَ النَّاسَ الطَّبِيبُ لَمَا اشْتَكَى مَنْ يَحْمِلُ الْأَدْوَاءَ وَالْآلَامَا
إِعْرِفْ لِرَبِّكَ حَقَّهُ فَلِحِكْمَةِ خَلْقِ الْعُقُولِ وَأَنْشَأَ الْأَحْلَامَا
أَرَأَيْتَ كَالْإِسْلَامِ دِينًا قَيِّمًا سَاسَ الْأُمُورِ وَدَبَرَ الْأَحْكَامَا؟
اللَّهُ أَحْكَمُ أَمْرِهِ وَأَقَامَهُ لِلْعَالَمِينَ شَرِيعَةً وَنِظَامَا
نَادَى النَّبِيُّ بِهِ فَأَفْزَعَ صَوْتُهُ أَمَّمَا بِأَفَاقِ الْبِلَادِ نِيَامَا
وَدَعَا إِلَيْهِ وَسَيْفُهُ بِيَمِينِهِ يَمْضِي حَيَاةَ مَرَّةٍ وَجَمَامَا
تَمْضِي أَبَاطِيلُ الْحَيَاةِ وَلَنْ تَرَى لِسَوَى الْحَقَائِقِ فِي الزَّمَانِ دَوَامَا

* * *

صَعَقَتْ نَفُوسُ الْمُشْرِكِينَ وَهَالَهُمْ هُمُّ إِذَا انْجَلَّتِ الْهَمُومُ أَقَامَا
قَالُوا فَقَدْنَاهُمْ ثَلَاثَةَ قَادَةٍ مَا مِثْلَهُمْ بِأَسَا وَلَا إِقْدَامَا
مَا أَعْظَمَ الْبُلُوى وَيَا لِكِ نَكْبَةٍ مَلَكْتَ عَلَيْنَا النِّقْضَ وَالْإِبْرَامَا
نَزَلَ الْبَلَاءُ بَنَا فَكَانَ مَضَاعِفًا وَجَرَى الْعَذَابُ مَعًا فَكَانَ غَرَامَا

* * *

إِنِّي إِخَالَ الْبَيْتَ يَشْرِقُ جَوْهُ وَإِخَالَ مَكَّةَ تَرْفَعُ الْأَعْلَامَا
يَا ابْنَ الْوَلِيدِ لَكَ الْأَعْنَةُ كُلُّهَا فَالِقَ الْمَقَانِبِ وَادْفَعَ الْأَقْوَامَا
سَتَرَى الْمَشَاهِدَ تَرْجِفُ الدُّنْيَا لَهَا وَتَرَى الْحَصُونَ تَمِيدُ وَالْأَطَامَا
بَشْرُ حِمَاةِ الشَّرِكِ مِنْكَ بِوَقْعَةٍ تُوْهِى الْقَوَى وَتَزِلُّزُ الْأَقْدَامَا

غَزْوَةُ مُؤْتَةَ

كانت في جمادى الأولى سنة ثمان، ومؤتة موضع معروف عند الكرك بالشام، وسببها أن النبي ﷺ بعث الحارث بن عمير الأزدي إلى هرقل ملك الروم بالشام بكتاب منه، فلما بلغ مؤتة تعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني من عمال قيصر ثم ربطه وقتله، فسير النبي لمقاتلة ملك الروم ثلاثة آلاف رجل من أصحابه بقيادة زيد بن حارثة، وعقد له لواء أبيض دفعه إليه، وأوصاهم أن يأتوا مؤتة فيدعوا من بها إلى الإسلام، فإن أبوا قاتلوهم. فلما أتوا معان بلغهم أن هرقل في مئة ألف من قومه، ومثلهم من العرب المنتصرة، ومعهم من الخيل والسلاح ما ليس مع المسلمين، ولقيتهم الجموع فاقتتلوا، وهزم الروم والذين معهم من العرب هزيمة منكرة بعد مقتلة كبيرة على يد خالد بن الوليد (رضي الله عنه)، وقد لقبه النبي ﷺ بسيف الله من يومئذ.

لله يا ابن عُمَيْر أنت من رجل
أن راح يحمله من أشرف الرسل
من ذا سواك رعاك الله للجبل؟
صيد الملوك وتلقاه على مهل
فما تلاحظه إلا على وجل
إلا امرأً هملاً في معشر همل
وما جلاله غاوي الرأي مختبل؟
أعمى المقاصد والآفاق والسبل
فأذهب إليه وخذه غير محتفل

ودّع ذويك وسر في شأنك الجبل
سر بالكتاب رسولاً حسبه شرفاً
يا حامل الجبل المرقوم دونكه
إلى هرقل تأنى دون سده
ترتد عن تاجه الأبصار خاشعة
إليه يا ابن عمير لست واجده
لأنت أعظم منه في جلالته
لا يعرف الدين إلا فتنة وهوى
هذا كتاب رسول الله ينذره

* * *

مهلاً شرحبيل لا حييت من رجل
بادي الشراسة عاد ما يلائمه
هاجته من نزوات الجهل ثائرة
فطاح بابن عمير باسلاً بطلاً
يا للربيط يسل السيف مهجته
كذلك الغدر لا ظلم بمجنب
ما كان ذنب امرئ في الله مرتحل

إن همّ بالشر لم يحفل ولم يُبَلِّ
في موضع الذم إلا أسوأ المثل
لم تُبق من كلب يهتاج أو ثول
يفلّ في الروع بأس الباسل البطل
في غير معترك حام ومقتل
في الغادرين ولا لؤم بمعتل
يرجوه في كل محتل ومرتحل؟

* * *

سر يا ابن حارثة بالجيش تقدمه
أدع الألى اتخذوا العمياء وارتكسوا
فإن أبوا فسيوف الله تأخذهم
أمر النبي فسر يا زيد ممتثلاً
فإن أصبت فمن سمى على قدر
إتبع وصاياهم فيما لا يحل لكم
دعوا الصوامع واستبقوا النساء ولا
لا تقطعوا شجراً لا تهدموا جدرًا

هذا لواؤك فابعثه على عجل
فيها إلى أرشد الأديان والملل
من كل متقد الحدين مشتعل
والجند جندك ما تأمره يمتثل
وليس للنفس إلا غاية الأجل
ولا يليق بكم من سيئ العمل
تؤذوا صغيراً ولا تودوا بمكتهل
لا تقربوا ما استطعتم موطن الزلل

* * *

هذا هرقل يسوق الجيش مرتكماً
يزجي الكتائب من روم ومن عرب
والصافنات تهادى لا عداد لها
إن الذين أداروا الرأي وانتظروا
الغالبون وإن قلوا وظن بهم
لم يلبث القوم حتى قال قائلهم
إننا خرجنا نريد الله فاستبقوا

كالعارض الجون يرمي الأرض بالوهل
في المرهفات المواضي والقنا الذبل
من كل منذلق في الكر منجفل
لم يبرح النصر مولاهم ولم يزل
ما يكره الله أهل الزور والخطل
فيم الحوار؟ وهل في الأمر من جدل
من كل منتهب للخير مهتبل

بمن عليها من الأقوام لم نُحُلْ
أو جَنَّةُ الخلد فيها أطيّب النزل
ألفاً لألف من الأبطال مكتمل
أعلامه النصر في أيّامنا الأول
تلك الغواشي ولولا الله لم يقل

لو زالت الأرض أو حالت جوانبها
هما سبيلان إما النصر ندركه
لسنا نقاتل بالآلاف نحشدها
إنّا نقاتل بالدين الذي ضمننت
لولا مقالة عبد الله ما انكشفت

من صادق البأس ما يغني عن الحيل
لم يضطرب جمعهم خوفاً ولم يمل
هيهات ذلك شيء غير محتمل
في موطن لو رآته الجنُّ لم تُصَلْ
يرميمنية في أنيابها العُصْلُ
تلك الموارد ليس الغُمر كالوشل
كمن يجانبها خوفاً من البلل
نهج الألى انتقلوا من قبل وانتقل
من أوبة تبعث الأشجان أو قفل
ويحتوي منزل الأدواء والعلل
لم تلق من سأم يوماً ولا ملل
فاغنم ثوابك والَقَّ الصّحب في جذل
خذ اللواء وجاوز غاية الأمل
ولا ارتضى بوفاء الحرّ من بدل
موطن السوء من ضنٍّ ومن بُخل
فصنّت نفسك عن لوم وعن عدل
والقوم منجدل في إثر منجدل
يسراك ما فيه من أمتٍ ولا خلل
كأنه منه بضع غير منفصل
بمن أطال صداه لذّة القُبَلِ
وأنت عن دمك المسفوك في شغل

تقلّدوا العزم للهيّجاء وادّرعوا
وأقبلوا لو تميل الشَّمُّ من فزع
يا مؤتة احتملي الأهوال صابرة
جنُّ الكريهة يستشري الصيال بهم
ما زال قائدهم يُلقني بمهجته
يغشى موارد من أهوالها لججاً
ما مَن يخوض الوغى تطغى زواجرها
يا زيد أدّيت حق الله فامض على
أبوا إلى خير دار ما لنازلها
يسلو أخو العقل عن دار الهموم بها
جاهدت في الله ترضيه وتنصره
هذا الذي نبأ الله الرسولَ به
وأنت يا جعفر المأمول مشهده
هذا جوادك ما حالت سجيّته
عقرته وركبت الأرض تمنعه
أكرمته وحرمت القوم نجدته
دلفت تمشي على الأشلاء مقتحمًا
فقدت يميناك فانصات اللواء على
حتى هوت فجعلت الصدر موضعه
يضمُّه ضمّ صادي النفس يولعه
يغا قائد الجيش ضجّ الناس من ألم

كأنما الأمر لم يفدح ولم يهُل
حرَّى الجوانج ظمأى البيض والأسل
أعطتك سورة مجد غير منتحل
ملء المشاهد لم تعهد ولم تُحل
ومن يكن همُّه أقصى المدى يصل
خلت من الضعف واستعصت على الكسل
بكل ما تحمل الأطواد من ثقل
وإن رأيت المنايا جَوْلاً فجَل
واليوم يوم منايا الروم فارتجل
يا حسنه مظهرًا لو كان يقدر لي
فلم أصب فيه آمالي ولم أنل
أبقى وأنفع لي من هذه الطول
وليس لي من غواليها سوى العطل
أغلى الحلى وكساني أشرف الحل
هدى لقومي وعافاني من الخبل
عالي الجلال مصون غير مبتذل

تقضي الذمام وتمضي غير مكتثر
لقيت حتفك في شعواء عاصفة
أعطيتها منك نفسًا غير واهنة
لك المناقب لم تُقدر غرائبها
من يؤثر الحق يبذل فيه مهجته
لا شيء يُعجز آمال النفوس إذا
إنهض بعبئك عبد الله مضطلعًا
هذا مجالك فاركض غير متئد
كم جئت بالعربيّ السمح مرتجلًا
للعبقرية فيه مظهر أنق
قنعتُ بالشعر أغزو المشركين به
لقطرة من دمي في الله أبذلها
تقلّد القوم ملء الدهر من شرف
إن شاء ربي حباني من ذخائرها
الحمد لله أجرى النور من قلبي
أوتيت ما جاوز الآمال من أدب

مثل العطاء الذي أدركت والنفل
قدسية الجوِّ والأرواح والظلل
مما يحاول أهل الغيِّ والضلل
ولا الغطارفة الأمجاد كالسفل

يا شاعر الصدق ما خاب الرجاء ولا
خذ عند ربك دار الخلد تسكنها
آثرته واصطفيت الحق تكلؤه
ليس العرانيين كالأذنان منزلة

تنفي الوسواس أو تشفي من الغُلل
مستبسلين وينهاهم عن الفشل
تنوزع الأمر عند الحادث الجلل
وأنت صاحبه المرجو للعُضَل

يا عقبة اصدع بها بيضاء ناصعة
القتل أجدر بالأحرار يأخذهم
ويا ابن أرقم نعم المرء أنت إذا
قالوا لك الأمر فاخترت الكفيَّ له

صافي السريرة بالإيمان مشتمل
إيثار أغلب لا واه ولا وكل
ما مثله من حياء كان أو خجل
منه حمية لا آب ولا زحل
طاشت مرأثيه بالألباب والمقل
جُمُ الأحابيل يعيي كل محتبل
لغيرها من عمى بالقوم أو حَوْل
لم تعتصم مهجة منه ولم تثل
في مسبل من مثار النقع منسدل
لنفسه في غمار الموت مبتسل
ما كفَّ عن علل منه ولا نهل
في الروع يحسن ضرب الهام والطلل
يندسُّ هاربهم في كل مدخل
فما لهم بجنود الله من قبل
إذا جرت بين معوجٍّ ومعتدل
والحق فوق منال المعشر العثل
فك العقول من الأغلال والعُقل
على الممالك والأديان والنحل
فلا يغرَّنك ما استعظمت من دول
وأنت تسمع دعوى كل مبتهل
يشكو الأذى في شعوب خُضَّع نل
تهوي صياصيه حتَّى عاد كالطلل

لكنها نفس حرٌّ ذي محافظة
صنت اللواء وآثرت الأحق به
أبى عليه حياءً زاده عظمًا
قلت اضطلع خالد بالأمر فاستعرت
وراح يُبدع من كيد الوغى نمطًا
رمى العدى حول شتى مكائده
ظنوا الجنود تنحت عن مواقفها
جيش من الرعب يمشي في جوانحهم
من خلفه الجيش يمشي ابن الوليد به
ضاقوا بمفترس في الهول منغمس
أذاقهم من ذعاف الموت ما كرهوا
ما للمسيئين إلا كل معتزم
رمت بهم هبوات البأس فانكشفوا
بئس الجنود أضلَّتْهم عمايتهم
ظنوا الأمور لغير الله يملكها
وحاربوا الحق من جهل ومن سفه
ما ينقم الناس من دين يراد به
فليصبر القوم إن الله مظهره
لدولة الله أبقى في خليقته
أدعوك يا رب للإسلام مبتهلًا
نام المحامون عنه فهو مضطهد
صرح من العزِّ والسلطان ما برحت

الفتح الأعظم — فتح مكة

كان خروج النبي ﷺ إلى مكة مع جنوده المظفرين في شهر رمضان من السنة الثامنة على أصح الروايات، وكان عدد الجيش عشرة آلاف مقاتل، أو اثني عشر ألفاً، وسبب ذلك أن رجالاً من بني بكر الذين دخلوا في عهد قريش عهد الحديبية عدوا على رجال من خزاعة فقتلوه، وكانت خزاعة قد دخلت في عهد النبي، فانتقض العهد بذلك، وحل القتال.

وإنما دخلت خزاعة في عهده ﷺ لحلف كان بينها وبين جده عبد المطلب بن هاشم حين أخذ عمه نوفل ما كان بيده من أمر السقاية، فحالف عبد المطلب خزاعة، وحالف نوفل بني أخيه عبد شمس، وقد جاء رجال خزاعة يوم الحديبية إلى النبي بكتاب جده عبد المطلب في ذلك الحلف، فقرأه عليه أبي بن كعب (رضي الله عنه)، وكان بعرفة قبل ذلك، فقال: «ما أعرفني بحلفكم، وأنتم على ما أسلمتم عليه من الحلف، وكل حلف كان في الجاهلية فلا يزيده الإسلام إلا شدة، ولا حلف في الإسلام».

حلف عبد المطلب

باسمك اللهم، هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة، إذ قدم عليه سرواتهم وأهل الرأي منهم يقر بما قاضى عليه شاهدهم، أن بيننا وبينكم عهود الله وعقوده، وما لا ينسى أبداً، اليد واحدة، والنصر واحد، ما أشرف ثبير، وثبت حراء، وما بل بحر صوفة، ولا يزداد بيننا وبينكم إلا تجددًا، أبد الدهر سرمداً — وفي رواية: حلفاً جامعاً غير مفرق — الأسياف على الأسياف، والأصاغر على الأصاغر، والشاهد على الغائب، وتعاهدوا وتعاهدوا أوكد عهد وأوثق عقد، لا ينقض ولا ينكث ما أشرقت شمس على ثبير، وحن بفلاة بعير، وما أقام الأخشبان، واعتمر بمكة إنسان، حلف أبد، لطول أمد، يزيده طلوع الشمس شداً، وظلام الليل مداً، وإن عبد المطلب ومن معه ورجال خزاعة متكافئون، متضافرون، متعاونون ... على عبد المطلب النصرة لهم بمن تابعه على كل طالب، وعلى خزاعة النصرة لعبد المطلب وولده ومن معهم على جميع العرب في شرق أو غرب أو حزن أو سهل، وجعلوا الله على ذلك كفيلاً، وكفى به حميلاً.

بنو بكر وَخُزَاعَة

إسلام أبي سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء

بنو بكر وما يغني الملام تلظى البأس وانتفض الحسام
ذمام صادق ودم حرام وعزُّ من خزاعة لا يُرام
يقوم عليه حام لا ينام
أعانكم الألى نبذوا الوفاء وراح القوم يمشون الضراء
وما تخفى جريرة من أساء سيوف محمد جعلت جزاء
فما البغي الذميم وما العرام؟
قتلتم من خزاعة بالوتير رجالاً ما أتاها من نذير
لبئس الغدر من خلق نكير ويا للناس للحدث الكبير
أكان محمد ممن يضام؟
أتوه ينشدون الحلف وفداً تهدُّ شكاته الأحرار هداً
فقال لهم نصرتهم واستعداً وراح يسوقه للحرب جندا
تظله الملائكة الكرام
أبا سفيان ذلك ما تراه هو البأس المصمم لا سواه
أليس الحلف قد وهنت عراه فكيف تشد بعدئذ قواه؟
أبا سفيان ليس لكم ذمام

كتمت الحق تطمع في المحال فما بال الثقات من الرجال؟
فتحتم بالأذى باب القتال فما دون اللقاء سوى ليال
ويفتح مكة الجيش اللهم
دع الأرحام ليس لكم شفيع لقد حاولت ما لا تستطيع
رويدك إنه الرأي الجميع وإن الله ليس له قريع
تعالى جدّه وسما المقام
رجعت وأزعجتك الحادثات فسرت تقول هل قدم الغزاة؟
نعم قدم الميامين الهداة وتلك جيادهم والمرهفات
فدع دين الغواة وقل سلام
أبا سفيان هل أبصرت نارا كنار القوم إذ باتوا سهارى
أبت وأبوا فما تألو استعارا ولا تُحصى وإن عُدت مرارا
هو الفزع المؤجج لا الضرام
لقد أنذرت قومك فاستطاروا وراحوا ما يقرّ لهم قرار
نبت بهم المنازل والديار وضاق سبيلهم فيها فحاروا
وقال سراتهم خطب جسام
فدعهم يا ابن حرب تلقّ رشدا وبالحق اعتصم فالحق أجدى
سبيل محمد فاسلكه أهدى وخذه يا ابن حرب منه عهدا
لبيتك فيه من شرف دعام
مع العباس سرت إلى الرسول لأعظم مطلب وأجل سول
لدين الله دين ذوي العقول من النفر المساميح العدول
صدقتك ليس كالنور الظلام
لقيت محمداً حرّاً رشيدا فعدت بيمينه خلقاً جديدا
هُديت وكنت جباراً عنيدا هنيئاً فاصحب الجدّ السعيدا
بما أولاك صاحبك الهمام
أصبت الخير أجمع والرشادا على يده ونلت به المرادا
أفادك يا ابن حرب ما أفادا فبارك فيك ربك ثم زاد
وعند الله يلتمس التمام

نظرت فهل رأيت أشدَّ صبراً وأحسن منظرًا وأجلَّ قدراً؟
كتائب من جنود الله تترى تمرُّ عليك واحدة فأخرى
لها من دينها العالي نظام
تُكَبِّرُ ربها وتراه حقًّا وتبذل فيه أنفسها فتبقى
لك البشرى نعمتٌ وكنت تشقى فماذا من أيادي الله تلقى؟
لقد جلَّتْ فليس لها انصرام
لنعم الصاحبان الناجيان على طول التردُّد والتواني
حكيم وابن ورقاء اللذان أراد الله فيما يبغيان
فليس بغير سنته اعتصام
كلا الرجلين غطريف كريم له في قومه حسب قديم
زعيم جاء يصحبه زعيم كذلك يظهر الدين العظيم
فتعرفه الغطارفة العظام
مضى لك يا حكيم ولابن حرب قضاء زاد حبًّا كُلَّ قلب
ومن أولى من الهادي بحب؟ وأجدر من عشيرته بقرب؟
قريش قومه وهو الإمام
إذا جعلت قلوب الناس تهفو فمن بيتيكما حرز وكهف
وعندكما ظلال الأمن تضافو وورد العيش للوراد يصفو
هما البيتان كلُّهما حرام
وفي حرم اللواء لكل نفس تلوذ به كفاية كل بأس
يراه سراة مكة فوق رأس لميمون النقيبة غير نكس
من النفر الألى صلوا وصاموا
لواء أبي رويحة ما أعزًّا لواء قام للإيمان رمزا
يهزُّ قلوب أهل الشرك هزًّا ويترك بأسهم ضعفاً وعجزا
فمن للقوم إن وقع الصدام؟

وقعة الفتح الأعظم

جعل النبي ﷺ لواء المهاجرين مع الزبير بن العوام، وأمره أن يدخل مكة من كداء، وأن يركز رايته بالحجون، ثم يمكث عندها لا يبرح حتى يأتيه، وبعث خالد بن الوليد في كتائب من قضاة وسلم وأسلم وغفار ومزينة وجهينة وغيرهم، وأمره أن يدخل من أسفل مكة، وقد تجمع بها ناس من بني بكر وبني الحارث بن عبد مناف، وناس من هذيل، فقاتلوا خالدًا ومنعوه الدخول، وشهروا السلاح ورموه بالنبل، وقالوا: لا تدخلها عنوة، فقاتلهم وانهزموا.

واشتد الأمر بمكة، فصاح حكيم بن حزام وأبو سفيان: يا معشر قريش على م تقتلون أنفسكم؟ من دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل داره فهو آمن، ومن وضع السلاح فهو آمن، فجعلوا يقتحمون الدور ويغلقون أبوابها، ويطرحون السلاح في الطرق فيأخذه المسلمون، وقد أيد الله رسوله وأدخله مكة فائزًا منصورًا.

فما احتيالك في الطود الذي رجفا؟
لما مشى نحوه الطود الذي زحفا
لدها جبل الإسلام أو نسفا
زاد السيوف به في عزها شرفا
فلا أذى يتقي منه ولا جنفا
ولا يرى دونها معدى ومنصرفا
أنواره تصدع العهد الذي سلفا
على الحقائق إلا انجاب وانكشفا

ديار مكة هذا خالد دلفا
طود من الشرك خانتة جوانبه
إن الجبال التي في الأرض لو كفرت
لما دعاه بسيف الله سيده
ديار مكة أمّا من يسالمة
تلك الوصية ما يرضى بها بدلا
لا تجزعي إنه العهد الذي انبعثت
ليل الأباطيل ما التفت غياهبه

هَنَّ المنايا فيا للقوم من بطل	رُمُوا به حية من حية خلفا
ضاقوا بسعد فقالوا قائد حنق	لو جاوز الحد بعد الحد ما وقفوا
واستصرخوا من رسول الله ذا حذب	إذا استغاث به مستصرخ عطفوا
هَبَّتْ إلى الشر من جهالهم فئة	لم تألُ من جهلها بغياً ولا صلفا
واستنفرت من قریش كل ذي نزق	إذا يشار إليه بالبنان هفا
فخاضها خالد شعواء كالحة	إذا جرى الهول في أرجائها عصفا
رمى بها مهج الكفار فاستبقت	تلقي البوار وتشكو الحين والتلفا
وقال قائلهم أسرفت من بطل	ما كان أحسنه لو جانب السرفا
وهاج هم أبي سفيان ما وجدوا	فراح يشفع فيهم جازعاً أسفا
فلان قلب رسول الله مرحمة	ورق من شدة البطش الذي وصفا
وقال سر يا رسولي فأنه صاحبا	عن القتال فحسبي من جنى وكفى

* * *

مضى الرسول يقول اقتل فهيجهما	مشبوبة هتفت بالويل إذ هتفا
وعاد والدم في آثاره سرب	والقوم من خلفه يدعون وا لهفا
قال النبي ألم تذكر مقاتلنا	لخالد؟ أعصيت الأمر أم صدفا؟
فقال بوركت إن الله حرفها	وما تغير لي رأي ولا انحرفا
سبحانه إن أمر الناس في يده	لا يعرف المرء من خافيه ما عرفا

* * *

لا يجزع القوم إن السيف مرتدع	عمًا قليل وإن النصر قد أزفا
لم يرفعوا الصوت حتى لاح بارقه	تحت العجاجة يجلو ضوءه السدفا
هذا الزبير ترامى في كتائبه	كالسيل لا تمسك الأسداد ما جرفا
يلقى كداء به والخيل راكضة	ما قال حسان من قبلي وما ازدهفا

* * *

الله أكبر جاء الفتح وابتهجت	للمؤمنين نفوس سرها وشفى
مشى النبي يحف النصر موكبه	مشيعًا بجلال الله مكتنفا

ردفًا فكان أعزَّ الناس مرتدفا
مغنى بمكة إلا اهتزَّ أو وجفا
أركانها خف يلقي ركبها شغفا
فلم يدع فيه للكفار مزدلفا
أن الهوان على أصنامهم عكفا
حمى فلا شممًا أبدت ولا أنفا
وبات ما ردها بالخزي ملتحفًا
كأنها لم تكن إذ أصبحت كسفا
وريع منها الخزاعي الذي قذفا
من بعد ما أفزع الأجيال مشترفا
هل غور الدمع في عينيه أم ذرفا؟
طول المدى مثعب في جوفه نزفا
يعاف باطله من عاف أو عزفا
زال العمى واستحال الأمر فاختلفا
في دهرها فعفت أيامها وعفا
أرعى على الناس من ظلماته سجفا
ذوو قرابته قد عاد فانتصفا
ولو يشاء إذن لاشتدَّ أو عنفا
إذا تملك أعناق الجناة عفا
عليك نعمى ترامى ظلها وضفا
والله إن وعد الرسل الكرام وفى
واذكر به ذلك الميثاق والحلفا
من كان بالكفر من غيِّ الهوى كلفا
من كان يضرب في العمياء معتسفا
وكان في القيد إن رام الخطى رسفا
ما امتاح من مثلها يومًا ولا اغترفا
مما جنى الكفر قبل الفتح واقترفا

أضحى أسامة من بين الصحاب له
لم يبقَ إذ سطعت أنوار غرته
تحرك البيت حتى لو تطاوعه
وافاه في صحبه من كل مزدلف
العاكفون على الأصنام أضحكهم
كانوا يظنون أن لا يستباح لها
نامت شياطينها عنها مذممة
هوت تفاريق وانقضت محطمة
ريعت شيوخ قريش من قذائفها
رأته ينحط من عليائه فزعا
وما درى هبل والطعن يأخذه
لو كان للدم يجري حوله دفعًا
رمى به الله يحمي البيت من عبث
لم يبق بالبيت أصنام ولا صور
للجاهلية رسم كان يعجبها
لا كنت يا زمن الأوهام من زمن
إن الشريد الذي قد كان يظلمه
ردَّ الظلامه في رفق وإن عنفوا
إن الرسول لسمح ذو مياسرة
شكرًا محمد إن الله أسبغها
وعد وفى لإمام المرسلين به
خذ المحصَّب إن وافيته نزلا
قد عاد يكلف بالإسلام من رشد
ثم استقام على البيضاء يسلكها
مشى طليقًا إلى غاياته مرحًا
يغشى موارد للإيمان صافية
عادوا طهارى فلم يعلق بهم وضُرُّ

دين السلام وأمسى الأمر مؤتلفا	تتابع القوم أفواجا فآمنهم
حتى ينال الذرى أو يبلغ الشعفا	كذلك الحق يعلو في مصاعده
فلن تريد سواه إن رمت هدفا	مرمى العقول إذا ما غرّها هدف
إن هوّم العقل عنه مرة فغفا	وما على الحق من بأس ولا حرج
أعلى لأمته الأركان والسقفا	إن الذي جعل الإسلام معقله
مجداً طريفاً وعزاً منه مؤتلفا	لم يرصّ ما نال من مجد فأورثه
منه القباب وصرح واهن خسفا	شتان ما بين صرح ثابت رُفِعَتْ

* * *

ماذا يقول لها الرعد الذي قصفا	لِتُنصت الأرض ولتسمع ممالكها
شيخ النبيين يبغي البر واللففا	شرائع الخير يلقيها محببة
فليتق الله منهم من قسا وجفا	الناس من آدمٍ والبغي مهلكة
دعوا المنابر والأقلام والصحفا	قل للألى خطبوا الأقوام أو كتبوا

العبّاسُ بنُ عبدِ المُطَّلَبِ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)

خرج العباس بأهله وعياله مهاجرًا إلى المدينة، فلقي النبي ﷺ بالجحفة وكان قد أمره بالإقامة بمكة ليكتب إليه أخبار قريش، واستأذنه في الهجرة فكتب إليه: «يا عماه، أقم مكانك الذي أنت فيه؛ فإن الله يختم بك الهجرة كما ختم بي النبوة»، وكان ينفع المستضعفين من المسلمين، وقد أعلن إسلامه يوم الفتح وكان يكتمه قبل ذلك، وكان أجود قريش كفاً، وأوصلها رحماً، ومن مناقبه أن عمر بن الخطاب كان يستسقي به في خلافته إذا قحط الناس فيسقون، وفي ذلك يقول عقيل بن أبي طالب:

عشية يستسقى بشيبتة عمر
فما حاد حتى جاد بالديمة المطر

بعمي سقى الله البلاد فأهلها
توجه بالعباس في الجذب داعياً

فذلك فضل الله أسداه وافرا
هنيئًا فهذا الركب وافاك زائرا
ولقيت عن قرب من السعد طائرا
فحيث ترى نور النبوة باهرا
لنفسك تشفي منك داء مخامرا
يعالج وجداً بين جنبيه ثائرا
فيرضى ويغضي الجفن في الله صابرا
فسلم وطب ما شئت نفساً وخاطرا

أبا الفضل أقبل وارفع الصوت شاكراً
أقمت تراعي الركب حرّان شيقاً
هنيئًا فقد أوتيت سؤلِكَ كله
إذا ما التمست الركب أين مكانه
أبا الفضل أقبل واقضها من لبانة
حبيب نأى يطوي السنين وذو هوى
ويلقى الأذى بعد الأذى في سبيله
لك الله يا عباس هذا محمد

أتى بعد ما جرّ السنين مهاجراً
رآك فقرّرت عينه وترافدت
لها عبق من رحمة الله لم يزل
يجرّ السرايا خلفه والعساكرا
تحياته تلقاك زهراً نواضرا
مكانكما منه إلى اليوم عاطرا

أقمت على المستضعفين بمكة
إذا فزعوا للظلم كنت لهم حمى
يظنك أهل الكفر منهم وإنما
شدت قوى الإسلام بين ربوعهم
وكننت له عيناً تظاهرها يد
تمدّ رسول الله بالكتب حقلاً
بريد إذا كف البريد من الونى
وكننت إذا استأذنت تبغي جواره
وقال انتظر يا عم إنك مرجأ
فبي ختم الله النبيين كلهم
وإنى لأرجو أن تكون بيثرب
تردّ الأذى عنهم وترعى الأواصرا
وإن أعوز الأنصار ألفوك ناصرا
أردت بهم أمراً وما كنت كافراً
وخادعتهم عنه فأصبح ظاهرا
تذيع خفاياهم وتبدي السرائرا
بأنبائهم تطوى الفجاج سوائر
مضى دائماً في شأنه متواترا
أبى وهواه أن يراك مجاورا
إلى موعد يأتي به الله آخر
وتممّ هاتيك العلى والمآثرا
بقية من يأتي إلينا مهاجرا

هو الله فانظر يا أبا الفضل ما قضى
تجلت دياجير الهموم دميمة
ألا رب يوم ذقت من سوء ما جنى
وليل كما احتاج الجبان مفزّع
كدأبك إذ قالوا أصيب محمد
فلما عرفت الحق أوفيت ناهضاً
وترسله حراً طليقاً وإنه
نهضت خفيف الجانبين ولم تكن
يسرّك ما سرّ الرسول وما يكن
هديت أبا سفيان ترحم نفسه
من اليسر بعد العسر بوركت ناظرا
وأضحت وجوه العيش بيضاً سوافرا
ذوو الشرك فيه ما يشق المرائرا
طويت دجاه كاسف البال ساهرا
وقد جاءهم بالزور من كان ساخرا
تقبّل من وافاك يُزجي البشائرا
لفي عزة تعيي النفوس الحرائرا
على مثلها من قبل ذلك قادرا
به من أذى ألفيته لك ضائرا
وتكره أن يبقى مدى الدهر حائرا

يَقْلُبُ لِلْحَرْبِ الرِّقَاقَ الْبَوَاتِرَا
وَلَوْلَاكَ لَمْ يَبْرَحْ عَنِ الْحَقِّ نَافِرَا
بِمَا لَكَ مِنْ فَضْلٍ لِمَنْ كَانَ ذَاكِرَا
إِلَى اللَّهِ تُحْيِيهِمْ وَتَرْجُو الْمَصَائِرَا
وَلَمْ يَنْتَزِعْ أَنْيَابُهَا وَالْأَظْفَارَا
جَرَتْ تَحْتَ أَعْلَامِ الْغَزَاةِ مَوَائِرَا
وَأَمْسَى الَّذِي اعْتَادَتْ مِنَ الْعِزِّ دَائِرَا
أَيَّادٍ يَرَاهَا الْمُسْلِمُونَ ذَخَائِرَا
يَقِيمُ بِجَدْوَاهِ الْجَدُودِ الْعَوَائِرَا
إِذَا فَزَعَتْ لِلْأَمْرِ تَخْشَى الدَّوَائِرَا
يَعْلَمُ سَادَاتُ الرِّجَالِ الْمَفَاخِرَا
وَلَايَةَ مَنْ يَعْطِي وَيَبْذُلُ كَابِرَا
كَمِثْلِ الَّذِي يَأْتِي الْخَمِيلَةَ هَاصِرَا
عَلَى سُنَّةٍ غَلَبَاءُ تُعْيِي الْمَكَاثِرَا
يَقِيمُ لَدَيْنَ اللَّهِ فِيهِ الشَّعَائِرَا
وَيَعْرِفُهُ مَجْدًا عَلَى الدَّهْرِ غَابِرَا
يُرِيدُ بِهَا دُنْيَا وَلَمْ تَوْتَ فَاجِرَا

وَجِئْتُ بِهِ وَالْجَنْدَ بِاللَّيْلِ رَاصِد
فَأَسْلَمَ يُرْضِي اللَّهَ مِنْ بَعْدِ نَفْرَةٍ
وَفِي ابْنِ حِزَامٍ وَابْنِ رِقَاءٍ شَاهِد
ثَلَاثَةَ أَقْطَابٍ صَرَفَتْ قُلُوبَهُمْ
وَلَوْ أَعْرَضُوا لَمْ يَرْدِعِ الْحَرْبَ رَادِع
حَقَنْتَ دِمَاءً لَوْ يُخْلَى سَبِيلُهَا
فَأَمْسَتْ قَرِيشٌ مَا لَهَا مِنْ بَقِيَّةٍ
بِيُْمْنِكَ يَا عَمَ الرُّسُولِ تَتَابَعَتْ
وَكُنْتُ أَمْرًا مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ مُحَسَّنًا
عَظِيمًا تَرْجِيهِ قَرِيشٌ لَمَّا بِهَا
وَإِنَّكَ إِذْ تَسْقِي الْحَجِيجَ لَسَيِّد
لِعُثْمَانَ مَا يَرْضَى وَمَا لَكَ غَيْرَهَا
وَلَيْسَ الَّتِي يَأْتِي الْخَمِيلَةَ غَارِسًا
حُرِمْتَ الرِّضَى إِنْ عَبَتْ عُثْمَانُ إِنَّهُ
لَهُ مِنْ عَطَاءِ اللَّهِ كَنْزٌ مُبَارَكٌ
يُضْنُ بِمِفْتَاحِ الْبَنِيَّةِ جِهْدُهُ
أَمَانَةٌ رَبِّ الْبَيْتِ لَمْ تَعْطُ خَائِنًا

ظَفَرْتُ بِهِ لَا زَالَ سَهْمُكَ ظَافِرَا
فَبِاسْمِكَ يَسْقِيهَا الْغِيُوثُ الْمَوَاطِرَا
مَنَاقِبُ ذَكَرَاهَا تَهْزُ الْمَنَابِرَا
عَلَى مَا عَنَانِي لَمْ أَجِدْ لِي عَاذِرَا
سَبِيلَكَ إِنْ أَضَلَلْتَ فِي النَّاسِ شَاعِرَا
وَأَدْرَكَ مِنْهُ مَا طَوَى الدَّهْرُ نَاشِرَا

أَبَا الْفَضْلِ هَذَا مَا أَحَبُّ مُحَمَّد
إِذَا أَظْمَأَ اللَّهُ الْبِلَادَ وَأَهْلَهَا
لِعَمْرِي لَقَدْ غَادَرْتُ غَيْرَ مَنَازِعَ
صَدَقْتُكَ إِنِّي لَوْ تَنَاسَيْتُ حَقَّهَا
أَعْنِي بَرُوحُ مِنْكَ يَا رَبِّ وَاهِدِنِي
دَعْوَتَكَ لِلْإِسْلَامِ أُمْسِكُ مَجْدَهُ

إسلام هند بنت عتبة زوج أبي سفيان

لما فرغ النبي ﷺ من مبايعة الرجال تقدم إليه النساء يبایعنه، وفيهن هند بنت عتبة زوج أبي سفيان، وكان قد أهدر دمها؛ لأنها مثلت بعمه حمزة (رضي الله عنه) يوم أحد، ولاكت كبده، ولم تقدر على ابتلاعها فلفظتها، واتخذت القلائد من جلده؛ لأنه قتل أباه يوم بدر. تقدمت إلى الرسول الكريم منتقبة خوفاً منه فعرفها، وقالت له: اعفُ عما سلف، عفا الله عنك يا نبي الله، ثم بايعته، ومما يؤثر عنها أنه لما قال: «ولا تزنين»، قالت: أوتزني الحرة يا رسول الله؟!

أن الذي يهدي النفوس هداك
تخفين نفسك والنبي يراك
لا تخجلي فالله قد عافاك
وغلست من تلك الجريمة فاك
فأبت عليك لعلها تنساک
في بهجة الفتح المبين حلاك
فخذي عن الشيخ الجليل أذاك
وبلغت في سوء الصنيع مداك
لجری الدم المسفوك من جرّاک
من أن يهابك أو يهاب أباک
يا بنت عتبة من أب يرباك
ما قدّمت عند الرسول يداك

يا هند حسبك مغنماً وكفاك
أقبلت تُرخين القناع حيّة
أولستِ هندياً؟ قلت في خجل بلى
داويت بالإسلام قلبك فاشتفى
لا تذكر الكبد التي مارستها
ودعي قلائد يوم بدر والبسي
أخذ الهدى بك في سبيل محمد
ما كان بالمفتون حين شتمته
قلتِ اقتلوه ولو أطاعك جمعهم
يا هند إن الحق أعظم صولة
ما مثله إن رُميت في الدنيا أباً
من قدّم الدنيا فليس ببالغ

فيم اعتذارك والهدية سمحة
بايعت أهدى العالمين طريقة
ينسى الإساءة وهي جرح بالغ
مهما تنله المحفظات من الألى
أعجبت إذ ذكر الفواحش هادياً
إن تعجبي للعرض يبذل هيئاً
عرض الحرائر ما علمت وإنما
يحفظنه ويددن عن ممنوعه
تأبى التي منهن يقتلها الطوى
وتصدّ معرضة تضنّ بنفسها
عار الزنا يُخزي الوجوه وشره
يا هند إن الله أمضى حكمه
أوتيت زادك من تقى وهداية

وهواك في تقوى الإله هواك
ورضيت منه مهذباً يرضاك
ويعوذ بالخلق الكريم الزاكي
جهلوا فليس بعاتب أو شاك
فنهى اللواتي جئنها ونهاك؟
وهو الحياة بأسرها فكذاك
يرضى سواهن الزنا وسواك
شهوات كل مخادع فتاك
أن يشتري بذخائر الأملاك
ولو أن مضجعها ذرى الأفلاك
يرمي البلاد وأهلها بهلاك
فكفاك سوء عذابه ووقاك
فتزوّدي سبحان من نجاك

إسلام عثمان أبي قحافة والد أبي بكر الصديق (رضي الله عنهما)

لما خرج رسول الله ﷺ من الكعبة وجلس في المسجد والناس حوله، ذهب أبو بكر (رضي الله عنه) وجاء بأبيه عثمان — ويكنى بأبي قحافة — يقوده وقد كف بصره، فلما رآه قال لأبي بكر: «هلاً تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية؟»، قال أبو بكر: يا رسول الله، هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي أنت إليه، ثم أجلسه بين يديه الشريفتين فمسح صدره وقال: «أسلم تسلم»، ففعل، وهنا النبي أبا بكر بإسلامه فقال: والذي بعثك بالحق لإسلام أبي طالب كان أقر لعيني من إسلامه.

هي للنبي إذا رمى أعلى يد
يهديه إن الألمعي ليهدي
وتركته في داره لم يجهد؟
وأجله شيخاً كريم المشهد
سيقّت إليك من النبي محمد
كفروا بالهة كأن لم تُعبد
من رگع بيض الجباه وسجد
وردوا حياض الموت عذب المورد
نادى رسول الله أيكم الصد؟
فيمَن ولدت أبا قحافة فاسعد

شيخ يقاد إلى النبي على يد
هذا أبو بكر يقدّم شيخه
قال النبي ألا رثيت لضعفه
لو لم يجئ لمشيئ أشهد أمره
يا والد الصديق خذها نعمة
ما كنت بالمصروف عن دين الألى
العاكفين على شرائع ربهم
الظالمين إلى الجهاد فإن دُعوا
يتهافتون على جوانبها إذا
من كان يسعد في الرجال بوالد

من سؤدد الصديق أن زمانه	لو لم يلده لكان خصم السؤدد
الحاضن الإسلام يجعل صدره	كهفًا يقيه أذى العدو المفسد
يعطيه مهجته وصفوة ماله	ويكون للحدث الجليل بمرصد
قال النبيّ اهناً فقال وددتها	كانت لعمك ذي الفعال الأمجد
هذا هو الإيثار فاعجب واعتبر	وأعد على الدهر الحديث وردّد

كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ وَأَخُوهُ بُجَيْرٌ (رضي الله عنهما)

هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني، أحد أصحاب المعلقات، كان يرعى غنمًا مع أخيه بجير، وكان يهجو النبي ﷺ، قال له بجير: اثبت أنت في غنمنا ودعني أذهب إلى محمد فأسمع كلامه وأعرف ما عنده، وجاءه بالمدينة فهداه الله للإسلام، وبعث إلى كعب يخبره بذلك، ويدعوه لمثل ما فعل، فأجابه كعب على رسالته لائتمًا، وكان الرسول الكريم قد أهدر دم كعب لما قال فيه، فأقام يغالب نفسه ثم قدم فأسلم، وقال قصيدته المشهورة: بانث سعاد.

بجير كيف يخطئك السداد	ويجنح ضلَّةً منك القياد؟
ألا إن اللبيب لذو صلاح	إذا ما الرأي خالطه الفساد
تركت أخاك تنشده مرادًا	لنفسك صالحًا نعم المراد
تقول له أنبقى في ظنون؟	تذود البيِّنات ولا تذاذ؟
فدعني وانتظر يا كعب إني	لأخشى أن يطيح بنا العناد
أجيء محمدًا فأرى أغني	يراد بمن يليه أم رشاد؟

* * *

أتى فرأى اليقين له جلاء	فطابت نفسه وصفا الفؤاد
وأسلم لا يرى لله ندًا	تدين له الخلائق والعباد
وأنفذه إلى كعب كتابًا	كأن سطورهِ البيض الحداد

دعاه إليه يكره أن يراه كمن صدفوا عن المثلى وحادوا
وقال لئن أبيت فلا تلمني إذا أخذتك داهية نئاد
رميت محمداً فلأنت صيد له يا كعب والرامي يصاد
إذا لم تأتنا فإذهب بعيداً عسى منجى يُغيثك أو مصاد

* * *

أتاه نذيره فعناه همٌّ وطال الليل وامتنع الرقاد
إذا التمس القرار أبى عليه وغال قواه زعر وارتعاد
يظن الأرض ترجف أو تنزى فما ترسو الجبال ولا الوهاد
وأرسل يا بجير صبأت لماً سقاك بكأسه السمح الجواد
أدين أبيك تترك يا بجير ولا دين سواه ولا اعتقاد؟

* * *

وساوس ذاهل يغشاه رعب فيورثه جنوناً أو يكاد
فلما ضاقت الدنيا عليه وهدت ركنه الكرب الشداد
أتى يبغي الأمان لدى كريم يرجي الخير منه ويستفاد
تدارك نفسه منه بعفو فعادت حين لا يرجى معاد
ولأن بمعقل الإسلام كعب فلا ركن يميل ولا عماد

* * *

هلم فلاقه يا كعب رزقاً من الرضوان ليس له نفاذ
لنعم الزرع زرعك حين تبغي جناه وحين يدركه الحصاد
لقيت كرامة وسعدت جداً فغنّ إذن وقل بانث سعاد
وخذها بردة للشعر فيها طريف العز والمجد التلاد

غَزْوَةُ حُنَيْنٍ

لما فُتحت مكة اجتمع أشراف هوازن وثقيف يقولون: قد فرغ لنا محمد، فالرأي أن نغزوه نحن قبل أن يغزونا، وجعلوا أمرهم إلى مالك بن عوف — أسلم بعد ذلك — على أن يرجع فيما يريد إلى دريد بن الصمة لسنه وتجربته، وكان عدد جيشهم ثلاثين ألفاً — خرجوا بالنساء والأولاد والمواشي، وكان خروج النبي ﷺ من مكة إلى هذه الغزوة يوم السبت سادس شوال من السنة الثامنة في اثني عشر ألفاً، وبعد أن رتبَّ الجيش أعطى الرايات إلى علي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وعمر بن الخطاب، والحباب بن المنذر، وأسيد بن حضير، وقد اشتد القتال في هذه الغزوة، فراجع المسلمون، ثم نصرهم الله.

مهلاً هوازن أين أين المذهب؟
وعماية الأوهام ما لا يُركب
كفو ولا منه لباغٍ مهرب
فبدار إننا معشر لا نغلب
نشواتها فردوا الموارد واشربوا
فانهار كاهله وخرَّ المنكب
شيخ تساس به الأمور مجرَّب
ويريه ما يأتي وما يتجنَّب
لا يرتضون سوى الجهاد مخيَّب
ودعوا البنين بكل أرض تدأب

لمن الجموع كثيرة تتألب؟
مهلاً ثقيف ركبت من غيِّ الهوى
مهلاً بغاة السوء ما لمحمد
قلتم قضى حاجاته وخلا لنا
وبعثتموها ظالمين تهزُّكم
حمل ابن عوف في الكريهة أمركم
ولقد دهاكم من دريد أنه
فسألتموه الرأي يعصم مالكا
هيهات كلُّ الرأي إن غضب الألى
سوقوا النساء وجنّدوا أنعامكم

وإذا الحديث الحق جاء كبيركم
شتم الألى صدقوه ألا يدعوا
فالنزور أولى والحماقة أوجب
ما لم يروا شططاً وألا يكذبوا
فالأمر فوضى والصواب مغيب
ورمى بهم في الحبس خوف حديثهم

* * *

اغضب دريد أو ارض لست كمالك
ملك القياد فلا مرداً لأمره
في القوم إذا يرضى وإن يتغضب
ولسوف يهلك من يقود ويجنب
لكبيرة بل أنت ويحك تلعب
من قبل قومك من يخاف ويُرهب؟
لم تُغن عنه كتيبة أو مقنب
فلئن عجبت لما أصابك أعجب
وطني أنك إن لقيت جنوده
إن الذي حدثت قومك جاءه

* * *

هو ملتقى الجيشين فانظر هل ترى
ولع الرماة بهم فتلك سهامهم
قوماً تظل عيونهم تتلهب؟
ملء القسي إلى النحر تصوب
فكأنها بدم الرماة تُخضب
تُدعى فتستل السيوف وتضرب
كرهوا السيوف وللوعى أبطالها

* * *

حيدوا جنود الله ثم تقدّموا
أنّا ترد عن الفريسة نابها
فالحرب في أطوارها تتقلب
تبغي مقاتلتها وأنّا تنشب
ينهل صيِّبه وآخر خلَّب
إن بان من غيب الأمور محجب
حذراً وتكتم ما تريد وتطلب
شيخ الوعى وأبو الثقات المنجب
تُزجي رواعدها البروق فصادق
غَرَّارة يشقى الغبي بكيدها
تُبدي من الحاجات مالا تبتغي
علم توارثه الثقات وزاده

* * *

حمي الوطيس أجل تبارك ربنا
هذي كتائبه عليك تنزلت
فافزع إليه هو الغياث الأقرب
ومضت إلى أعدائه تتوثب

بصروا بها فتزايلت أوصالهم
هم في حنين يا محمد مثلهم
مدد السماء أعدّه لك منجد
سبحانه ما من إله غيره

رعبًا وضاق سبيلهم والمذهب
في يوم بدر صدعهم ما يرأب
لا جنده يفنى ولا هو يتعب
لو يستقيم الجاهل المتنكب

يا مولعًا بالحرب يستقصي المدى
سل بغلةً حملت رسول الله هل
طاروا عليها مدبرين ولم يطر
بطل يرى موج المنايا حوله
تجري ظنون القوم في حركاته
كل امرئ يأتي الأمور عظيمة
ما العبقرية في مراتبها العلى؟
متألق من لم يسر في نوره
أين الألى ملأ الفضاء سوادهم
غنموا الفرار فما يرى من بعدهم
خير أتيح ونعمة مشكورة
راحت بأيدي المسلمين وإنهم
تُقضى الديون بها فلا ابن أمية
ويقام دين الله في القوم الألى

في وصفها منه البيان المسهب
حمدت فوارسها العتائق الشرب؟
ومضوا فلولاً وهو رأس يرقب
فعزيمة تطفو وقلب يرسب
فيفوت غاية من يظن ويحسب
فإليه في الدنيا العريضة ينسب
هو في سماء العبقرية كوكب
أودى الظلام به وطاح الغيهب
وأضلّهم ساداتهم فتحزّبوا؟
إلا المغانم تستباح وتنهب
سيقت على قدر ورزق طيب
لأحق من يُعطى الجزيل ويوهب
يشكو المطال ولا حويطب يعتب
فتنوا بأصنام تقام وتنصب

قتلى هوازن هل تفجّع مالك
قم يا دريد فقل لقومك خطبة
انظر إلى الأسرى وسلهم ما لهم
ويح النساء ومن ولدن ألا فتى
إسمع دريد فقد أهاب محمد
لا تقتلوا الأولاد ما فيهم لنا

ومضى لمصرعكم ينوح ويندب؟
تجلو الهموم فقد عهدتك تخطب
نكبوا وكان الظن ألا ينكبوا
يحمي الزمار؟ ألا كمي محرب
يحنو على النشاء الضعيف ويحدب
خصم ولا منهم أثيم مذنب

أَسْخَرْتَ بِالْبَطْلِ الصَّغِيرِ فَهَلْ نَجَا
أَعْطَاكَ سَوْءُكَ مَا تَرَدَّدَ سَيْفُهُ
مَنْهُ بِمَهْجَتِهِ الْكَبِيرِ الْأَشْيَبِ
وَلَأَنْتَ سَوْءُ غَرَارِهِ وَالْمَارِبِ
فَلْصَدْرُهَا لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَرْحَبُ
شَيْخٌ لَهُ فَضْلٌ يُعَدُّ وَمَنْصَبُ
قَالَتْ أَتَقْتُلُهُ رَبِيعَةً؟ إِنَّهُ

* * *

مَا بِالْ سَيْفِ اللَّهِ؟ أَيْنَ مَكَانُهُ؟
سَأَلَ النَّبِيَّ فَقِيلَ عِنْدَ جِرَاحِهِ
فَمَشَى إِلَيْهِ يَعُودُهُ فِي مَوَكِبِ
بُورَكَتِ خَالِدٍ مَا رَأَتْ عَيْنٌ دَمًا
قَمَ فِي جِرَاحِكَ إِنَّهَا لَكَ قُوَّةُ
قَمَ لِلشَّدَائِدِ مَا تَلِينَ صُلَابُهَا
لَكَ هِمَّةٌ مَا تَسْتَطَاعُ وَنَجْدَةٌ
مَنْ يَجْهَلُ الرَّئِبَالَ يَنْفُذُ نَابُهُ
أَيَغِيبُ عَنِ نَظَرِ النَّبِيِّ وَيَعْزَبُ؟
لَوْ يَسْتَطِيعُ أَتَى يَهْشُ وَيَطْرَبُ
لِلَّهِ فِيهِ مِنَ الْمَلَائِكِ مَوَكِبُ
كَدَمٍ جَرَى مِنْ خَالِدٍ يَتَصَبَّبُ
تَدْعُ الْقَوَاضِبُ وَهِيَ حَيْرَى هُيِّبُ
فَلَأَنْتَ صَاحِبُهَا الْأَشَدُّ الْأَصْلَبُ
مَذْخُورَةٌ لِلْأَمْرِ سَاعَةٌ يَحْزَبُ
فِي كُلِّ مَقْتَنَصٍ وَيَمْضِي الْمَخْلَبُ؟

* * *

إِشْهَدُ حَنِينَ بَمَا رَأَيْتَ وَلَا تَخَفْ
حَدَّثْتُ عَنْكَ وَقُلْتُ يَا أَرْضَ اسْمَعِي
مَاذَا أَقُولُ؟ أَنَا الْعِيَّى وَإِنْ جَرَى
خَصَمًا يَنْزَاعُ أَوْ عَدُوًّا يَشْغَبُ
فَاهْتَزَّ مَشْرِقُهَا وَمَا جَ الْمَغْرَبُ
قَلَمِي بِأَبْلَغِ مَا يُقَالُ وَيُكْتَبُ

الْأَنْصَارُ يَكُونُ

جاء النبي ﷺ بعد فتح مكة إلى الصفا، وجعل ينظر إلى البيت، ثم رفع يديه يدعو الله بما أراد، والأنصار حوله، فقال بعضهم لبعض: إنه يحن إلى قريته وعشيرته، وظنوا أنه سيقوم بمكة، فجزعوا لذلك وبكوا، وعلم الرسول الكريم بأمرهم، فقال لهم: «هاجرت إلى الله وإليكم، فالمحيا محياكم والممات مماتكم»، ففرحوا بذلك وطابت نفوسهم.

ما للدموع على التظنُّ تذرف؟	الجار وافٍ والهوى متألّف
لا تنكروا حبَّ النبي لآله	ودياره الأولى ولا تتأسفوا
أحسبتموه يزيد عنكم مصرفاً؟	مهلاً فليس عن الأحبّة مصرف
لَمَّا فزعتم قال يا قوم اسكنوا	هي يثرب ما دونها مُتخلف
دار الحياة ومنزل الموت الذي	ما لي سواه فإن جهلتم فاعرفوا

* * *

فرحوا وأشرقت الوجوه فما ترى	عيناً تفيض ولا فؤاداً يرجف
صدقوا نبيّهم الهوى فقلوبهم	من حوله شغفاً ترف وتعطف
أنصاره في الحادثات إذا طغت	وجنوده في الحرب ساعة تعصف
هم أنصفوه مشرداً يجد الأذى	من كل ذي جبريّة لا يُنصف
وتكنّفوه يعظّمون مكانه	وذوو قرابته تصدّ وتصدف
ما عزّ منزلٌ قادمٍ أو زائر	إلا ومنزله أعزّ وأشرف
شدّوا عرى الإسلام حتى استحكمت	ولوى السواعد حبله المستحصف

كانوا أساس بنائه وعماده	والأرض تُخسف والشوامخ تُنسف
انظر بناء الله حول رسوله	وصف الذرى إن كنَّ مما يوصف
في كل سور منه جند يرتمي	يغزو الألى كفروا وموت يزحف
صَبُّوا على المستضعفين نكالهم	وجرى القضاء فهم أذلُّ وأضعف

* * *

يا معشر الأنصار ما من صالح	إلا لكم فيه يد أو موقف
لكم المواقف ما يذاع حديثها	إلا يهلُّ بها الزمان ويهتف
لا الشعر متَّهمٌ إذا بلغ المدى	يُطري مناقبكم ولا أنا مسرف
أوما كفاكم ما يقول إلهكم	في مدحكم ويضمُّ منه المصحف؟

هَدَمُ الْعَزَّى وَسُوعَ وَمَنَاةَ

كانت هذه الأصنام الثلاثة أعظم أصنام قريش بموضع يقال له «نخلة» على ليلة من مكة، وكان عمرو بن لحي قال لهم: إن الرب يشتي عند اللات ويصيف عند العزى، فعظموها وبنوا لها بيتاً يهدون إليه كما يهدون إلى الكعبة، ويطوفون وينحرون عنده. بعث النبي ﷺ بعد الفتح، وهو ما يزال بمكة، خالد بن الوليد مع بعض أصحابه لهدم العزى، وعمرو بن العاص ومعه طائفة أخرى لهدم سواع، وسعد بن زيد لهدم مناة، فهدموها، وعادوا مأجورين.

وإنَّ على يدك لمننتهاها	إلى العزَّى فقد بلغت مداها
أقيم على جوانبها سفاهها	أزلها خالدٌ واهدم بناء
بها من دون خالقهم إلها	بناه الجاهلون لها ودانوا
تظلُّ دماؤها تسقي ثراها	مذمَّمة تساق لها الهدايا
أزال؟ وأيُّ داهية رماها	رماها ابن الوليد فأَيُّ شرٍّ
أفاد دعاؤه لما دعاها؟	وأيْن غرور سادنها؟ وماذا
من الهون المبرِّح ما دهاها	أجلُ يا ابن الوليد لقد دهاها
يذلُّ من الطواغيت الجباها	ويا عمرو اتخذ لسواع باساً
ألحَّ ضلالها وطغى هواها	وينتزع الغواية من نفوس
هذيل بعدما قضت صباها	هدمت ضلالة شابت عليها
فقل لسواعَ دهرك قد تناهى	تطاولت القرون وما تناهت
يسائل نفسه ماذا عراها؟	رآه وليُّه كذباً فولَّى

وقال شهدت أن الله حقُّ وأنَّ النفس ينفعها هداها
جعلت محمداً سببي فإني أرى أسبابه شُدَّتْ عراها

* * *

مناة مناة ما لك من بقاء وأيُّ شقيّة بلغت منهاها؟
رماك الله من زيد بن سعد بمن ترمي الجبال له ذراها
أما نفضتْكِ من خوف وذعر عرانيين المشلّل إذ لواها؟
تبارك هادم الأصنام إني أرى الأصنام تهدم من بناها
تُضِلُّ العالمين وقد أتاها كتاب الله ينذرهم أذاها
وما للنفس تؤثر أن تُحلّى سوى الإيمان يلبسها حلاها

أم سليم زوج أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري (رضي الله عنهما)

كانت (رضي الله عنها) حازمة وسطها ببرد لها، وفي حزامها خنجر، وكانت حاملاً بابنها عبد الله بن أبي طلحة، فقال لها زوجها: ما هذا الخنجر الذي معك؟ قالت: إن دنا مني أحد من المشركين بعجته به، فقال أبو طلحة: ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم؟ وأعاد عليه القول، فجعل عليه الصلاة والسلام يضحك، قالت له: بأبي أنت وأمي، أقتل هؤلاء الذين انهزموا عنك فإنهم لذلك أهل؟ فقال (صلوات الله وسلامه عليه): «إن الله قد كفى وأحسن».

وهل يأمن الإسلام أن يغدر الكفر؟
أذى كل عاٍ من خلأقه الغدر
إذا رامني بالسوء واستوعر الأمر
وتدراً عنها الشر إن هاجها الشر؟
فيفرح من رجع الحديث ويفتر
لها نخوة من ذاتها وبها كبر
تولّوا فلا بأس شديد ولا صبر؟
وترمي بك الأبطال والنقع مغبر؟
كأأم سليم حرة حازها حر
مغانمهم شتى وأسلاهم كثر؟
تلقاك منه في مطار الردى الصدر

لأمّ سليم يا أبا طلحة العذر
سألت فقالت خنجري أتقي به
أشق به في حومة الحرب بطنه
أتعجب منها كيف تحمي ذمارها
وتدعو رسول الله هل أنت سامع؟
نعم أنت تحميها ولكن نفسها
ألم تر إذ قالت أقتل معشراً
وماذا عليها حين تكفيك أمرها
أرادتك للأمر الجليل ولن ترى
ألم تنتظم بالسيف عشرين فارساً
إذا طار منهم مدبر يتقي الردى

تخوض الدم المسفوك لا جسر دونه	وما لك كالإيمان في مثله جسر
أبا طلحة اسمع ما يقول ابن حرة	إليه سرى من صفحتي جاره البشر
يقول اطعني أماه من شئت وانصري	ببأسك ديناً من كتائبه النصر
فحييت عبد الله ما أنت كالذي	يرى السيف مقروباً فيأخذه الذعر
كلا أبويك استن سنة ماجد	فطبت وطابا لا خفاء ولا نكر
إذا التمس الإسلام في كل حادث	يضيق به نخرًا فأنت له نخر

قُدُومُ هَوَازِنَ وَرَدُّ سَبِيهَا عَلَيْهَا

تربص النبي ﷺ بضع عشرة ليلة ينتظر قدوم هوازن، فقدموا مسلمين، وكان قد قَسَمَ أموالهم وسباياهم على أصحابه، فلما سألوه إياها أخبرهم بما فعل، وخبرهم بين الأموال والسبي، فاخترأوا الثاني، وكلم النبي المسلمين في ذلك فردوا ما كان معهم من هذا السبي، ثم إنه ﷺ سأل هوازن عن رئيسهم مالك بن عوف النصري: أين هو؟ قالوا: مع ثقيف بالطائف، فقال: «لو جاءني مسلمًا لرددت عليه أهله وماله، وأعطيته مئة من الإبل» فأخبروه، فجاء وأسلم، ووفى له الرسول الكريم بما وعد.

هوازن أقبلي ماذا التواني؟	أدين العز أم دين الهوان؟
خذي السبي الموزع واشكريها	يدًا لمهذب جم الحنان
دعا أصحابه بلسان صدق	إلى الحسنى فيا لك من لسان
أجابوا منعمين ولم يضمنوا	بما ملكوا من البيض الحسان
وقال محمد أين ابن عوف؟	سيحمد منتواه إذا أتاني
له إن أثر الإسلام دينًا	عطاء لا تجاوزه الأماني
يعود بأهله ويزاد مالا	على مال من الإبل الهجان
فأقبل مسلمًا ومضى بخير	جميل الذكر محمود المكان

* * *

حليمة أنت والشيماء أم	وأخت فانظرا ما تصنعان؟
أما لكم الكرامة عند مولى	كريم العهد مؤف بالضمان؟

وهل بعد الرداء يُمدُّ برٌّ وتكرمة لذي خطر وشان؟
أجلُّكما وأجزل من عطاء يُعين على تصارييف الزمان
رسول الله كيف وجدتماه؟ وماذا بعد ذلك تبغيان؟
عليه صلاة ربكما جميعًا وبورك في الرضاع وفي اللبان

* * *

أبا صُرِّدَ لنعم العمُّ يرجو غياث الناس من قاصِّ ودان
ظفرت وفاز بالنعمى زهير وهل لكما سوى ما ترجوان؟
ولم أرَ حين تلتمس الأيادي كمثّل القول يحسُن والبيان
وما مُلِكَ الشَّامُ ومن يليه كمن وافيتما تستعطفان
لقد نالت هوازن ما تمنّت وآبت بالسلامة والأمان

عَجُوزُ عَيْنَةَ بنِ حِصْن

أبى عيينة بن حصن أن يرد عجوزًا كانت عنده من سبي هوازن، وقال: هذه أم الحي، فلعلهم يفدونها بمال كثير، وكانت هذه العجوز أم زهير بن صرد، فجاء زهير وعرض عليه أن يأخذها بمئة من الإبل، فأبى طمعًا في الزيادة، فتركه وذهب، ثم غاب عنه، ومرة عليه معرضًا، فقال له عيينة: خذها بالمئة، فقال: لا أدفع إلا خمسين، فأبى، ثم غاب عنه ومرة معرضًا، فقال: خذها بالخمسين، فقال زهير: لا أدفع إلا خمسة وعشرين، فأبى، وما زال ذلك دأبهما حتى قال زهير: لا أخذها إلا بست نياق، والله ما ثديها بناهد، ولا بطنها بوالد، ولا فوها ببارد، ولا صاحبها عند فوتها بواجد، ولا درها بناكد؛ أي غزير، فرضي عيينة وقال: خذها، لا بارك الله لك فيها.

عتادًا يفيد اليسر من كان معسرًا
فيا لك رأيًا غيره كان أجدرًا
على مئة لو كان غرًّا لأكثرًا
يضيق عليك الأمر حتى تعذرًا
غنًى لك لو كنت امرأ متبصرًا
يراه من الدنيا أجلُّ وأكبرًا
إذا بلغ الأمر الفداء الميسرًا
إليه بلا شيء وحسبك ما ترى
على الضنِّ إلا أن تموت فتقبرًا؟
لقد جئت أمرًا يا عيينة منكرا

عُيْنَةُ أُمِسَّكَتِ الْعَجُوزَ تَرِيدُهَا
ضَنَنْتُ بِأَمِّ الْحَيِّ تَغْلِي فِدَاءَهَا
تَسُومُ زَهِيرًا أَنْ يَزِيدَكَ ضَلَّةً
رَمَاكَ بِهِ مَكْرًا خَفِيًّا فَلَمْ يَزَلْ
لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ
يَظَلُّ يَرِيكَ الزَّهْدَ فِي شَيْخَةِ لَهُ
فَتَدْعُوهُ أَقْبَلَ لَسْتُ فِيهَا بَرَاغِبٍ
فِدَاهَا بَسْتُ لَوْ أَبَيْتُ لَسَقَتَهَا
أَلَيْسْتُ كَمَا قَالَ ابْنُهَا مَا لِمِثْلِهَا
أَمَّا وَالَّذِي لَوْ شَاءَ لَمْ تَعْصِ أَمْرَهُ

فنفسك فاحملها على البر إنه لأربح مما تحمل الأرض متجرا
وما طمَعُ الإنسان فيما يفوته إذا ما دعا الداعي فولى وأدبرا؟

قِسْمَةُ الْغَنَائِمِ

بدأ النبي ﷺ بالذين أسلموا يوم الفتح تألفاً لهم، وتثبيتاً للإيمان في قلوبهم، فأعطاهم من هذه الغنائم ما أرضاهم؛ وهم المؤلفة قلوبهم، ومنهم أبو سفيان أعطاه فأجزل، وسأله أن يعطيه لابنيه يزيد ومعاوية ففعل، ومنهم حكيم بن حزام، أعطاه مئة من الإبل، ثم سأله فزاده مئة، ثم سأله ثلاثة فكذلك، وقال له: «يا حكيم إن هذا المال خضر حلو، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى».

فأخذ حكيم المئة الأولى وترك ما عداها، وقال: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا، فكان أبو بكر يدعوه في خلافته ليأخذ من الفيء فيأبى، وكذلك كان في خلافة عمر (رضي الله عنهما)، ولم يأخذ الأنصار وكبار المهاجرين شيئاً من هذه الغنائم، فقال رجل من المنافقين: هذه قسمة ما عدل فيها، وما أريد بها وجه الله (تعالى)، وأخبر النبي فغضب وقال: «إذا لم أعدل فمن يعدل؟ رحم الله أخي موسى لقد أودى بأكثر من هذا فصبر»، واستأذن خالد بن الوليد وعمر بن الخطاب أن يضربا عنق هذا المنافق فقال: «لا تفعل، فإنه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية، لا يتحدث الناس أنني أقتل أصحابي».

وأرأيت حكمة سيد الكرماء؟	وعرفت شيخ السادة الحكماء؟
تلك السياسة حزمها ودهاؤها	ناهيك من حزم وفرط دهاء
مر يا محمد واقض ما لك عائب	في كل أمر ترتضي وقضاء
ولربما خفي الصواب فأسفرت	عنه وجوه الرأي بعد خفاء

* * *

بدأ النبيُّ بغير من كانوا له	خير الصحابة عند كل بلاء
يرجو مودتهم ويبني منهم	للدين صرح أمانة ووفاء
أعطى أبا سفيان وابنيه فما	أندى سجايا الواهب المعطاء
وحبا حكيماً ما أراد ثلاثة	ونهى هواه فكال خير حباء
وأصابها مئة له من نفعها	ما جلَّ عن عدِّ وعن إحصاء
قال ارعويت فلسـت أرزأ بعدها	أحدًا وآلى حلفة الأمناء
يُدعى ليأخذ من أبي بكر ومن	عمرٍ فما يزداد غير إباء

* * *

يا ويح للعباس يغلب حلمه	أن كان دون مراتب الرؤساء
أبدى الشكاة فكان صنع محمد	صنع الطبيب يريد حسم الداء
قال اقطعوا هذا اللسان بنفحة	عني وتلك سجيّة العظماء

* * *

صفوان أسلمَ فانجلت غمراته	وأفاق بعد غواية وغباء
لما رأى الإسلام يسطع نوره	كره الضلال وضاق بالظلماء
ومشى على الأثر الكريم يزينه	خلق الهداة ومَظهر الحنفاء
صفوان سر في نور ربك إنه	يهديك في سير وفي إسراء

* * *

يا زيد قم بالأمر واكتب واجتنب	خطأ الغواة وكبوة الجهلاء
أحصِ الرجال وآت كلاً حقه	مما أفاء الله ذو الآلاء

* * *

ما أكرم الأنصار والصحب الألى	حرموا فمن صبر ومن إغضاء
نزلوا على حكم النبيِّ وسرَّهم	ما كان من ثقة وحسن رجاء
قوم رسا الإيمان ملء قلوبهم	وسما عن الشهوات والأهواء

قِسْمَةُ الْغَنَائِمِ

لا تملك الدنيا عليهم أمرهم في شدة من دهرهم ورخاء
ما ضرَّ من يسخو بمهجة نفسه أن لا يفوز من امرئ بسخاء؟
نالوا بفضل الله عند رسوله ما لم ينل أحد من النعماء
إن الثناء إلى الرجال يسوقه لأجل من إبل تساق وشاء

* * *

خسر الذي آذى النبيّ بقوله ظلّم الرجالَ ولجّ في الإيذاء
أثمّ المنافق إنها لكبيرة وكذلك يأثم ناطق العوراء
صبرًا رسول الله لست بأول ما حيلة الحكماء في السفهاء؟
موسى أخوك أصيب من أعدائه بأشد ما ترمي قوى الأعداء
إن أنت لم تعدل فمن ذا يرتجى للعدل تحت القبة الزرقاء؟
نفر الحفاظ بخالد ورفيقه والموت مُصنِع والمهند راء
لولاك إذ جاوَزتْ أبعد غاية في الحلم جاوز غاية الأحياء
قلت اسكنا لا تقتله فإنه سيكون رأس الشيعة النكراء
يُغلون في دين الإله فيخرجوا منه خروج السهم يوم رماء
لا يذكر الأقوام أن محمدًا يجزي الألى صحبوه شرّ جزاء

* * *

تلك النبوة يا محمد فاضطلع منها بأعباء على أعباء
أدب وعلم تلك مدرسة الهدى فُتِحَتْ وأنت مؤدّب العلماء

غزوة الطائف

خرج النبي ﷺ من حنين إلى الطائف في ألف من أصحابه، جعل خالد بن الوليد في مقدمتهم، وكانت ثقيف دخلت حصنها، فنزل الجيش قريباً من هذا الحصن، واقترب خالد ينادي: هل من مبارز؟ فلم يخرج إليه أحد، وناداه رجل منهم يقال له عبد يا ليل: إن لدينا طعاماً يكفيننا سنين، فهل أنت منتظر حتى ينفذ فنخرج إليك بسيوفنا مقاتلين؟ ثم أعملت ثقيف السهام فقتلت من المسلمين رجالاً منهم عبد الله بن أمية المخزومي أخو أم سلمة (رضي الله عنها)، وجرحت آخرين.

وأشار سلمان الفارسي بصنع دبابتين من الجلد دخل فيها جماعة من المسلمين، ومضوا إلى الحصن لينقبوا سوره، ففطنت ثقيف لذلك وأرسلت عليهما قطعاً من الحديد المحمى بالنار، فخرج من كان فيهما، وصبت عليهم السهام فقتل منهم من قتل، وأشار سلمان كذلك بصنع المنجنيق ورمي الحصن به، وقيل إنه هو الذي صنعه بيده يومئذ، وبقي الحصن محاصراً ثمانية عشر يوماً، ولم يرد الله أن تستأصل ثقيف، فأخرجهم حتى جاءوا طائعين مسلمين مع غيرهم من الوفود، وكانت جملة من قتل في هذه الغزوة من المسلمين اثني عشر رجلاً.

وكيف يلقي النجاة الغريق؟
له لهب ساطع كالحرير
فأين الفرار وهل من مطيق؟
ويا عبد ليل لماذا النعيق؟
فكان فريقك شر الفريق

ثقيف انظري أين قصد الطريق؟
مشى البأس في هوله المستطير
مشى ترجف الأرض من حوله
ثقيف ادخلي الحصن لا تهلكي
دعا خالد يستفز الرجال

وكننت عليهم شهيدًا بما	يعاب العدوُّ به والصديق
يضيّق على العاجزين الفضاء	ويَرْحَب بالقادرين المضيق
وليس الخليق بحرّ الجلال	غداة التنادي كغير الخليق
رموا بالسهام ولو أنصفوا	رمّوا بالطلّى كل غضب ذليق
حراص على الأنفس الهالكات	وذلك منهم خبال وموق
ضعاف القلوب قعود جمود	يخافون كل سفوح دقوق
وما يستوي الهبرزيّ الجسور	غداة الوغى والهيوب الفروق

* * *

رأوا عجبًا من عتاد الحروب	تذوق الحصون به ما تذوق
رماهم فتاها بدبّابتين	فيا لك من فارسيّ لبيق
رميت الألى حبس الفاتحون	بموت حبيس وبأس طليق
وزدت فقلت اضربوا الكافرين	وعلمتهم صنعة المنجنيق
تظل الحجارة مقذوفة	يشيّعها من مكان سحيق

* * *

ونودوا إلينا فمن جاءنا	مننا عليه بعهد وثيق
فأقبل منهم بغاة الأمان	فكلّ مخلّى وكل عتيق
لهم منزل الضيف في المسلمين	رعاة العهود حماة الحقوق

* * *

عيينة ما قلت للمشركين؟	وهل يقتني الحمد إلا الصدوق؟
كذبت النبيّ فقلت المحال	وجئت من الأمر ما لا يليق
وأزلفتها توبة تبتغي	بها الخير والخير نعم الرفيق
تبينّ عيينة عقبي الأمور	لعلّك تعقل أو تستفيق

* * *

سيأتي بهم ربهم مسلمين	فما من ضلال ولا من فسوق
ولو شاء لاجتثهم أجمعين	فبادت أصول وجفت عروق

عَزْوَةُ الطَّائِفِ

* * *

يقول الفوارس كيف الرحيل	وما شرقت بالدماء الحلو؟
رويدًا رويدًا جنود النبي	فقد ينفع الناس ما لا يروق
ولله ما شاء فيما يسوق	من الحادثات وفيما يعوق

عَيْن أَبِي سَفِيَّان

أُصِيبَتْ عَيْنُ أَبِي سَفِيَّانَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) بِسَهْمٍ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ، فَآتَى النَّبِيَّ ﷺ وَعَيْنَهُ فِي يَدِهِ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ عَيْنِي أُصِيبَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ: «إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ فَرُدَّتْ عَلَيْكَ، وَإِنْ شِئْتَ فَعَيْنٌ فِي الْجَنَّةِ»، قَالَ: فِي الْجَنَّةِ، وَرَمَى بِهَا مِنْ يَدِهِ، وَأُصِيبَتْ عَيْنُهُ الثَّانِيَةَ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ فِي قِتَالِ الرُّومِ.

وَلَا الْأَجْرُ مَمْنُونٌ وَلَا أَنْتَ مَغْبُورٌ
لَهُ مَشْهَدٌ فِي حُومَةِ الْحَرْبِ مِيمُونٌ
بِهَا الْخَيْرُ فِي كُلِّ الْمَوَاطِنِ مَقْرُونٌ
وَلَا الْعُطْفُ مَزُورٌ وَلَا الْقَلْبُ مَحْزُونٌ
مَضَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْحَافِزُ الدِّينُ
بِقُدْرَةِ رَبِّ أَمْرِهِ الْكَافُ وَالنُّونُ
وَذَلِكَ وَعْدٌ عِنْدَ رَبِّكَ مَضْمُونٌ
حَمَلْتَ وَمَا فِي الْحَقِّ أَنْ يُوَثِّرَ الدُّونُ
إِذَا حَانَ مِنْهَا بَعْدَ ذَلِكَ الْحَيْنُ
مِنْ اللَّهِ نَعْمَى سَرَهَا عَنْكَ مَكْنُونٌ
وَلَا السِّيفُ مَكْرُوبٌ وَلَا الْعِزْمُ مُوْهُونٌ
مِنْ النَّاسِ إِلَّا صَادِقُ الْبَأْسِ مَأْمُونٌ

هَنِيئًا أَبَا سَفِيَّانَ لَا الذَّخِرَ هَيْنٌ
هُوَ الْغَنَمُ لَمْ يَقْدِرْ لَغَيْرِ مُوْفِقٍ
حَمَلْتَ أَبَا سَفِيَّانَ عَيْنَكَ فِي يَدٍ
وَجِئْتَ رَسُولَ اللَّهِ لَا الْوَجْهَ شَاخِبٍ
تَقُولُ لَهُ عَيْنِي الَّتِي أَنْتَ نَاطِرُ
فَقَالَ إِذَا أَحْبَبْتَ فَالْرَدُّ مُمْكِنٌ
وإِلَّا فَأَخْرَى عَنْدَهُ إِنْ لَقِيْتَهُ
فَأَثَرْتُ هَذَا ثُمَّ أَلْقَيْتُ بِالَّتِي
سَتَتَّبِعُهَا فِي وَقْعَةِ الرُّومِ أَخْتَهَا
فَخَيْرٌ عَلَى خَيْرٍ وَنَعْمَى تَزِيدُهَا
هَنِيئًا أَبَا سَفِيَّانَ لَا الرَّمْحَ آسَفُ
عَطَاؤُكَ فِي الْهَيْجَاءِ لَمْ يَعْطِ مِثْلَهُ

سراقة بن مالك

عند انحدار النبي ﷺ إلى الجعرانة لقيه سراقة بن مالك وهو واضع الكتاب الذي كتب له عند الهجرة بين أصبعيه، ورافع صوته بقوله: أنا سراقة وهذا كتابي، فقال الرسول الكريم: «هذا يوم وفاء ومودة، أدنوه مني» ففعلوا وأسلم (رضي الله عنه).

ارفع كتابك يا سرا	قة إنه علم النجاة
هو جُنة لك من سيو	ف الضارين طلى الكماة
عهد النبي فأني نـ	ر مثله للحادثات
أسدى الجميل ومَن يـ	خذ نفسه بالمكرمات
ويقيم أعلام الهدى	للتابعين من الهداة
لو شاء قتلك يا سرا	قة لم تذق طعم الحياة
إذ جئت تطلب قتله	وتطيع فيه هوى الغواة
أرأيت حلم محمد	وعرفته جم الأناة؟
أدرك بدين الله نفـ	سك واستقم قبل الفوات
دين المفآخر والمآ	ثر والخلال الصالحات
دين الغطارفة الأما	جد والجهازة الثقات
دين الرشاد بأسره	والخير من ماض وآت
الله ربُّ العالمـ	ن فما اتباع التَّرهات؟
إن كنت ذا عقل فحسـ	بك نظرة في الكائنات
تلك المعالم واضحا	ت والشواهد بيِّنات

دع ما مضى لك يا سرا قة من جنيات العصاة
أيام تضرب في الغوا ية بالعشي وبالغداة
أنت اتقيت الله ربَّـك لك فاعتنم عقبي التقاة

غزوة تبوك

كانت في شهر رجب من السنة التاسعة، بلغ النبي ﷺ أن الروم جمعوا جموعًا كثيرة بالشام، وأن طلائعهم بلغت البلقاء فاستنفر المسلمين للقائهم، وأوصى بالتعاون على تيسير أسباب هذه الغزوة البعيدة الشقة وسد حاجاتها، فجهز عثمان بن عفان عشرة آلاف رجل، أنفق عليهم عشرة آلاف من الدنانير، غير الإبل والخيول والزاد، وجاء إلى النبي بألف دينار صبها في حجره، وجاء أبو بكر بجميع ماله، وهو أربعة آلاف درهم، فقال النبي: «هل أبقيت لأهلك شيئاً؟»، قال: أبقيت لهم الله ورسوله، وجاء عمر بنصف ماله، وعبد الرحمن بن عوف بمئة أوقية، والعباس وطلحة بمال كثير، وعاصم بن عدي بسبعين وسقًا من التمر، وعلمت النساء فقدمت إلى النبي ما استطاعت تقديمه من الحلي في إيمان قوي، وحماسة بالغة.

وتخلف المنافقون ومعهم عبد الله بن أبي بن سلول، فلم يخرجوا مع الجيش، وكان عدده ثلاثين ألف رجل — وقيل أكثر — وعقد النبي الألوية والرايات، فدفع لواءه الأعظم إلى أبي بكر، ورايته العظمى إلى الزبير، وجعل راية الأوس لأسيد بن حضير، وراية الخزرج للحباب بن المنذر، وبلغ الجيش تبوك فعسكر فيها انتظارًا للقاء العدو، فلم تبد له بادية، وبعد بضع عشرة ليلة استشار النبي عمر بن الخطاب، هل يمضي بالجيش لمهاجمة جموع الروم أم يدعمهم إلى ميقاتهم؟ فأشار عمر بهذا، وكانت غزوة تبوك آخر غزواته (صلوات الله عليه).

لمن تجمع الروم أبطالها؟ وتحمل للحرب أثقالها؟
ألجاعلين نفوس العباد ودائع يقضون آجالها؟

فلن يملك القوم إمهالها	إذا استعجلوها ببيض الظبي
وتبذل في الله أموالها	جنود تُقدِّم أرواحها
لقد بارك الله أعمالها	لئن جاوزت غاية العاملين
إذا آدها الأمر أو عالها؟	ومن مثل عثمان يرعى النفوس
إذا رام منزلة نالها	كثير النوال رحيب المجال
وجنّبت نفسك بلبالها	أبا بكر اخترت أبقى الثراء
فألْبَسَكَ الله سربالها	تمنياتها نعمة سمحة
مناقب ندمن إجلالها	وإن لصحبك في الباذلين

* * *

وأقبلن في ضجة يا لها	ألح النساء على حليهن
فنأبى ونوثر إهمالها؟	نبي الهدى أتلّم الحقوق
تجرجر في الحلي أذيالها؟	وتذهب منا ذوات الحجال
فأرّقها ما عنا آلهـا	لقد طاف طائفها بالفتاة
ولا ملك الحرص خلخالها	فما أمسك البخل دملوجها

* * *

يحبُّ الحروب وأهوالها	مشى الجحفل الضخم في جحفل
فقالوا البيوت وأظلالها	وخاف من الحر أهل النفاق
بشنعاء يآثم من قالها	وأهلكهم شيخ أشياخهم

* * *

وخلوا النفوس وآمالها	بني الأصفر استبقوا للوغى
وما هاجت الحرب أغوالها	وقفتم من الرعب ما تُقدمون
إذا جمع الله آكالها؟	فكيف بكم بين أنيابها
فلا تكثر الروم أوجالها	رأى عمرُ رأيـه في الرحيل
من الدهر يقضون أحوالها	لهم دون مهلكهم مدة
وحىّ الأسود وأشبالها	تبوك اشهدي نزوات الذئاب

أما ينبغي لك أن تعرفي شيوخ الحروب وأطفالها؟

* * *

هي الملة الحق لن تستكين	ولن يدع السيف أقتالها
رأت ملة الكفر تغزو النفوس	فجاءت تمزق أوصالها
لها من ذويها حماة شداد	يبيدون من رام إذلها
فلن يعرف الناس أمثالهم	ولن يشهد الدهر أمثالها
ولن تستبين سبيل الهدى	إذا اتَّبع الناس ضلالها
فمن كان يحزنه أن تبید	قوى الشرك فليبك أطلالها
لأهل المفصل من آیه	موارد يُسقون سلسالها
تردُّ القلوب إلى ربها	وتفتح للنور أقفالها

في دار سُويلم اليهودي

اجتمع قوم من المنافقين في دار سويلم اليهودي يقولون كما قال عبد الله بن أبي بن سلول، وعلم النبي بأمرهم فأرسل إليهم عمار بن ياسر وقال: «أدرك القوم فقد احترقوا»، فجاءهم فأنكروا، وجاءوا إليه ﷺ فأخبرهم بما قالوا، فجعلوا يعتذرون ويقولون: كنا نخوض ونلعب، فأنزل الله (تعالى): ﴿وَلَكِنَّ سَأْلَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ...﴾ الآية.

بالسنة تبغي الفساد فتكذب؟
لذي نهيه رأي ولا عنه مذهب؟
فيا لك من شر على الناس يُجلب
وجاء بريد الله بالحق يدأب
لأنفسهم نارًا بعيني تلهب
عذاب غليظ ما لهم منه مهرب
بأقوال فجار عن الحق ترغب
علمت وما يخفى علي المغيب
ألا إنما كنا نخوض ونلعب
إلى الشر إلا أن يتوبوا لأقرب

سويلم ما قول ببيتك يُفتري
الأبن أبي رأيه ما وراءه
حقود رمى بالشؤم كل منافق
أحس رسول الله ما كان منهم
فقال لعمار أرى القوم أوقدوا
ألا قم فأدرکہم ولمّا يصيبهم
فلما أتاہم أنکروا ثم أقبلوا
فقال رسول الله بل قلت الذي
فقالوا على غيظ النفوس وحقدھا
وعادوا خزایا نادمین وإنهم

الجَدُّ بن قيس

ندبه الرسول الكريم للخروج في هذه الغزوة، فاستأذنه في التخلف وقال له: لا تفتنني، فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل أشدَّ عجبًا بالنساء مني، وإني لأخشى أن لا أصبر إذا رأيت نساء بني الأصفر، فأعرض عنه النبي، وأقبل عليه ابنه يقول له: والله ما أحرَكَ سوى النفاق.

هواك ودعها خطة هي ما هيهُ	خَفِ الله يا جدُّ بن قيس ولا تُطع
تقول وما تخفى على الله خافيهُ	كذبت رسول الله تضمر غير ما
فإني امرؤُ أُعطي النساء عنانيهُ	تقول له ائذن لي ولا تبغِ فتنتي
عفافي فدعني ما لهن وما ليهُ	وإن نساء الروم يغلبنني على
فُجور امريءٍ يبدي الفجور علانيهُ	فأعرض عنه غير راضٍ وساءه
فيا لك من نار على المرء حاميهُ	وجاء ابنه يُصليه نار ملامة

* * *

لک الویل یا جدُّ بن قیس فإن تنب	وقیت وإن تفسق فما لك واقیه

البَكَاءُ

هم سبعة من الفقهاء جاءوا إلى النبي ﷺ يسألونه أن يحملهم إلى تبوك فقال لهم: «لا أجد ما أحملكم عليه»، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ... ورق لهم قوم من كرام الصحابة فحملوهم.

أبوا أن يقعدوا والجيش يُزجى	فيوشك أن يكون له انطلاق
وليس لهم سوى القرآن يُتلى	فلا خيل ولا إبل تساق
فلانوا بالنبى وناشدوه	ليحملهم فضاك بهم وضاقوا
تولوا تستهل على لحاهم	دموع ملء أعينهم تراق
أتعوزهم لدى الزحف المطايا	ويسبقهم إلى الله الرفاق؟
فرق لهم من الغازين قوم	رموا منهم بخطب لا يطاق
وجاءوا بالرواحل فاستراحوا	من الهم المبرح واستفاقوا
أمن يهديه إيمان وتقوى؟	كمن يرديه غش أو نفاق؟

أبو خَيْثَمَة

كان ممن تخلف عن النبي فدخل يوماً على زوجتيه فوجدهما قد رشتا العريش بالماء، وهيأتا طعاماً وماء بارداً، وكان يوماً شديداً الحر، فقال: أياكون رسول الله ﷺ في الحر وأبو خيثمة في ظل بارد وماء مهياً وامرأتين ناعمتين؟ والله لا كان هذا، ثم أخذ سيفه ورمحه ولحق بالنبي في تبوك.

لك الله أقبل أبا خيثمة	فلله صنعك ما أكرمه
قعدت فلما كرهت القعود	نفرت حثيثاً إلى الملحمة
دخلت العريش على نعجتك	فسبحان ربك ما أعظمه
نعيم يروق وظل يشوق	وعيش يسرك أن تغنمه
فذكرك الله حرَّ الجهاد	وألهم قلبك ما ألهمه
فقلت أيمضي الرسول الكريم	يكابد في الله ما جشمه
وأبقى هنا في هوى نعجتي	وحب العريش كذي الملامه؟
وسرت فأدركته في تبوك	وللجيش من حوله هممه
يقولون من ذا؟ وما خطبه؟	ألا إنه أبو خيثمة
ألم يك في المعشر القاعدين؟	فماذا عراه؟ وما أقدمه؟
هو الله يهدي نفوس الرجال	ويرزقها البرَّ والمرحمه

أَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)

تَخَلَّفَ بِهِ بَعِيرُهُ عَنِ الْجَيْشِ لَمَّا أَصَابَهُ مِنَ الْإِعْيَاءِ، فَأَخَذَ مَتَاعَهُ وَحَمَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ، ثُمَّ سَارَ حَتَّى أَدْرَكَ النَّبِيَّ، وَرَأَاهُ بَعْضُ الصَّاحِبَةِ مُقْبِلًا فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا أَبُو ذَرٍّ قَدْ جَاءَ، فَقَالَ: «رَحِمَ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ، يَمْشِي وَحْدَهُ، وَيَمُوتُ وَحْدَهُ، وَيَبِيعُ وَحْدَهُ»، فَكَانَ كَمَا قَالَ، فَقَدْ مَاتَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) بِالرَبْذَةِ حِينَ أَخْرَجَهُ عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ فِي خِلَافَتِهِ إِلَيْهَا بَعْدَ أَنْ كَانَ فِي الشَّامِ، لَشَكَايَةٍ مِنْ مَعَاوِيَةَ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ فِيهَا إِلَّا امْرَأَتُهُ وَغَلَامُهُ، فَقَالَ لَهُمَا عِنْدَ مَوْتِهِ: غَسِّلَانِي وَكَفِّنَانِي، ثُمَّ اجْعَلَانِي عَلَى قَارَعَةِ الطَّرِيقِ، وَقَوْلًا لِأَوَّلِ مَنْ يَمُرُ بِي: هَذَا أَبُو ذَرٍّ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ، فَأَعَيْنُونَا عَلَى دَفْنِهِ، فَفَعَلَا ذَلِكَ، وَأَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ فِي رَهْطٍ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَوَجَدُوا الْجَنَازَةَ عَلَى الطَّرِيقِ قَدْ كَادَتْ الْإِبِلُ تَطَوُّهَا، فَقَامَ إِلَيْهِمُ الْغَلَامُ وَقَالَ لَهُمْ مَا أَرَادَ أَبُو ذَرٍّ أَنْ يَقُولَ، فَبَكَى ابْنُ مَسْعُودٍ وَنَزَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ فَوَارَوْهُ، وَمِنْ قَوْلِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ فِيهِ: «مَا أَظْلَتِ الْخَضِرَاءُ وَلَا أَقْلَتِ الْغُبَرَاءُ مِنْ ذِي لَهْجَةٍ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ»، وَكَانَ مِنَ الْأَقْدَمِينَ فِي الْإِسْلَامِ.

أَبَا ذَرٍّ رَحَلْتُ عَلَى بَعِيرٍ	لَوْ أَنَّ الذَّرَّ يَلْمُسُهُ لَهْدَةٌ
بِرَاهُ السَّيْرَ حَالًا بَعْدَ حَالٍ	فَأَوْهَنَ عَظْمُهُ وَأَذَابَ جِلْدُهُ
عَدِمْتُ إِلَى مَتَاعِكَ لَمْ تَدْعِهِ	عَلَيْهِ وَلَمْ يَدْعِكَ الضَّعْفُ عِنْدَهُ
شَدَدْتُ قَوَاكِ إِذْ وَهَنْتُ قَوَاهُ	وَرَضْتُ الْأَمْرَ إِذْ أَبْصُرْتُ جَدَّهُ
وَسَرْتُ فَكُنْتُ أَصْلَبَ مِنْهُ عَزْمًا	وَأَصْدَقَ هِمَّةً وَأَشَدَّ نَجْدَهُ
مَشَيْتُ تَرِيدُ وَجْهَ اللَّهِ حَتَّى	بَلَغْتَ رَسُولَهُ وَلَقِيتُ جَنْدَهُ
رَأَوُكُ تَوْمُئُهُمْ فَرْدًا فَقَالُوا	أَخٌ فِي اللَّهِ يَخْشَى اللَّهَ جَهْدَهُ

وقال أتى أبو ذر فأهلاً	بصاحبنا الذي ما خان عهده
ألا إن الذي يسعى إلينا	ليمشى وحده ويموت وحده
ويُبعث وحده من بعد هذا	وسبحان الذي يختار عبده

طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ

كان طلحة بن عبيد الله (رضي الله عنه) في هذه الغزوة مع المسلمين، فنحر لهم جزورًا وأطعمهم منها، وكانوا في حالة شديدة من الجوع، فقال له النبي: «أنت طلحة الفياض»، وسماه يوم أحد طلحة الخير، ويوم حنين طلحة الجود، وذلك لكثرة إنفاقه على العسكر.

طلحة الخير طلحة الجود أبشر	صرت تدعى بطلحة الفياض
نفحة بعد نفحة وانتهاض	في مجال السخاء بعد انتهاض
في حنين يد وفي أحد أخـ	رى وهذي تبوك ملأى الوفاض
من جزور نحرثها تطعم الجيـ	ش وتشفيه من أذى وارتماض
ذاق من شدة الطوى ما كفاه	وهو مستحصد العزيمة راض
حزبته الأمور في طاعة الله	فما هم مرة باعتراض
عالم أن أفضل المقادير ما شا	ء وخير الأمور ما هو قاض
لك في المسلمين يا ابن عبيد الله	برق مبارك الإيماض
تستهل الصنائع الغرُّ إن لا	ح وتجري الصلات ملء الحياض
هكذا يكون المؤمن الموفِّق يغني	في مروءاته غناء المواضي
يدفع الحادث الجليل ويقضي الـ	حق سمح اليدين قبل التقاضي

قدم يحنة بن رؤبة صاحب أيلة ومعه أهل أذرح وجرباء ومقنا

قدم على النبي ﷺ يحنة بن رؤبة صاحب أيلة ومعه أهل أذرح وجرباء ومقنا من قرى الشام، فعرض عليهم الإسلام فأبوا، وصالحوه على الجزية، فكتب لهم العهود بذلك، وكان مع يحنة بغلة بيضاء أهداها إليه (صلوات الله وسلامه عليه)، فكساه بردًا من ثيابه الشريفة.

سوى الحق فاعلم أن رأيك عازب	يحنة إن تؤمن فخير وإن تُرد
وليس لمن يَمَّت في الناس غالب	أتى بك من أكناف أيلة ما أتى
تنال بها الأمن الذي أنت طالب	دُعيت إلى الإسلام فاخترت جزية
هُديت ولكنَّ المضللَّ خائب	ولو كنت ممن يبتغي جانب الهدى
كسك بها البرد الذي أنت صاحب	وما رغب المأمون فيها هدية
لما عاب منهم خطة الجد لاعب	أتيت بقوم لو رأوا منك ناصحًا
وجرباء حتى يجلب الخيل جالب؟	أتأبون دين الحق يا آل أذرح
بأن سوف تنهى الجاهلين العواقب	ألا فاشهدوا يا آل مقنا وأيقنوا
عليكم وما داعي إلى الله كاتب	خذوا من عهود الذل ما الله ضارب
ولا تغدروا فالبأس يقظان دائب	وأدوا إليه المال لا تبخلوا به
رضيتم لهم إن الطريق للاحب	وسيروا بأهليكم على الخطة التي

أخا البغلة البيضاء ليتك كنتها	لعلك تدري كيف تعلو المراتب
أَتُعْطَى من العز البهيمه رزقها	ويحرم منه المرء؟ تلك العجائب
يُحَنِّة هذا ما قضى الله فاعتبر	وكيف اعتبار المرء والعقل زاهب؟

خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَالْأَكْبَدِرُ

أرسل النبي خالد بن الوليد من تبوك إلى دومة الجندل لغزو الأكيدر بن عبد الملك الكندي، فقتل أخاه واستنزله هو من حصنه، ثم جاء به إلى النبي فأسلم، وكتب له ولأهل دومة الجندل كتابًا دعوا فيه إلى الإسلام فمن أبى فعليه ما على المشركين، ولما قبض الرسول الكريم ارتد الأكيدر فبعث إليه أبو بكر خالدًا بن الوليد فقتله.

أخالد إنك ذو نجدة	فهيًا إلى دومة الجندل
إلى معشر كفروا بالكتاب	وحادوا عن المذهب الأمثل
دعاك الرسول فأنت الرسول	وليس له عنك من معدل
أمامك حصن طويل الذرى	فخذه بصمصامك الأطول
ومر بالأكيدر يَـقْذِفُ به	إليه على كبره من عل
قتلت أخاه وألقى إليك	جناح الذليل فلم يُقتل
وجئت به سيد الفاتحين	فأوغل في قلبه المقفل
هداه إلى الله بعد الضلال	وبعد العمى لم يكد ينجلي
وأعطاه من عهده مؤثلاً	يقيه فيا لك من مؤثّل
فصبرًا أكيدر إن الزمان	سيكشف عن غدك المقبل
ستنقض عهدك دأب الشقيّ	وتجمع في غيبك الأول
فيرميك ربك با ابن الوليد	ويشفيك من دأبك المعضل
بصاعقة من يذقها يقل	كأن الصواعق لم ترسل
أنفعل ويحك ما لو عقلت	لأعرضت عنه ولم تفعل؟

ديوان مجد الإسلام

أكيدر ليس لنفسٍ وقاء إذا ما ابتلى الله من يبتلي

خطبة رسول الله ﷺ عند مُنْصَرَفِهِ مِنْ تَبُوكَ

قال (عليه الصلاة والسلام):

أما بعد، فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله (عز وجل)، والنساء حباله الشيطان، والشباب شعبة من الجنون، والسعيد من وعظ بغيره، ومن يغفر يغفر الله له، ومن يعف يعف الله عنه، ومن يصبر على الرزية يعوضه الله، أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ.

في الخافقين وكل قلب خاشع
يرجو المزيد وكل شيء سامع
أن النفوس إلى الفساد نوازع
دين لأشتات الفضائل جامع
يجري عليهم نفعه المتتابع
ولكل جيل منه كنز رائع
وعن العماية فليزَعك الوازع
وإذا اهتديت فكل شيء نافع
والحق يعرفه التقي الطائع

خطب الرسول فكل سمع منصت
قل يا محمد كل شيء مطرق
قل ما يعلمك الذي هو عالم
أدب بدين الله قومك إنه
هذا تراث العالمين بأسرهم
فلكل عصر منه ورد سائغ
قل للذي ترك السبيل ألا استقم
فإذا غويت فكل شيء ضائر
الله أنزل في المفصل حكمه

فِي الْعَقْبَةِ بَيْنَ تَبُوكَ وَالْمَدِينَةِ

خلا جماعة من المنافقين بأنفسهم، وعدّتهم اثنا عشر رجلاً، لما أذن النبي بالرجوع من تبوك، فقالوا: إذا عدل محمد عن بطن الوادي إلى العقبة وأبى إلا أن يسلكها وحده تبعناه فزحمناه فيها، ودفعنا به عن راحلته — يريدون إيذاه — فنباه الله بذلك، فلما بلغ العقبة أشار على المسلمين بسلوك بطن الوادي، وسلكها هو بعد أن جعل زمام ناقته في يد عمار بن ياسر، وأمر حذيفة بن اليمان أن يسير خلفها، فتسلل المنافقون خلفه ملثمين تحت جنح الظلام لإمضاء ما أجمعوا عليه.

إذا نحن عدنا يسلك الجانب الوعرا
تنكّب نؤذيه ونرهقه عسرا
على قوة واختار ما يجمع الشرا
أطيعوا رسول الله وامثلوا الأُمرا
سيسلكه فردّا يريد بكم يسرا
وسر خلفها يا ابن اليمان فما أحرى
وقد نشر الإظلام من حولهم سترا
وما نكّروا إلا الخيانة والغدرا
تحوض إليها الليل فانتفضت ذعرا
على الأرض إلا ما تماسك فاستدري
ويا صاحبي لا تبتئس والزم الصبرا
وجوه مطاياهم ولم يألهم زأرا

يقول دعاة الشرّ ليت محمداً
إذن لدفعنا إلى الجانب الذي
ونبّأه مولاه فازداد قوة
فلما دنا من يثرب قال قائل
على السهل فامضوا واركوا الحزن إنه
وقال تقدّم ناقتي يا ابن ياسر
وسار فجاء القومُ يعدون خلفه
ونكّر كلّ وجهه بلثامه
رموا ناقة الهادي بأشخاص جنّة
وأمسى رسول الله يهوي متاعه
وقال انطلق يا ابن اليمان فردهم
فكرّ عليهم كرة الليث ضارباً

إليكم إليكم شيعة الكفر إنكم
تولّوا سراعاً لم يصيبوا شفاءهم
وجاء أسيّد لا يرى غير قتلهم
أأقتل قومًا ظاهرني وحاربوا
وجاءوا على خوف يقولون ما بنا
وضجّوا بأيمان هي النار أوقدت
كفاهم عقاب الله والدعوة التي
لأعداء رب الناس أعظم به كفرا
ولم يطفئوا من حقدهم ذلك الجمرا
فقال رسول الله لا تبغها نكرا
معي؟ حسبهم أن يحملوا الإثم والوزرا
سوى الظن فاغفر إنها الفتنة الكبرى
بالسنة ظلت أكاذيبها تترى
يظلّ لهاها ينفذ الظهر والصدرا

فِي الْمَدِينَةِ — النَّبِيُّ يُعْرِضُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ وَيَأْمُرُ بِمُقَاتَلَتِهِمْ

لما رجع النبي إلى المدينة استقبله المنافقون الذين لم يخرجوا معه إلى تبوك بغير عذر، فأعرض عنهم وقال لأصحابه: «لا تكلموا أحداً منهم ولا تجالسوهم حتى أذن لكم»، فجعل الرجل يعرض عن أبيه وأخيه، فاشتد الأمر عليهم، وأخذهم من الهم والغم ما أخذهم.

من بعدما كرهوا الخروج فأحجموا	خَفُّوا يَلْقَوْنَ النَّبِيَّ بِيثْرَبَ
وتكشفوا فمُبْغَضٌ ومذمم	فَنَأَى وَأَعْرَضَ لَا يَرِيدُ لِقَاءَهُمْ
سرح يبدد أو بناء يهدم	وَتَقَطَّعَتْ أَسْبَابُهُمْ فَكَأَنَّهُمْ
فتظل تطعن باللحاظ وترجم	سُودَ الْوُجُوهِ تَرَى الْعَيُونَ قِتَامَهَا
لو يقدر من الحياء تلتثموا	يَتَلَفَّتُونَ إِذَا مَشَوْا وَإِخَالَهُمْ
وكأنما الأبناء ليسوا منهم	يَتَقَلَّبُ الْآبَاءُ فِي حَسْرَاتِهِمْ
فالعيش سُمٌّ ناقع أو علقم	هَجَرَ وَإِعْرَاضَ وَطُولَ قَطِيعَةٍ
يجفَى ويجتنب المسيء المجرم	هُمْ أَجْرَمُوا فَهُوَ الْجَزَاءُ وَهَكَذَا
لأشد خطباً في الرجال وأعظم	وَيَحِ الثَّلَاثَةُ إِنَّهُمْ مِمَّا لَقُوا
ثم انطوا فكأنهم لم يأتوا	وَدَا لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ زَالَتْ فَانْطَوَتْ
فيها لأنفسهم ولا متقدم	ضَاقَتْ جَوَانِبُهَا فَلَا مَتَأَخَّرَ

كل له في العالمين جزاؤه	ومن الجماعة حاكم لا يظلم
يقضون إن عقلوا قضاء صالحًا	هو للنفوس مهذب ومقوم
فإذا همو جهلوا فليس لدائهم	طب وليس لمثلهم أن يحكموا
سبحان ربك ذي الجلالة إنه	لم يوجب الشورى لمن لا يفهم
الرأي رأي ذوي المعارف والنهي	ومن الرجال بهائم لا تعلم

مسجد الضَّرَار

لما اقترب النبي من المدينة علم أن بني غنم بن عوف إخوة بني عمرو بن عوف أصحاب مسجد قباء بنوا مسجدًا ينافسون به إخوانهم ويصرفون الناس إليه، وأن أبا عامر الراهب الملقب بالفاسق هو الذي زين لهم ذلك، فقال لجماعة من المسلمين، منهم وحشي قاتل حمزة: «انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فأحرقوه واهدموه»، ففعلوا ما أمرهم به.

يا بني غنم بن عوف ما لكم	تجعلون الدين كيدًا وضرارًا؟
أغضبتم إذ بنى إخوانكم	في قباء مسجدًا يهدي الحيارى؟
فاتخذتم غيره تبغونه	فتنة للناس جهلاً واغترارًا؟
وجمعتم فيه من أشياءكم	كل غاوٍ يجعل السوأى شعارا
مفتري يهذي بقول الزور في	سيد الرسل ويؤذيه جهارا
يا بني غنم بن عوف إنها	شيم الحمقى وأخلاق السكارى
إستفبقوا إنه قد جاءكم	من جنود الله أقوام غيارى
قال مولاهم هلموا فاهدموا	مسجد السوء جدارًا فجدارا
وابعثوا النار عليه جهرة	إنما المؤمن من يُصليه نارا

* * *

صدعوا بالأمر وازداد الألى	طاوعوا الفاسق نلاً وصغارا
زيّن الفاحشة الكبرى لهم	فأتوها لا يخافون البوارا

عَامُ الْوُفُودِ

وَفَدَ نَصَارَى نَجْرَانَ

كانوا ستين رجلاً وفدوا على النبي ﷺ، عليهم أردية الحرير وخواتم الذهب، ومعهم هدية بسط فيها تماثيل ومسوح، فرد البسط وأخذ المسوح، ولما رأى فقراء المسلمين ما عليهم من الزينة تشوفوا إلى الدنيا فنزلت: ﴿قُلْ أُوتِيتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ الآيات.

أبوا الإسلام وصالحوه على ألف حلة في صفر، ومثلها في رجب، ومع كل حلة أوقية من الفضة، وقالوا له: أرسل معنا أميناً، فأرسل أبا عبيدة عامر بن الجراح، وقال لهم: «هذا أمين الأمة».

فاتَّقِ اللهَ واتَّبِعْ ما أَرادَا	وفد نجران إن أردت الرشادا
خضاء لم تبِقْ ظلمة أو سوادا	وتأمل فتلك حجته البيـ
إنه النور قد أضاء البلادا	وضح الحق وانجلي الشك فانظر
ر وينفي الأذى معاً والفسادا	إنه الدين قيماً يصلح الأمـ
تزدهيك الجياد إذ تتهادى	جئت في زينة وبسطة حال
زيد فيها الفن البديع وزادا	وهدايك من مسوح وبسط
وهي إفك سبيله أن يعادى	صدقت صنعة التصاوير فيها

* * *

وقضى الأمر حكمة وسدادا	ردّها الصادق الأمين تقاة
فأبى الظالمون إلا عنادا	ودعاهم إلى التي هي أهدي

زعموا أنهم على الحق ما حا
أيظن المسيح عبداً وقد كا
قال لا تكذبوا عليه وتوبوا
إن عيسى صليّ الإله عليه
هو من روح ربه مستفاد
كان في قومه رسولاً رضيّاً
لا أب كالذي زعمتم ولا ابن
وحّدوا الله ما لكم منه واق
ضلّ من يدّعي لمن هو فرد
فتنتهم أعماله وهي من قدرة الله
رُميت يثرب بوفد جماد
عدم العقل فهو يُمعن في الجهـ
أنزل الله آية لو وعّاها
لم يكن دون أن يبيد محيص
منعتهم آجالهم فتفادوا
وأثّوا مذعنين يبغون صلحاً
سيد الرسل أمّلوه ففازوا
اشتروا منه أنفساً نجّسات
حلّ لا تكون إن هي عُدت
يبعث القوم مثلها من لجين
سر حثيثاً أبا عبيدة واملاً
أنت أنت الأمين عزّ بك الصنـ
خلصت للنبي منك خلال

دوا ولكنه عن الحق حادا
ن إلهاً أتى يدين العبادا
واتبعوا الحق ملة واعتقادا
كان للحق قوة وعتادا
وسبيل المخلوق أن يستفادا
يتقي ربه ويرجو المعادا
فدعوا الشرك وانبذوا الإلحادا
واحذروا الخيل والسيوف الحدادا
في علاه الأبناء والأندادا
وشر الضلال أن يتمادى
هل رأى العالمون وفداً جمادا؟
ل ويأبى فما يريد اتئادا
راح بعد اللجاج يلقي القيادا
ليته باهل النبي فبادا
ما يؤدّ الحريص أن يتفادى
يدفع الويل والخطوب الشدادا
إنما أمّلوا الكريم الجوادا
زادها البيع والشراء كسادا
دون ألف ولا تجيء فرادى
يعجب الناظرين والنقادا
أرض نجران همة واجتهادا
ع الذي يرفع الرجال وسادا
أفعمت نفسه هوى وودادا

* * *

أخذوا العهد رحمة وسلاماً
يبلغ الحق مبتغاه وتزدا
وأضلّ الرجال من لا يُلبّي

بعد أن ضل سعيهم أو كادا
د قواه تمادياً واطّرادا
داعي الله طائعاً إذ يُنادى

* * *

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ تَوَبُوا إِلَى اللَّهِ	وَكُنَّا لِدِينِهِ أَوْتَادًا
أَرْغَبْتُمْ إِذَا أَقْبَلَ الْوَفْدُ فِي الدِّ	نِيَا وَكُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ زُهَّادًا؟
إِنْ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّةُ اللَّهِ	فَلَا تَعْدِلُوا بِتَقْوَاهُ زَادًا
مَا لِلنَّفْسِ مِنْ غَبْطَةٍ أَوْ سُرُورِ	بِمَتَاعٍ تَخْشَى عَلَيْهِ النِّفَادَا

وَفْدُ الْأَشْعَرِيِّينَ

قدموا من اليمن مع جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) في قدومه من الحبشة على النبي ﷺ في خير، ومعهم أبو موسى الأشعري، قال لما رآهم: «أتاكم أهل اليمن، أرق أفئدة وألين قلوبًا، الإيمان يمان والحكمة يمانية، يريد أقوام أن يضعوهم ويأبى الله إلا أن يرفعهم».

ووفد الأشعريين الكرام	قدوم من أبي موسى الهمام
رمى برحاله للبين رام	وعودٌ من غريب الدار ناء
أقام رسوله دين السلام	يفرُّ بدينه ويريد ربًّا
بركبك في حمى خير الأنام	أبا موسى لك البشرى وأهلًا
وفي العهد مأمون الزمام	لقيت من الأحبة كل سمح
فهل لك بعد ذلك من مرام	ونلت بدارهم ما رمت منهم
بعافية من الداء العقام	إذا رقت قلوب القوم كانت
فمن غلق يفرض ومن ختام	تجول حقائق الأشياء فيها
فما تلهو بأحلام النيام	وتوقظها إذا الأكوام نامت
سما نسب بكم عالي المقام	إلى الإيمان والحكم الغوالي
وأنطقهم بمأثور الكلام	شهادة أصدق الشهداء طرًّا
يشقُّ على ذوي الهمم العظام	أبا موسى نهضت إلى محلٍّ
تجانبها سوى الموت الزؤام	وفزت بها حياة ما لنفس
وهل شيء يكون بلا نظام	نظام الدين والدنيا جميعًا

وَفَدُ ثَقِيفٌ

كان في رمضان سنة تسع بعد غزوة تبوك، وكان من خبرهم أنه لما عاد النبي ﷺ من محاصرته تبعة عروة بن مسعود فأسلم، وسأله أن يرجع ليدعو قومه إلى الإسلام، فقال له: «إنهم قاتلوك»، قال: أنا أحب إليهم من أبقارهم وأبصارهم، وذهب إليهم فقتلوه بعد أن أسمعوه كثيراً من الأذى، فسمعه أحدهم يتشهد وقت السحر عند الفجر على غرفة في داره فرماه بسهم فمات، وهو يقول: كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها إليّ، فليس فيّ إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ، قبل أن يرتحل عنكم، فادفوني معهم ففعلوا، وقال الرسول الكريم في حقه: «إن مثله في قومه كمثل يس — يريد المذكور في سورة يس — إنه قال لقومه اتبعوا المرسلين، فقتلوه».

أقامت ثقيف بعد مقتل عروة شهراً ثم استولى عليها الذعر، فأجمعوا أن يوفدوا رجالاً منهم إلى النبي، فجاءوا وفيهم شرحبيل بن غيلان وعثمان بن أبي العاص، وهو أصغرهم سنّاً، فأسلموا، وسألوه أن يؤمّر عليهم رجلاً فكان عثمان، ورجعوا إلى قومهم، وهم يكتمون إسلامهم كما أمرهم سيدهم كنانة بن عبد ياليل، وأخذوا يخوفونهم فأسلموا.

أيُّ نهج للحق لم يبذ بعد؟
وسواها مما قضى الله بدُّ
ب وحادي الهدي يسوق ويحدو
فلم يثنهم عن الإثم رشد؟
آثر الله فهو للشرك ضد

أقبلوا راشدين فالأمر جدُّ
أقبلوا راشدين ما لثقيف
يا ابن غيلان مرحباً جئت في الرك
أين من قومك الألى ركبوا الغيَّ
قتلوا عروة الشهيد على أن

حق عالي الجلالة فرد
رًا فمالوا عن السبيل وصدّوا
ليس للأمر حين يُقدر ردُّ
أنهم قاتلوك فالقوم لُدُّ
غير حب الأذى ولم يكُ ودُّ
رِّي في نوره يروح ويغدو
وضاء بعد الخفاء وتبدو
لمن يبتغي السلامة ورُدُّ
حيلة أحكمت ورأي أسدُّ
يوم رعبًا وكل وإِه يُهدُّ
س ولا فيه منعة تستمد
في إباء ما ينقضي منه وقد
وهو عالٍ في قومه مستبدُّ
ما درجنا عليه فالعيش رغد
ما لنا بالذي تقولون عهد
فاجمعوا أمركم إذن واستعدوا
بعد حين وللجهالة حدُّ
فلم يغنهم إباء وزهد
هو أقوى من مكرهم وأشدُّ
ما أسروا وطاح بالهزل جدُّ
هم جميعًا لملة الحق جند

جاء إثر النبي يشهد أن الله
وأتى قومه يظن بهم خيد
هكذا أخبر النبي ولكن
قال دعهم لمالك الملك واعلم
غرّه رأيه فلم يك حبُّ
بورك الوفد إذ أتى الكوكب الدُّ
يتلقّى السنا تبين به السبل
ورد الدين صافيًا ما يضاويه
وقضى أمره فغادر منه
راح يخفي إيمانه ويهدُّ القـ
ليس للشرك قوة تعصم النفـ
قال يا قوم إنه يتلظى
سامنا خطة تشقُّ علينا
نهدم اللات صاغرين ونُلغي
هاجهم جهلهم فقالوا رويدًا
قيل فالحرب لا هودة فيها
هفا الذعر بالنفوس فلانوا
أقبلوا يرغبون في ملة الله
عجبوا للآلى رموهم بمكر
سألوهم أن يسلموا فأذاعوا
رضي الله عنهم ورعاهم

وفد بني عامر بن صعصعة

جاء وفيهم عامر بن الطفيل، وأربد بن قيس «أخو لبيد الشاعر»، وجبار بن سلمى، وكان عامر قال لأربد: إذا قدمنا على الرجل «النبي ﷺ» فإني شاغل عنك وجهه، فإذا فعلت ذلك فَأَعْلُهُ بالسيف، فلما قدموا جعل عامر يكلم الرسول الكريم وينتظر أن يمضي أربد أمره وقد يبست يده على السيف فلم يستطع سله، وقال عامر للنبي: ما لي إن أسلمت، قال: «لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم»، قال: أتجعل لي الأمر بعدك؟ قال: «ليس ذلك لك ولا لقومك إنما الأمر لله يجعله حيث يشاء»، فقال عامر: أما والله لأملأنها عليك خيلًا ورجالًا، قال: «يمنعك الله (عز وجل)»، ومكث أيامًا يقول: «اللهم اكفني عامر بن الطفيل بما شئت، وابعث به داء يقتله»، فاستجاب الله له، وأسلم جبار بن أبي سلمى (رضي الله عنه) فيمن أسلم:

ولن يجد الباغي عن البغي ناصرا
من الأمر ما يُعَيِّي الكميَّ المقامرا
وأخيب أهل السوء من كان ماكرا
«بني عامر» إلا أثيماً وفاجرا؟
على غرة والجهل يعمي البصائرا
يد السوء منه تحمل السيف باترا
وماذا يردُّ السيف لو كان قادرا؟
ويرجع من يبغي به السوء صاغرا
يخادعه كيما يرى الدم مائرا

بني عامر ردوا عن الشر «عامرًا»
أصاب هوى من نفس «أربد» فابتغى
وجاء بمكر لا محالة خائب
أناشدكم هل صاحب الوفد منهما
هما أزمعا أن يأخذا الليث خادراً
دنا الأحقق المخبول منه وهذه
يشير إليه ابن الطفيل أن اقتحم
أبى الله إلا أن يُعز «رسوله»
أطاع هواه جاهلاً وخلا به

وتطمع أن تدعى الشريك المشاطرا؟
 أكنت امرءًا من نفسه راح ساخرا؟
 وخذ حظك الأوفى من الخير شاكرا
 أصابوه غنمًا من هدى الله وافرا
 و«أريد» يلقي الحتف خزيان خاسرا
 فهدّ قواه إنه كان كافرا
 «ثمودًا» و«عادًا» والقرون الغوابرا
 على جبل لاندك في الأرض غائرا
 لقاء الردى عند التي جاء زائرا
 يضيّق بأمثالي؟ إذن لست «عامرا»
 ألاقى عليه عادِيّ الموت كابرا
 على سرجه وانساب حرّان ثائرا
 سوى حتفه المقدور قرنًا مغاورا
 سوى الخزي من ذكر لمن كان ذاكرا
 ولم تشهد الأقوام تلك المفاخرا
 فليس إلى شيء سوى الخسر صائرا
 رمته بداء يترك الطب حائرا
 فليس يرى شيئًا على الدهر ضائرا
 عن الشر لو يخشى امرؤ السوء زاجرا
 وتذهل منه اللب لو كان ناظرا
 يبيد ويبقى غالب البأس قاهرا

أتسأله يا ابن الطفيل خلافة
 لك الويل ما هذا الذي أنت قائل؟
 «جُبّار» استقم واشهد فربك واحد
 وبشر رعاك الله صحبتك أنهم
 ودع «عامرًا» يهوي به الداء خاسئًا
 رماه الذي يرمي القوى فيهدها
 بصاعقة مما رمى الله إذ رمى
 رماه بها نارِيَّةً لو تنزلت
 أبى «عامر» من شيمة جاهلية
 يقول أطاعوني وموتًا بمنزل
 جوادي جوادي ليس (لي) غير متنه
 وجاءوا به يزجيه «عزريل» فاستوى
 يجول عليه يحمل الرمح ما يرى
 فما هو إلا أن هوى غير معقب
 مضى الأمر لم يسمع عكاظ نداه
 إذا المرء لم يؤمن ولم يخش ربه
 ألحّت عليه دعوة من محمد
 رسول الهدى والخير من يزغ حقه
 لقد كان فيما قال أربد زاجر
 رأى آية تغتال همة نفسه
 كلاءة رب كلّ أصيد غالب

ضمام بن ثعلبة (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)

بعثت بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله ﷺ، فسأله عن الإسلام فأكثر، وهدهاه الله فأسلم، ثم رجع إلى قومه فقال لهم: إن الله (تعالى) قد بعث رسولاً، وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه، وقيل إنه أول ما تكلم سب اللات والعزى، فقال له قومه: مه يا ضمام، اتَّقِ البرص، اتَّقِ الجذام، اتَّقِ الجنون، فقال لهم: ويلكم، والله إنهما لا يضران ولا ينفعان، ثم وصل ذلك بما تقدم من القول، ونطق بالشهادتين، فأسلموا جميعاً.

واخشع ضمام فأنت في حرم الهدى
أفما رأيت الكوكب المتوقدا؟
صدع الظلام فقد عرفت محمدا
ليل العمى وحذار أن تترددا
واتبع شريعته إماماً مرشدا
وانقع صدك فقد أصبت الموردا
يرجو الصواب وإن ألحَّ وشددا
حق وحسبك مغنماً أن تشهدا
ما كنت لو كبرتُ عليك لتسعدا
ما كنت تطمع قبلها أن تُحمدا
كانت له شرقاً أشم وسؤددا

أنخ البعير فقد بلغت المسجدا
اضللت حين سألت أين محمد؟
إن كنت تعرف مطلع النور الذي
هو ذاك فاصدع يا ضمام بنوره
اسأله واسمع ما يقول وواله
اجمع قواك فقد بلغت المنتهى
قل ما تشاء فلن يضيق بسائل
كل الذي قال النبي وقلته
ولقد سعدت بها شهادة مؤمن
حمد النبي وصحبه لك شيمة
ولربما ازدان الفتى بسجيّة

* * *

رَضِيَ الهدى ديناً وعاد بنعمة	يدعو إلى الله النفوس الشُّرَّدا
وضح السبيل لقومه فتدققوا	زمرًا يريدون النجاة من الردى
خلصوا على يده فيا لك من يد	فتحت لدين الله بابًا موصدا
أبشر ضمَام فأنت جاوزت المدى	وبلغت في الحسنَى المكان الأبعدا

وفد بني عبد القيس من بلاد هجر بالبحرين

جاءوا إلى النبي ﷺ قبل فتح مكة، وفيهم الجارود، وكان نصرانيًا، وقال له: إن كنت نبيًّا فأخبرنا بما أضمرنا، فأخبرهم فأسلموا، كان رئيسهم عبد الله بن عوف الأشج، وكان أصغرهم سنًّا، وفيه دمامة، ولحظ هذا المعنى في نفس النبي، فقال: يا رسول الله، إنه لا يستقى في مسوك — جلود — الرجال، وإنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه.

قال لهم (صلوات الله وسلامه عليه): «مرحبًا بالقوم الذين جاءوا غير خزايا ولا ندامى»، ثم أمرهم بإقامة الدين، ونهاهم عن الخمر، فألحوا ليأذن لهم فأبى، وذكر لهم صفة بلادهم فتعجبوا، وكان فيهم شيخ مجنون فمسح على ظهره ودعا له فبرئ، وكسي شبابًا وجمالًا.

يبتغي الدين ويأبى من كفر
زمرة ما مثلها بين الزمر
وخيار الناس أولى بالظفر
ساطعه الحجة وضّاح الأثر
أرسل القوم إلى هادي البشر
فأتى ينظر مصداق الخبر
من يقين الأمر ما كان استتر
ولديه من مزيد مُدّخر
في زوايا الغيب عنه فظهر

مرحبًا بالوفد وافى من هجر
لا خزايا لا ندامى إنهم
ظفروا إذ قبّلوا خير يد
نزل الحق على شاعرهم
صدق الجارود إن الله قد
جاء في إنجيل عيسى ذكره
لم يزل يسأله حتى بدا
زادهم من علمه ما زادهم
كشف الله له عمّا انطوى

هذه الأرض وهذا نخلها
آثروا الإسلام دينًا وانقضى
أُمرُوا بالخير طُرًّا ما لهم
لهجوا بالخمير ثم ازدجروا
وفد عبد القيس لا تعدل بكم
ليس في الخمر شفاء لامرئ
إحذروها إنها المكر الذي
هي للآقوام شرٌّ وأذى
ليس من برٍّ فأرضى ربه
حسبكم ما كان منها وكفى
في رسول الله إذ نبأكم
انتهوا عن كل ما عنه نهى

تتراءى فيه أنواع الثمر
ما أضلَّ القوم من دين نُكر
منه بدُّ ونُهوا عن كل شر
وعن الخمر غنى للمزدجر
ظلمة الرأي عن النهج الأغر
من سقام أو وقاء من ضرر
مكر الشيطان في ماضي العصر
وهي للبغضاء نار تستعر
مثل من أرضى هواه وفجر
ما رأيتم أو سمعتم من عبر
ببلايا الخمر آيات كُبر
وافعلوا من كل أمر ما أمر

* * *

اسألوا هذا الفتى عن شيخكم
صورة زالت وأخرى برزت
اسألوا الحاضر عمَّن غاب أو
ذهب المجنون مهدود القوى
قدرة الله تجلَّت في يد

واسألوني عن أعاجيب القدر
من تصاوير المليك المقتدر
فاسألوا الغائب عمن قد حضر
وأتى العاقل مشدود المرر
لعظيم الجاه ميمون الأثر

وَفَدَّ بَنِي حَنِيفَةَ

جاءوا ومعهم مسيلمة الكذاب يسترونه بالثياب، سأل النبي ﷺ أن يشركه في الأمر «النبوة» وكان في يده عسيب فقال: «لو سألتني هذا ما أعطيتكه»، ولما عاد إلى اليمامة ادَّعى أنه أشركه معه، وصار يهذي بما يضاهي القرآن الكريم، كقوله: لقد أنعم الله على الحبل، فأخرج منها نسخة تسعى، من بين شغاف وحشا، وقوله: والطاحنات طحنًا، والعاجنات عجنًا، والخابزات خبزًا، والثارذات ثردًا، اللاقمات لقمًا، ووضع عنهم الصلاة، وأحل لهم الخمر والزنا، وعمل أعمالًا للبركة فكانت شؤمًا، وكتب إلى النبي يقول له: أما بعد، فإنني قد أشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأمر، وليس قريش قومًا يعدلون، فكتب إليه ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين».

وما أضلَّ الألى أُمسوا له تَبَعَا
تكاد تلفظه من هول ما صنعا
رجسًا مغطًى وشراً جاء مبتدعا
نفس مضللة هاجت له طمعا
فيه وشطر له يا سوء ما اخترعا
هذا العسيب الذي عاينت لامتنعا
فاعصِ الهوى وارتدع إن كنت مرتدعا
أحاط بالقوم حينًا ثُمَّتْ انقشعا

بني حنيفة ما أشقى مسيلمَةً
جئتم به في ثياب ملؤها دنس
ترمي به الأرض شيطانًا وتقذفه
يا ويله إذ تريه النجمَ في يده
رام النبوة شطرٌ للذي اجتمعت
قال النبي له لو جئت تسألني
أنا النبي وما أمري بمشترك
أضله غيهب للجهل مرتكم

وليس كالحق مرتادًا ومنتجعا
له الغرور وسوء الرأي فانخدعا
إلى اليمامة في أجلاده رجعا
فهل رأوا مثله من كاذب برعا؟
في الأمر يحمل شطرًا منه فاضطلعا
أشقى الدعاة جميعًا من إليه دعا
من الزنا ومن السمّ الذعاف معا
لا بارك الله في الدين الذي شرعا
يعلو الجبال من الأخلاق لانصدعا
لا كان من فاجر لا يعرف الورعا
ولا مردّ لأمر الله إن وقعا

خفُّوا إلى الحق يرتادون منبته
وجاء في فتنة عمياء زيّنها
إن الفساد جميعًا والضلال معًا
تلقّف الناس يغويهم ويكذبهم
يقول إن رسول الله أشركه
وراح يدعو إلى دين يُزيّنه
ألغى الصلاة وأعطى الناس بغيتهم
دين الفجور ومكروه الأمور ألا
لو راح صاحبه يرمي به جبلًا
ما الطاحنات وتاءات يرددها؟
صبرًا حنيفة إن الله قاتله

عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ

كان عدي بن حاتم شريفاً في قومه، يأخذ المرباع — ربع الغنائم — على عادة سادات العرب، فلما سمع بقدوم جيش المسلمين إلى بلاده لحق بالشام ليبقى على دين النصرانية مع أهله وترك أخته سفانة — ومعناها الدرة، فلم يأخذها معه، وجيء بها إلى النبي ﷺ سبية مع السرية التي أرسلها لهدم «الفلس» — صنم طيء — والإغارة عليها، فقامت إليه تذكر أباه، وما كان له من أعمال مشكورة، وتسأله أن يمن عليها ففعل، فأسلمت وكساها ثم حملها وأعطاهها مالاً، فذهبت إلى أخيها وأشارت عليه بالدخول في دين الله، فجاء وأسلم.

ودع دين من يبغي العمى غير نادم
يدين به المبعوث من آل هاشم
وما أنت من بلوى القتل بسالم
وتذهب حيرى في مدبِّ الأرقام
مكانك أم أنت امرؤ غير عالم
برأيٍ يُجَلِّي ظلمة الشك حازم
تجنَّب من يختارها كل لائم
وضاء الحوايا والخطى والمناسم
محلاً تمنى مثله كل قادم
تدين به فاشهد تكن غير آثم
كدأب الألى سنوه من كل ظالم؟

إلى الله فارغب يا عدِيُّ بن حاتم
إلى الله فارغب واتبع دينه الذي
خرجت حذار القتل من آل طيءٍ
كفى النفس قتلاً أن تضلَّ حياتها
أما ضقت ذرعاً إذ علمت من العمى
عدِيُّ استمع أنباء أختك واستعن
صغا قلبه فاخترها خطة هدى
وسارت مطاياها توؤم محمداً
فأنزله في داره وأحلَّه
وقال له إني لأعلم بالذي
ألم تأخذ المرباع وهو مُحَرَّم

فقال بلى إني إلى الله تائب وإني رأيت الحق ضربة لازم
لأنت رسول الله ما فيك مَرِيَّة لمن يمتري والحق بادي المعالم
تداركت بالإسلام نفسي فأصبحتُ بعافية من دائها المتفاقم
هو العصمة الكبرى إذا لم تفز بها نفوس البرايا خانها كل عاصم

* * *

تَأَمَّلْ عَدِيَّ ما يقول محمد ونبة من القوم العدى كل نائم
سيبسط دين الله في الأرض ظله ويحكم من ساداتها كل حاكم
وسوف يفيض المال في كل موطن وأرض فما من آخذ أو مُزاحم
وتخرج ذات الخدر ما إن تروعها إساءة جانٍ أو مضرة جارم
فتُقبِلُ من بصرى إلى البيت ما لها على الضعف وإلٍ من حماة المحارم
هو الله فاعرف يا عدي سبيله ودعْ خطرات الوهم من كل واهم

عُروة بن مسيك المرادي وَاسْمُهُ فِرْوَة فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ

ترك ملوك كندة وراء ظهره، ووفد على النبي ﷺ، وكان بين قومه مراد وبين همدان قبيل الإسلام وقعة أصابت فيها الثانية من الأولى ما أرادت في يوم يقال له الروم، فقال له النبي: «هل ساءك ما أصاب قومك يوم الروم؟»، قال: يا رسول الله، من ذا يصيب قومه ما أصاب قومي يوم الروم، ولا يسوءه؟ فقال له: «أما إن ذلك لم يزد قومك في الإسلام إلا خيرًا»، وقد استعمله على مراد وزبيد، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله ﷺ.

من يترك التيجان واهية العرى
يمن وحسبك ما تشاهد أو ترى
نفس تريك مكانه والمظهرها
بل هز نفسك واعظًا ومذكرا
خيرًا وكان لهم أجلٌ وأكبرا
فيهم وأصبح عهدها قد أدبرا
في دولة الإسلام عالية الذرى
نعم الرفيق إذا اللبيب تخيرا
تُجَبَى إِلَيَّ فما أحق وأجدرا
للخير في كل الأمور ميسرا
تنيا إذا أحدٌ ونى أو قصرا

ترك الملوك ملوك كندة وانتحى
حُيِّيت عُروة إنه لك مَقْدَم
عطف النبي عليك وانبسطة له
ما كان يوم الروم من أوطاره
ما أورث الإسلام قومك زادهم
الجاهلية قد عَفَتْ آثارها
كانت لهم موتًا فتلك حياتهم
هذا رفيقك ما لقومك غيره
إني جعلت لخالد صدقاتهم
ولقد أقمته عاملاً فكن امرءاً
سيرا على بركات ربكما ولا

وفد بني زبيد

جاءوا ومعهم عمرو بن معد يكرب الزبيدي، وقد كان قال لابن أخيه قيس المرادي: إنك سيد قومك، فانطلق بنا إلى محمد لنبلوا أمره، فإن كان نبياً كما يقول فلن يخفى عليك، فأبى عليه قيس وسفّه رأيه، وجاء عمرو فأسلم، فلما علم قيس قال: خالفني وترك أمري ورأيي، وتوعد عمراً، فقال عمرو من أبيات:

يريد بنفسه شد المزاد
عذيرك من خليلك من مراد

فمن ذا عاذري من ذي سفاه
أريد حياته ويريد قتلي

طال منه وتفزع الفرسان
حين تدعى القروم والشجعان
حمي الضرب واستحرّ الطعان
ض ذكر مجلجل رنان
ليس فيهم لغيرك اليوم شان
دل عنها وحيثما كنت كانوا
أن تقام الأصنام والأوثان
فى علينا الدليل والبرهان
فعلينا الولاء والإيمان
فتمادى الهراء والهذيان؟

وفد الفارس الذي تفرق الأبـ
جاء عمرو وأبى قرم كعمرو
ما له في الرجال كفؤ إذا ما
راع صماصمه وشاع له في الأر
قال يا قيس أنت سيد قوم
أيما خطة أردت فلا تعـ
سرّ معي تنظر الذي راح ينهى
إنه إن يكن نبياً فلن يخـ
ومن الحق أن يكون مطاعاً
قال يا عمرو هل أصابك مسّ

لأبى أنثى إن لآن منك العنان	ما أنا بالذى يلين عنانى
س فما بى لمثله إذعان	إن تكن مذعنًا لمن فتن النأ
وتقضى النداء والبهتان	ذهب الفارس الزبيدُ فردًا
ر بأرجائها ويُرجى الأمان	يطلب الساحة التى يُطلب الخيـ
كل حين ويسطع الفرقان	مهبط الوحي يرتع الروح فيها
فصفت نفسه وطاب الجنان	رضيَ البرّ والمروءة دينًا
إن قيسًا لثائر حرّان	زال عنه الأذى فما خطب قيس؟
ري فمنه الإباء والعصيان؟	قال يا ويحه أآمره أمـ
فيرى موضعي وكيف يُدان	لأذيقنّه الجزاء أليماً

* * *

س فتعمى العقول والأذهان	هكذا تصنع الجهالة بالنأ
ق ومنهم عميان	ومن الناس مبصرون يرون الحـ

وَفْدُ كُنْدَةَ

كانوا ثمانين أو ستين رجلاً، فيهم الأشعث بن قيس، جاءوا وعليهم جيب الحرير الحبرة من صنع اليمن، وقد سرحوا شعورهم، فلما دخلوا على النبي ﷺ حيوه تحية الجاهلية «أبيت اللعن»، فقال: «لست بملك، وإنما أنا محمد بن عبد الله»، قالوا: لا نخاطبك باسمك، قال: «أنا أبو القاسم»، فقالوا: يا أبا القاسم، إننا خباناً لك شيئاً فما هو؟ وكانوا خبئوا عين جرادة في ظرف سمن ليختبروه، فقال: «سبحان الله! إنما يفعل ذلك بالكاهن»، قالوا: كيف نعلم أنك رسول الله، فأخذ كفاً من حصباء وقال: «هذا يشهد أنني رسول الله» فسبح الحصى في يده، فأسلموا وتلا عليهم: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ حتى بلغ قوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾، فسكت ودموعه تجري، فقالوا: أمن مخافة من أرسلك تبكي؟ قال: «إن خشيتي منه أبكتني، بعثني على صراط مستقيم مثل حد السيف إن زغت عنه هلكت»، ثم تلا: ﴿وَلَيْنٌ شَتْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ الآية، ثم نهاهم عن لبس الحرير، فشقوقه من أعناقهم وألقوه.

عليه من النعماء أودية الجبر
من الكحل في الأجفان أو مرسل الشعر
تحية بها أهل الصوالج والسرر
من المعشر الضلال في سالف العصر
رأها من اللغو المذمم والهذر
فلا أنا ذو ملك ولا بي من أشر
وإني ابن عبد الله من ذلك النفر

ألا إن هذا وفد كندة قد أتى
رواء من العيش الرخي وبهجة
دنا ثم حياً سيد الرسل بالتي
يقول أبيت اللعن قول الألى خلوا
أباها رسول الله منه تحية
وقال دعوها عادة جاهلية
خذوا هذه عني فإني محمد

لعمرك أمر ما يلائمنا عسر
أبو القاسم ادعوني بها كنية تسر
أأنت رسول الله يهدي بك البشر؟
خبأنا من الأشياء نبلو ونختبر؟
ومهلًا فهذا شاهد صادق الخبر
فلم يك فيها بالعيي ولا الحصر
وقالوا شهدنا ما بك الآن من نكر
هدى من كتاب محكم الآي والسور
من البر والإيمان والدمع منهمر
إلى الناس منه دمع عينيك يبتدر؟
وأية نفس تأمن الله إن مكر
فما لي من واق يقيني ولا وزر
وإن جد كل الجد منه على خطر
فلله علم الغيب والغيب منتظر
وما تستطع من صالح الأمر فادخر
كذلك يجزي الله من بر أو فجر
ولا شيء إلا ما نهى عنه أو أمر
إذا اتبعوه من سبيل ولا أثر
هو الدين لا دين المخيلة والبطر
كدأب اللواتي في المقاصير والسُتر؟
وإن أشبهوا الأحياء موتى من الخور
تقلّب في أحشائهم كل ذي ظفر

فقالوا له ندعوك باسمك؟ إنه
فماذا به تُكنّى؟ فقال لهم أنا
دعوه فقالوا يا أبا القاسم استجب
فإن يك حقًا ما تقول فما الذي
فقال رويدًا إنني لست كاهنًا
ومدّ يمين الخير يملؤها حصى
قضوا عجبًا ممّا يسبح ربه
هداهم إلى دين الحياة وزادهم
تلا ما تلا فالقلب لله خاشع
فقالوا أمن خوف الذي أنت مرسل
فقال أجل إنني أخاف عذابه
بُعِثْتُ بدين إن أمل عن صراطه
صراط كحد السيف لا يبرح الفتى
فلا تغترّ نفسي بشاهد حالها
من الخير فاستكثر لنفسك واستزد
لكل امرئ من شأنه ما أعدّه
نهى القوم عن لبس الحرير نبئهم
أطاعوه لا يبغون غير سبيله
وإن الذي ينهى النفوس عن الهوى
أدأب الألى في الحرب يصلون نارها
إذا ترك القوم الجهاد رأيتهم
وإن لم تكن أظفارهم جنة لهم

وفد أزد شنوءة

قدم على الرسول الكريم جمع من الأزد، وفيهم صرد بن عبد الله الأزدي، وكان أفضلهم، فجعله أميرًا على من أسلم من قومه، وأمره أن يجاهد بهم من يليه من المشركين من قبائل اليمن، فخرج حتى إذا أتى مدينة جرش من مدائنهم حاصرها بمن معه من المسلمين قريبًا من شهر، ثم رجعوا عنها، فظن أهلها أنهم ارتدوا منهزمين، فانطلقوا وراءهم، فأدركوهم عند جبل يقال له: شكر، فقتل المسلمون منهم خلقًا كثيرًا.

فما أطيّب المثوى وما أشرف الحمى
لمن كان يرجو أن يفوز ويغنما
يريد سواه منزلًا أو مخيمًا
من النور ما يجلو الغياهب عنهما
أجل بني الدنيا جميعًا وأعظمًا
فجاد به نورًا مبينًا وأنعمًا
بهم من يليهم من رجال ذوي عمى
لكم همم يرمي بها الله من رمى
أذى الوهم من عمّارها من توهمًا
مشاهد هزّته فحيا وسلما
ألم يكفهم أن يضحكوا السيف والدّما؟
سوى النحر تلقاه قضاء محتمًا
ليُلقي الذي يُلقي من القول ملهما

هنا يا سِراة الأزد حطّوا رحالكم
هنا البرّ والتقوى هنا الخير كله
هنا المنزل الميمون ما من مُوفق
أجل يا ابن عبد الله عينيك واقتبس
تبين هداك الله إنك ناظر
هداكم به ربّ تدارك خلقه
وولّك أمر القوم تمضي مجاهدًا
شكت جرش طول الحصار وما اشتكت
رجعتم تريدون المكيدة فاعترى
رأى شكر من خطبهم وبلائكم
أكنتم كما ظنوا تخافون بأسهم؟
هم البدن بدن الله ضلّت فما لها
كذلك قال الصادق البرّ إنه

أكان حديثًا للرسولين ساقه لقومهما أم كان جيشًا عرمرما؟
هما نبأهم فارعوا عن ضلالهم وقالوا رسول جاء بالدين قيما
وأصبح نور الله ملء ديارهم يضيء لهم ما كان من قبل مظلمًا

رَسُولُ مَلُوكِ حَمِيرَ وَحَامِلُ كِتَابِهِمْ

جاء رسول ملوك حمير وحامل كتابهم إلى النبي ﷺ بعد غزوة تبوك، وفي الكتاب إخبار بإسلام الحارث بن عبد كلال والنعمان ومعاfer وهمدان قبيلة وأنهم قتلوا المشركين، فكتب إليهم يوصيهم بالصلاة والزكاة وجمع الكلمة على الحق، وأنه قد أرسل إلى زرة ذي يزن يوصيه خيرًا برسله، معاذ بن جبل وعبد الله بن زيد ومالك بن عباد، وعقبة بن نمر ومالك بن مرارة وأصحابهم، وأنه قد جعل أمرهم إلى معاذ فلا يرجعن إلا راضيًا.

واليمن في فمه وفوق جبينه
بالمؤمنين من الملوك بدينه
أن ليس مُتَّبَع لهم من دونه
دين الهدى والمرء عند يقينه
فتحًا يشجُّ الشرك في عرينه
لمسلط لين الظبي من لينة
فتهافت الأقوام في مسنونه
يشفيه من كلب الهوى وجنونه
والليث في أشباله وعرينه
فيها الهدى يمحو الظلام لحينه
لمن ابتغى الخيرات في تمكينه
ونظام دولته وأُسْ شئونه
متبجج لم يأل في تبيينه

جاء الرسول كتابه بيمينه
وافى إمام المرسلين مبشّرًا
بعثوا إليه رسولهم وكتابهم
قالوا اعتصمنا باليقين فزادنا
ولقد قتلنا المشركين نريده
أقيال حمير لان جانب عزهم
سنَّ السبيل بسيفه ولسانه
لا شيء كالحق المسلح للفتى
الليث في محرابه وكتابهِ
رجع الرسول على هدى برسالة
فيها قوى الإسلام محكمة العرى
فيها شعائره ومظهر مجده
أخذ الملوك بواضح من هديه

ورمى إليهم بالوصية سمحة	يقضي الأمين بها زمام أمينه
إن أكرموا رسلي الذين ترونهم	يرجون فضل الله عند ديونه
أوصيت زرعة أن يكون لهم يداً	كيد القرين يشدُّ أزر قرينه
ولقد جعلت إلى معاذٍ أمرهم	فجعلته لزعيمه وضمينه

* * *

لا يرجعنَّ إليَّ إلا راضياً والله عون نصيره ومعينه

* * *

يا حارث اشكر فضل ربك إنه	أعطاك حظاً زاد في تحسينه
أولست أول مسلم من حمير	ورد الهدى ومضى بصفو معينه؟
وأقام للشرك المذمم مأتماً	يستعذب الإسلام رجع أنينه؟
أبشر بخير غير مقطوع الجنى	من ربك الأعلى ولا ممنونه

رسول فروة بن عمرو الجذامي

وفد رسول فروة على النبي ﷺ يخبره بإسلامه، وحمل إليه هديته، وهي بغلة بيضاء يقال لها فضة، وحمار يقال له يعفور، وفرس يقال لها الظرب، وثياب معها قباء مرصع بالذهب، وكان فروة عاملاً للروم على من يليهم من العرب، فلما أسلم أخذوه وحبسوه، ثم ضربوا عنقه وصلبوه بعد أن قال له الملك: ارجع عن دين محمد، ونحن نعيدك إلى ملكك، قال: لا أفارق دينه فإنك تعلم أن عيسى (عليه السلام) بشر به، ولكنك تضمن بملكك.

أوليس نور الله قد كشف الدجى؟
كمن استقام ولا الضلالة كالهدى
لهو الذي يشفي القلوب من العمى
فيها لنفسك كل ما تهب المنى
كل الذي لك لم تزد إلا غنى
صرف العنان عن الغواية وارعوى؟
في المعشر الطلقاء من سجن الهوى
إيمانه ما جرّعوه من الأذى
رأي الألى ضلوا السبيل ولا غوى
إن كنت تؤثر أن تردّ على رضى
في ذلك الحرم الممنّع والحمى
من نعمة خضراء دانية الجنى

هذا السبيل فأين يذهب من أبى؟
ليس الذي ركب الغواية فالتوى
أحسنّت فروة إن دين محمد
هذا رسولك جاءه بهدية
أنت السعيد بها ولو أتبعته
ماذا يغيظ الروم من مستبصر
سجنوه حين رأوه يطلق نفسه
وتكنّفوه ليفتنوه فزاد في
لو يعقل الملك الغبى لما رأى
قال اعتزل دين الذين همّ العدى
لك عند قومك ما تحب وتشتهي
المجد والشرف الرفيع وما ترى

قال اقتصد ما أنت أنت ولا أنا	أنا قد مضى من أمرنا ما قد مضى
إني اصطفيت محمدًا وهو الذي	أوصى به عيسى فنعم المصطفى
وأراك تعلم غير أنك مولع	بالمك تكره أن يكون له مدى
قال اقتلوه فراح يلقي ربه	فرحًا بما حفظ الأمانة واتقى
صلبوه من حنق عليه فويحهم	أفلم يكن في قتل فروة ما كفى
نعم الشهيد وبئس ما صنعوا به	وسيعلمون لمن يكون المنتهى
تلك العقيدة حكمها وسبيلها	إما سبيل المؤمنين أو الردى

وفد بني الحارث بن كعب

بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني الحارث بن كعب بنجران، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم، فخرج حتى قدم عليهم، وبعث الركبان يضربون في كل وجه، ويقولون: أيها الناس أسلموا تسلموا، فأسلموا، وقام فيهم يعلمهم شرائع الإسلام، وكتب بذلك إلى النبي، فكتب إليه أن يوافيه ومعه وفدهم، فجاءوا وفيهم قيس بن الحصين... ذو الغصة، وحين اجتمعوا به قال: «بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية؟»، قالوا: كنا نجتمع ولا نتفرق، ولا نبدأ أحداً بظلم، قال: «صدقتم»، وأقر عليهم زيد بن الحصين، ومات ﷺ بعد رجوعهم إلى قومهم بأربعة أشهر.

أذهب الرجس عنكم الإسلام
فاستجبتم ما عابكم إجماع
فاعرفوا دينه كيف يقام
سي وسوء الصنيع فيه حرام
وهو حق مؤكد وذمام
قُضِيَ الأمر واستراح الحسام
أن تضلَّ العقول والأحلام
في حمى الله منزلاً لا يرام
هذه يثربُ وهذا الإمام
عرف الناس أو رأى الأقوام
بعض هذا ولا الملوك العظام

يا بني الحارث بن كعب سلام
جاءكم خالد بدعوة حق
عظمت نعمة النبي عليكم
كل ما تكره النفوس من البغ
لا يحل القتال إلا بحق
أنتم القوم ما عليكم ملام
وعجيب إذا بدا الحق طلقاً
يا بني الحارث بن كعب نزلتم
ها هنا ها هنا يطيب المقام
أرأيتم عزَّ النبوة فيما
لا النبيُّون أول الدهر نالوا

قال وهو العليم إذ كلّم القو
بم كنتم في الجاهلية تستعلون
فأجابوه ذلكم أننا كنا
صادقي البأس للقلوب اتحاد
صخرة ما تطير أو تتفرّى
ثم كنّا لا مبدأ الناس بالظلم
نكره الشر قادرين ونأبأ
قال حقاً صدقتم وما كا
إن زيّداً أميركم فاعرفوه
سنّة الله ليس للقوم بدٌّ
عُدّ بخير يا ابن الحصين ونُعمى

م ومن مثله يطيب الكلام
بالنصر حين يحمي الضرام
جميعاً تضمُّنا الأرحام
حين تمضي وللصفوف التّئام
إن تفرّى الحصى وطار الرغام
م نعا ف الذي الذي يعاف الكرام
ه وللشر في النفوس اضطرام
ن ليرجى للظالمين دوام
واستقيموا لكل أمر نظام
من رئيس يُلقى إليه الزمام
إنك اليوم للرئيس الهمام

رفاعة بن زيد الخزاعي

وفد على الرسول ﷺ وأهدى إليه غلامًا كان معه، وأسلم وحسن إسلامه، فأرسل معه كتابًا إلى قومه بأنه موكل بدعوتهم إلى الإسلام لمن يجيب الدعوة مهلة شهرين فأسلموا.

يبغي الذي تبغي ولا متلوم
وقدمت تتبعه فنعم المَقدم
دينًا هو الشرف الأجلُّ الأعظم
من قوة الله التي لا تهدم
فعليك بالإيمان فهو السلم
واطو الجواء فأنت أنت القشعم
سببًا ولا تسمو النفوس الحوم
خدم السعيد فكان ممن يخدم
وسماؤها وهو الأعزُّ الأكرم
واعزم رفاعة إن مثلك يعزم
كتبْتُ يد فيما يخط ويرقم
أن يتبعوك إلى التي هي أقوم
فالله يقضي ما يشاء ويحكم
شهرًا لمن يبغي المحجة منهم؟

أقبل رفاعة لا مُعَرَّجَ لامرئ
جئت الرسول المجتبي من ربه
أكرمت نفسك فانطلقت تريده
يبني الحياة على أساس ثابت
إن شئت أن ترقى بنفسك صاعدًا
وهو الجناح فإن ظفرت به فطر
لا تنهض الهمم الكبار بغيره
سعد الغلام كما سعدت وربما
عزَّت بسيده العوالم أرضها
أمضى إليه بأمر قومك فاضطلع
وخذ الكتاب مباركًا ما مثله
اقرأه متئدًا عليهم وادعهم
ولمن عصاك مدى فإن بلغوا المدى
أوما كفى شهر يجر وراءه

سمعوأ الكتاب فشأيعوك وأسلموا	لله قومك يا ابن زيد إنهم
من فضله الأوفى الكريم المنعم	نور على نور ونعمى زأدها
وإلى الحقائق يهتدي من يعلم	علمتْ خزاعة بعد جهل فاهتدت
أربى فأنت السابق المتقدم	إن تذكروا فضل الرجال وأيَّهم

وفد همدان

وفد منهم على النبي ﷺ جمع فيهم مالك بن نمط، وكان شاعرًا مجيدًا، فلقوه عند مرجعه من تبوك عليهم مقطعات من الحبرات؛ ثياب قصار من برود اليمن، وعمائم عدنية، على الرواحل المهرية والأرخبية، وجعل مالك يرتجز بين يديه.

إليك جاوزنا سواد الريف في هبوات الصيف والخريف
مخطمات بحبال الليف

وقد أمره الرسول الكريم على من أسلم من قومه، وفي رواية مرجحة أنه أرسل إليهم خالد بن الوليد يدعوهم إلى الإسلام، فأقام ستة أشهر وهم لا يجيبون، فبعث إليهم عليًا (كرم الله وجهه)، وأمر خالدًا بالرجوع إليه، فصاف علي أصحابه وقرأ عليهم كتاب النبي فأسلموا جميعًا، وكتب بذلك إليه، فخر ساجدًا ثم رفع رأسه وقال: «السلام على همدان» مرتين.

هو وفدهم وهم الفريق الطيب	ما فاتهم من كل خير مطلب
طابت منابتهم فطاب صنيعهم	إن الرجال إلى المنابت تنسب
إلا يطيعوا خالدًا إذ جاءهم	فلكل أمر موعد يترقب
سدوا السبيل عليه ستة أشهر	وأتى عليٌّ بالكتاب فرحبوا
همدان أهل للجميل وعندهم	غوث الصريخ ونجدة ما تكذب
نصر الحماة الصادقين وصبرهم	والحرب حرى والفوارس هيب
شهد النبي لهم فتلك صفاتهم	تملي محاسنها عليٌّ وأكتب

يرضون ملته فيسجد شاكرًا
ويذيقهم برد السلام مَرَدَّدًا
أوتاد هذي الأرض أو أبدالها
يمضي الزمان وهم ولاة أمورها
تلك الولاية لا ولاية معشر
جاءوا عليهم رونق ونضارة
صنع البرود لهم فأحسن صنعها
تهفو يمانية على أجسادهم
من كل وضاح الجبين معمم
زانوا الرحال بما أفاءت مَهْرَة
جاءوا بشاعرهم فمن أنفاسه
حيًا رسول الله يظهر حبه
حيا الشمائل كالخمائل فالربى
حيّاه مرتجزًا وإن لمالك
قل يا أبا همدان واشهد أنه
هو ذلكم ما من رسول غيره
ما فيه من شك وليس كمثله
أنت الأمير على الألى اتبعوا الهدى
خذهم بأداب الكتاب وكن لهم
واعمل لربك جاهدًا لا تأله

لله جل جلاله يتقرب
عذبًا كماء المزن أو هو أعذب
منهم فمشرقها لهم والمغرب
في دولة أبدية ما تذهب
يبقون ما غفل الزمان القلب
يصف النعيم لبأسهم والمركب
وأجادها صنعُ اليدين مدرّب
فتكاد حسنًا بالنواظر تنهب
وكأنه مما يهاب معصب
من نسلها الغالي وأنجب أرحب
أرج كنفع الطيب أو هو أطيب
إن الكريم إلى الكريم محبّب
تبدي البشاشة والخمائل تطرب
لأعز ما ملك البيان المعجب
لحق ما لك دونه متنكب
فيميل عنه أخو الرشاد ويرغب
للعالمين معلّم ومهذّب
والحق من همدان أو أنت الأب
مثلًا من الشيم الرضيّة يضرب
دأبًا فليس يفوز من لا يدأب

وَفْدُ تُجَيْبَ

تُجَيْبَ — ويجوز فتح تائها — قبيلة من كندة، جاء وفدها إلى النبي ﷺ وكانوا ثلاثة عشر رجلاً يسوقون صدقات أموالهم، فُسِّرَ بهم وأكرم مثوَاهم، وقالوا: إنا جئنا بحق الله في أموالنا، فقال: «ردوها فاقسموها على فقرائكم»، قالوا: ما جئنا إلا بما فضل عنهم، فقال أبو بكر: ما قدم علينا مثلهم، قال الرسول الكريم: «إن الهدى بيد الله (عز وجل)، فمن أراد به خيراً شرح صدره للإيمان»، وسأله عن القرآن والسنن فزاد سروراً بهم، واستأذنه في الرجوع، ودعوه، فأرسل إليهم بلالاً بأسنى الجوائز، وقال: «هل بقي منكم أحد؟»، قالوا: غلام خلفناه على رحالنا، قال: «أرسلوه»، فأقبل يقول: قد قضيت للناس حوائجهم، فاقض لي حاجتي، وهي أن تسأل الله أن يغفر لي ويرحمني، ويجعل غناي في قلبي، ففعل وأمر له بجائزة.

فسمح وأما منتواه فصالح
من المال يهديه سنّاً منه واضح
رسول لمن يبغى المحبّة ناصح
وحسبي من الخيرات ما الله مانح
فينعم مكروب وينهض رازح
له حاجة تُطوى عليه الجوانح
كمقدمهم منا العيون اللوامح
فما مثله إذ يمدح القوم مادح
ولن تسأم الحق العقول الرواجح

تجيب بعثت الوفد أما سبيله
أتى في زمام الله يؤتبه حقه
فأكرم مثوَاهم وأعلى مكانهم
وقال لهم ما بي إلى المال حاجة
خذوه فردّوه على فقرائكم
فقالوا كفيّناهم فما منهم امرؤ
وقال أبو بكر هم القوم ما رأّت
وسرّ رسول الله حسن صنيعهم
فلما استزادوه من الحق زادهم

ظماء بها من وقدة اللُّوح لافح
ولا مثله فيمن شفى الداء ناصح
تُشيّعهم منه العطايا الدوالح
جوائزهم إن التقى لرابح
فيعطى ويلقى قومه وهو فارح
على وجهه وسم من الخير لائح
فواعجبي أين النهى والقرائح؟
ولي حاجة بالباب واللّه فاتح
ويرحمني إني إلى ذاك طامح
غنى القلب إن المعدم القلب طامح
فلم يبقَ من حاجاته ما يطارح
وطابت بتقوى الله منه الجوارح
يهون به عادٍ من الخطب فادح
إذا جهل الأقوام والجهل فاضح
شقيّ ولا ناءٍ عن الرشد جامح
لهم شرف عالٍ مقيم وبارح
من الناس غادٍ في البلاد ورائح
وإن صاح بالبهتان والإفك صائح
تطاريبها هذي الطيور الصواح
وإن لجّ مفتون وأرجف كاشح
يناضل عن أحسابها وينافح؟
وجلّتُ فما ضاقت عليّ المنادح
وإني لما يُرضيك مني لكادح
يقوم به إن غيّبتني الصفائح؟
فلم يبقَ إلى ما تعودَ مازح
وحاقت بأبناء البلاد الجوائح

رأوا موردًا عذبًا فألقوا بأنفس
فما مثلهم فيمن هدى الله وارد
هم استأذنوه في الإياب وودّعوا
بلال انطلق خلف الرجال فأعطهم
وسلمهم أفيهم من تأخر رفده؟
فقالوا غلام في الرجال مخلف
وجاء يقول القول برًا وحكمة
قضيت رسول الله حاجة قومنا
سل الله أن يرضى فيغفر حوبتي
بهذين فادعُ الله لي ثم بالغنى
دعا بالذي ودّ الفتى وأجازه
صفا قلبه من كل شيء يشوبه
وإن له بعد النبيّ لمشهدًا
سيكفي أبا بكر تقلّب قومه
همُ النفر الأخير ما في رحالهم
أقاموا كرامًا ثم عادوا أعزة
فما فاتهم خير ولا نال سعيهم
ألا إنه الإسلام لا مجد مثله
أغنّي به فليطرب الدهر ولتدع
وإني لأقضي للعروبة حقها
وماذا على الأعداء إن قام ماجد
نصبت لها نفسي فما لان جانبي
لك الحمد ربي إنها لك نعمة
فيا رب هل للشعر بعدي خليفة
أرى الجدّ أودى إذ أبى الجدّ أهله
ألحوا على الأخلاق فانقضّ ركنها

بقية الوفود

وترضاه ربًا ما لها غيره رب
وجاءت يظلُّ الركب يتبعه الركب
فلا شغب يؤذي النفوس ولا حرب
فلا الطعن يهديه السبيل ولا الضرب
وتكره أن يستلَّ أدواءها الطبُّ
إلى واسع الأكناف منزله رحب
قرى فاضلٌ من جوده وندى سكب
كفى ما به حتى كأن لم يكن كرب
تَقَشَّع عنه الجذب واطَّرد الخصب
تجلَّى العمى عن عينه وصحا القلب
فلا مسلك وعرٌ ولا مركب صعب
فعادوا ولا وزر عليهم ولا ذنب
لها وهج باقي على الدهر لا يخبو
تكشفت الظلماء وانجابت الحجب
فليس لمن يأباه عقل ولا لبُّ
فلا الشرق مسدود الفجاج ولا الغرب
فلا أمة تشكو الشقاء ولا شعب
أجاج وهذا طعمه سائغ عذب

توالت وفود الله تختار دينه
دعاها فلَبَّت تبتغي الحق مذهبًا
هداها إلى الإسلام رأي مسدَّد
إذا المرء لم يزجر عن الغي نفسه
وشرُّ سجايا المرء أن تؤثر العمى
ترامت بهم آمالهم ومطيئهم
جليل الأيادي ما يعبُّ نزيله
إذا جاءهم المكروه والهـم جاثم
وإن راح يستسقي به الغيث مُسنت
لكم جاحدٍ لمَّا رأى نور وجهه
به عرف القوم السبيل إلى الهدى
وفي ظله الممدود حطُّوا ذنوبهم
طهارى عليهم من سنا الحق بهجة
بني الدهر ناموا آخر الدهر أو هبُّوا
أبى الله إلَّا أن يؤيد دينه
إذا أخذ السيل الأتني سبيله
وما الدين إلَّا ما محا الشرَّ والأذى
وما يستوي البحران هذا مذاقه

قضاها لنا ربُّ السماء شريعة	مطهّرة لا الظلم منها ولا الغصب
لنا ديننا نسمو به وكتابنا	إلى حيث لا الأديان تسمو ولا الكتب
رعى الله قومًا ما رعوا غير حقه	ولا راعهم فيه ملام ولا عتب
يُحِبُّونه حبًّا تلين قلوبهم	به وهو فيها مثل إيمانها صلب
فمن يك عن حال المحبِّين سائلًا	فتلك سجاياهم وهذا هو الحب
تعلم سجايا القوم واسلك سبيلهم	أولئك حزب الله ما مثله حزب

كُتِبَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمُلُوكِ

أرسل النبي ﷺ ثمانية كتب إلى تسعة من الملوك يدعوهم إلى الإسلام، فمنهم من أسلم ومنهم من أخذته العزة بالإثم، وهم هرقل ملك الروم على يد دحية الكلبي، وكسرى ملك فارس على يد عبد الله بن حذافة، والنجاشي على يد عمرو بن أمية الضمري، والمقوقس ملك القبط بمصر على يد حاطب بن أبي بلتعة، والمنذر بن مساور العبدي بالبحرين على يد العلاء بن الحضرمي، وجيفر وعبد ابنا الجلندي ملكا عمان على يد عمرو بن العاص، وهوذة بن علي صاحب اليمامة على يد سليط بن عمرو العامري، والهارث بن أبي شمر الغساني بدمشق على يد شجاع بن وهب.

والبأس منها يثور ويعصف
فإذا العروش بهم تميد وترجف
أم تلك أجنحة تظل ترفرف؟
ترمي بهم همم نواهض قُذْفُ
دين لهم صلب ورأي محصف
تمضي فتصدع ما تشاء وتقصف
ويهابها المستكبر المتغطرف
لك حاجة ما دونها متخلف
وأبت عمايته فما تتكشف
دين وليس له شريك يعرف
وضح اليقين له يلح ويلحف

الكتب تترى والكتائب تدلف
الله وُكِّلَ بالملوك رسوله
أهي القلوب تلج في خفقاتها
رسل النبي بكل أرض جَوَّل
حملوا القلوب الصمَّ يعصمهم بها
ترمي الجلامد والحديد بقوة
يخشى العتيَّ المستبدُّ نكالها
سرَّ في ذمام الله دحية إنها
أيقظ هرقل فقد تناول نومه
أيقظه إن الله ليس كدينه
أخذ الكتاب وراح يسأل كلما

ماذا أراد الله ما شأن الذي
قل يا أبا سفيان لا تطع الهوى
أبدى هرقل لقومه أن قد صغا
غضبوا فقال رويدكم ما بي سوى
بعث الكتاب فقال إني مسلم
واختارها مما يحب هدية
قال النبي رسالة من كاشح
وهدية ساءت وساء حديثها

كسرى لك الويلات ماذا تبتغي؟
مزقت من كتب النبي تميمة
وذخيرة يجد الذخائر كلها
أطلبت من باذان رأس محمد؟
سترى اليقين على يد ابنك فانتبه
صدق النبي وذاق كسرى حتفه
ورأى الهدى باذان بعد ضلاله
نبذ الهوى فصحا وأصبح مسلماً
لا خاب جدُّ القوم إن إلههم
وأتى النجاشي الكتاب فلم يكن
شرف أتيح له وعزُّ زانه
وأبى المقوقس أن يفارق دينه
بعث الهدايا يتقي بحسانها
ضن الخبيث بملكه وغدا يرى
هذا الذي قال النبي وهكذا
والمنذر اتَّخذ السبيل مسدَّداً
سأل النبي فقال ما أنا فاعل
فقضى إليه الأمر يأخذهم به

ماذا تظن؟ بمن تُغاث وتسعف؟
فيها منابع رحمة لا تنزف
بيديه حين يصيبها المتلقف
إن لم يتب؟ بل أنت غاوٍ مسرف
لك موعد عمّا قليل يأزف
من شيرويه فما له من يعطف
فمضى على البيضاء لا يتعسف
ودعا الألى معه فلم يتخلفوا
جمع القلوب على الهدى فتألفوا
ممن يصدُّ عن الصواب ويصدف
إن التقى هو الأعزُّ الأشرف
يخشى الذي يخشى الغبي المترف
ما يتقي ذو البغضة المتلطف
يد عزه في ملكه تتصرف
صنع الذي يبني العروش وينسف
قبل الكتاب يخفُّ فيه ويوقف
بالقوم إذ ضلوا السبيل وزيفوا؟
ويقيمه بالحق لا يتحرف

للمسلمين أمورهم وله على
وطحا بجيفر جهله وعناده
ورآه يهدر بالوعيد فراعته
وانساق يتبعه أخوه وإنه
وأتى اليمامة بالكتاب رسولها
طغيان شاعرها وجهل خطيبها
طلب المحال من النبي ولم يزل
يهذي ببعض الأمر يقطعه له
والحارث المأفون طاح بلبه
ألقى الكتاب وقال ملكي ليس لي
انظر شجاع الخيل والجند الألى
واذكر لصاحبك الحديث فربما
ثم استعدَّ وجاء قيصر وافد
حمقاء يطغى الغيظ بين سطورها
ركب الغرور وقال إنني قاذف
قال ازدجر ما أنت من أكفائها
فأفاق واتخذ الخداع سجية
بعث السلام مع ابن وهب وأدعى
قال ادّخرني يا شجاع فإن لي
إنني لمتبع سبيل محمد
سمع النبي حديثه فتكشفت
ملك يبید ومالك يرجى إلى
يأبى الغويُّ الرشد يرفع شأنه
للحق مؤذنة وداع مسمع
عجب الملوك لكابرين سمت بهم
المتقون هم الملوك وإن أبوا
عكفوا على أي الكتاب فأفلحوا

من ضلَّ جزية عادل لا يُجحف
فأبى على عمرو وأعرض يأنف
وأتى غد فانقاد لا يتوقف
لمهذبٌ سمح الخلال مثقف
فكذاك يهذي الطامح المتعجرف
وغرور صاحبها المبيد المتلف
ذو الجهل يولع بالمحال ويشغف
والأمر ما قطع الحسام المرفف
خبل يصاب به العقول فتضعف
كفوٌ فينزع من يديّ ويخطف
تلقى العدو بهم تكرر وتزحف
كف المناجز وارعوى المستهدف
بصحيفة منه تصرُّ وتصرف
وتشب بالشنئان منها الأحرف
بالجيش يثرب فهي قاع صفصف
واسكن فإنك للغويِّ المرجف
لا يستحي منها ولا يتعفف
دعوى الذي يرخي القناع ويغدف
قلبًا إلى دين الهدى يتشوف
وإليك ردفك بالكرامة يردف
نفس مقنعة وقلب أغلف
أجل يحين وموعد ما يخلف
فإذا هوى ألفيته يتأسف
في كل شيء بالخلائق يهتف
هم تميل عن العروش وتعزف
رغد الحياة ولينها فتقشفوا
والجاهلون على المآثم عكف

السَّرايا

سرايا زيد بن حارثة

السَّريَّةُ الْأُولَى

كانت عقب وقعة بدر على عير لقريش فيها أبو سفيان وصفوان بن أمية وعبد الله بن أبي ربيعة وحويطب بن عبد العزى، وكانت العير ذاهبة إلى الشام عن طريق غير التي تسلكها من قبل، فخرج إليها زيد بن حارثة في مئة راكب، فأصابها وهرب القوم، وبلغ الخمس ما قيمته عشرون ألف درهم، وكان دليلهم رجلاً من أسارى بدر ثم هرب، جيء به إلى النبي ﷺ فعرض عليه الإسلام فأسلم.

أَعْلَى الغمام إلى الشام تسير؟
ما ظنّها بالنسر حين يطير؟
عسر وإن مصابكم لكبير
مما عراه مروّع مذعور
غضبى إليها بالسيوف تشير
منه إذا خاض الغمار مجير
زالوا عن الأموال وهي كثير
لله فيها فضله المشكور
خلف الألى خذله فهو أسير
هو للأسارى المرهقين بشير
تاجاً عليه من الجلالة نور
أن الحياة جهالة وغرور

نهض الغزاة فأين تمضي العير؟
زيد بن حارثة يطير وراءها
مهلاً أبا سفيان إن طلابكم
صفوان يرعد خيفة وحويطب
زولوا بأنفسكم فتلك حتوفها
هي غارة البطل المظفر ما لكم
ظنوا الظنون به فلما استيقنوا
أمسّت تساق إلى النبي غنيمة
هذا دليل العير غودر وحده
الله أطلقه على يد منقذ
عقدت من الإسلام فوق جبينه
من علم القوم العكوف على الهوى

تلك المغانم ما لها كمحمد	في الناس من أحد إليه تصير
هي قوة للمسلمين ومظهر	للقائمين على الجهاد خطير
بوركت يا زيد بن حارثة فما	لك في الموالي الصالحين نظير
إيه أمير الجند ليس كمثله	جند ولا مثل الأمير أمير

السَّريَّةُ الثَّانِيَّةُ

كانت إلى بني سليم بالجموم — اسم لناحية من بطن من نخل — سار في جنده إلى ذلك المحل، فأصابوا فيه امرأة من مزينة دلتهم على محلة من محال القوم، فأصابوا فيها إبلاً وشاء، وأسروا منها جماعة منهم زوج المرأة، ثم عادوا إلى المدينة، فوهب النبي ﷺ لها نفسها وزوجها.

بني سليم أعدوا الخيل واحترسوا	إن كان ينفعكم كرٌّ وإقدام
زيد بن حارثة زيد بن حارثة	خطب جليل وجرح ليس يلتام
هل عندكم إن تغشَّتكم سريته	للسيف سيف وللضرغام ضرغام؟
مشى إليكم فهل قرَّرت منازلكم؟	واستمسكت منكم الأعناق والهام
لولا التي انطلقت تهديه ما عُرِفَتْ	منكم ومنهن آيات وأعلام
فما الجموم وما ضمت منازلها	إلا ظنون خفيَّات وأوهام
أين الأناسيُّ جل الله هل مسخوا	لما رأوك فهم يا زيد أنعام؟
ما ثم إلا الألى أدركتهم قنصاً	لم يغنه إذ هوى خوف وإحجام
عد بالأسارى وبالغنم التي قسمت	لك القواضب إن الغنم أقسام
يا زيد ما حق من ذلك إذ صدقت	أسر تضيق به ذرعاً وإرغام
منَّ النبي عليها ثم أكرمها	في مشهد كله منٍّ وإكرام
نالت بنعمته من بعلمها هبة	زالت لها كرب شتى وآلام

* * *

بني سليم أفي دين الفسوق لكم	إلا ذنوب تغشَّاكم وآثام؟
ما أخيب النفس في الدنيا وأخسرها	إن أخطأ النفس إيمان وإسلام

يا للبلاء أيعصى الله ليس له كفو وتعبد أوثان وأصنام؟

السَّريَّةُ الثَّالِثَةُ

كانت إلى العيص، وهو محل بينه وبين المدينة أربع ليالٍ، أقبلت غير لقريش من الشام فيها أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت النبي ﷺ، فخرج إليها زيد في سبعين ومئة راكب، فقدموا به وبالعير إلى المدينة، واستجار بزینب فأجارته، وسألت النبي أن يرد عليه ماله، ففعل، وعرض عليه بعضهم الإسلام ليغنم أموال أهل مكة فأبى، وذهب إليهم، فأعطى كل ذي حق حقه، ثم أعلن إسلامه هناك، وقدم على النبي فرد عليه زينب.

يا أبا العاص أي أرض تريد؟	إن ما تبتغي لصعب شديد
سُدَّت السبل يا أبا العاص فانظر	أين تمضي إذن وأين تحيد؟
أرأيت الحديد يزجيه زيد	مستطير السنا عليه الحديد؟
إيه يا ابن الربيع تلك جنود	تتهاوى عن جانبيها الجنود
ليس للعير غيرها فدع العير	وعد سالماً وأنت حميد
بعدت مكة فلا تردنّها	وإلى يثرب فثمّ الورود
جاء صهر النبي في ناب مولا	ه ولليث حكمه إذ يصيد
رام من زينب الجوار فقالت	إن في ذا الحمى يجار الطريد
ومشت تخبر الرسول وترجو	عنده الخير والفؤاد كמיד
قال إنني أجرته فله ما	شئت عندي وماله مردود
أكرميّه فما عليك جناح	وامنحيه الجميل وهو بعيد
إنه مشرك فأنت حرام	شرعة الله فليكن ما يريد

قال قوم أسلم يا أبا العاص تغنم	مال قوم هم العدو للددود
قال كلا فلست أبداً ديني	بالتّي يأنف الشريف الرشيد
وتولّى فجاء مكة ما يُجـ	حد فيها مقامه المشهود
قال يا قوم ليس بي من جحود	إنه مالكم إليكم يعود

فخذوه فقد وفيت ورب البيد
أشهد الآن موقناً مطمئناً
بعث الصادق الأمين رسولاً
بكتاب فيه الشرائع تهدي النـ
ما حياة الشعوب في الرشك فوضى؟
ت سبحانه عليّ شهيد
أنه الله ربنا المعبود
يهدم الشرك دينه فيبيد
أس أعلامها وفيها الحدود
الحياة الإيمان والتوحيد

يا أبا العاص عدت برّاً تقيّاً
اعتزل ما مضى لنفسك في دنـ
أنت صهر النبي لا الودّ ممنو
زال ما كان من حجاب فلا الإسـ
ليس من حاجة لم تُتَح لك بعـ
ساعفتك المنى وطاب لك العيد
فهنيئاً لك المعاد السعيد
يا الخطايا فأنت خلق جديد
ع ولا الباب موصد مسدود
لام ينهى ولا الكتاب يذود
د ولا تُمّ مطلب منشود
ش ألا هكذا تواتى الجدود

السَّريَّةُ الرَّابِعَةُ

كانت إلى بني ثعلبة بالطرف — مكان — بعثه النبي ﷺ في خمسة عشر رجلاً فلم يجد أحداً، لأنهم ظنوا أن الغازي لهم هو الرسول الكريم، فهربوا، وأصابته هذه السرية نعمةً وشاء عادت بها إلى المدينة، وقد خرج القوم في طلب زيد بن حارثة فلم يدركوه.

بني ثعلبة هبوا
رماكم بابن حارثة
زعمتم أنه هو زعـ
فطارت قبل مقدمه
ونعم أخو الوغى زيد
يخوض النقع مرتكماً
تولى جمعهم فرقاً
لبئس الجمع ما صدقت
فإن الليث قد عزمـ
رسول الله حين رمى
م من يهذي وما علما
نفوس أشعرت لمما
إذا ما جدّ فاقتحما
ويحمي السيف والعلمـ
ولو لاقاه ما سلما
قواه وبئس ما زعما

تلمَّسه ابن حارثة	فلا صدداً ولا أمما
تسرب في مخابئه	فكان وجوده عدما
هلم هلم يا زيد	هلم الشاء والنمما
رويد القوم هل طلبوا	سوى ما يعجز الهمما؟
مضوا في إثره ومضى	يجرُّ حسامه قُدُما
فما بلغوه إذ جهدوا	ولا رزأوه ما غنما
رويدا عابدي الأصنا	م إن الله قد حكما
رضيتم ظلم أنفسكم	فأرداكم وما ظلما

السَّريَّةُ الْخَامِسَةُ

كانت إلى جذام بمحل يقال له «حسمى» وراء وادي القرى، سببها أن دحية الكلبي (رضي الله عنه) أقبل من عند قيصر ملك الروم ومعه من عنده مال وكساء، فلما كان بهذا المحل لقيه الهنيد وابنه في ناس من جذام فقطعوا عليه الطريق وسلبوه ما معه، فسمع بذلك نفر من مسلميهم من بني الضبيب، فنفروا إليهم واستنقذوا منهم ما أخذوه من دحية، فأخبر النبي ﷺ فبعث زيدا في خمس مئة رجل، ورد دحية معهم، فأقبل حتى هجم على الهنيد وابنه ورجاله فقتلوه جميعاً، وأخذوا من النعم ألف بعير، ومن الشاء خمسة آلاف، ومئة امرأة وصبي، وجاء بنو الضبيب فقال رجل منهم لزيد: إنا مسلمون، فقال له: اقرأ أم الكتاب إن كنت صادقاً فقراها، وذهب منهم جماعة إلى النبي يقولون مثل ذلك، فأرسل علياً بن أبي طالب بسيفه إلى زيد ليطلق سباياهم، ويرد عليهم الإبل والشاء ففعل.

أما ومضارب البيض الرقاق	تضيء النقع للجرد العتاق
لقد غرَّ الهنيدُ بني جذام	فما للقوم مما جرَّ واق
دعا سفهاءهم فمشوا إليه	وما التفتُ لهم ساق بساق
لصوص ما يبالون الدنيا	إذا عقدوا العزائم لانطلاق
أحاط بدحيةٍ منهم أناس	تعدُّهم الذئاب من الرفاق

مضوا بحباء قَيْصَر وهو جُمَّ	فما منه لدى الكلبِيِّ باق
أَتَى مستصرِّحًا فأصاب مولى	يغيث صريخه مما يلاقي
وما لمحمد كفؤ إذا ما	سقى الأبطال كأس الموت ساق
دعا زيدًا فأقبل في جنود	تبیت إلى الملاحم في اشتياق
إلى حِسْمَى فما للداء حسم	إذا لم تَرْقِه بدم مراق
إليه يا ابن حارثة إليه	فَتَمَّ البغي ممتدَّ الرواق
لحذية حقه والسيف ماضٍ	وما لبني جذام من إباق
عبيد الشرك أوثقهم فقرُّوا	بدار الهُون يا لك من وثاق
ألا إن الهنيد أديل منه	فهل وجد الردى عذب المذاق؟
وهل نظر ابنه لمَّا تردَّى	وعاين روعة الموت الدُّعاق
توالى القوم في الهيجاء صرعى	كأن صراعهم خيل السباق
فأهلًا بالشويِّ تساق نهبًا	وأهلًا بالجمال وبالنياق
ويا ويح الحلائل والذراري	تعاني البرح من ألم الفراق

* * *

أَتَى النفر الأماجد من ضبيب	وقد شدَّ البلاء عرى الخناق
فقال إمامهم إنَّا جميعًا	من الدين القويم على وفاق
هو الإسلام يجمعنا فلسنا	بحمد الله من أهل الشقاق
ألا اكشف ما بنا يا زيد عنَّا	فليس بمستطاع أو مطاق
وجاء الكتاب ببيِّنات	فما يُرمى بكفر أو نفاق
وسار إلى رسول الله منهم	بغاة الخير والكرم الدُّفاق
فقال إلى السرية يا ابن عمي	فإن تلحق فنعم أخو اللحاق
وذا سيفي فخذة دليل صدق	فيا لك من دليل ذي ائتلاق
مضى أمر النَبِيِّ فيا لخطب	تكشف ليله بعد اطِّراق
أينصر كل لصٍّ من جذام	ويقه رافع السبع الطباق؟
تعالى الله لا يرقى إليه	من العالين فوق الأرض راق

السَّريَّةُ السَّادِسَةُ

كانت إلى مدين قرية سيدنا شعيب (صلاة الله وسلامه عليه)، وهي تجاه تبوك، وقد أصابت هذه السرية سبيًا عادت به إلى المدينة، وفرق المسلمون في بيعه بين الأمهات والأولاد، وسمعهم النبي يبيكون فأمر ألا يفرقوا بينهم.

فبعدًا للقطين وللديارِ	يمينا ما لمدين من قرار
عصوك؟ وما الذي فعل الذراري؟	شعيب كيف أنت وأين قوم
من العهد القديم على غرار	هم اتخذوا الهوى ربًّا وساروا
على دين المهانة والصغار	أتى الإسلام فاجتنبوه حرصًا
وكان البغي مجلبة الدمار	وصدُّوا عن سبيل الله بغيا
تريك مصارع الأسد الضواري	سما زيد إليهم بالمنايا
شديد البأس ملتهب المغار؟	تأمل يا شعيب أما تراه
بأنفسهم وجادوا بالفرار	توقى القوم صولته فضنوا
وجوه القوم من خزي وعار	لبئس الجود تلبسه سوادًا
سوى السُّرُج الزواهر كالدراري	تلفتت النساء ولا رجال
سوى العبرات والمهج الحرار	وضجت تستغيث ولا غياث

وبالنصر المحجَّل والفخار	تولَّى الجند بالسبي المخلَّى
ويا للشوق يجمع كل شار	فيا لبضاعة للكفر تُزجَى
لدين الله داعية افترار	ويا لك من بكاء كان حقًا
لمولى غير مولاهم وجار؟	أتمسي الأم تعزل عن بنيتها
وتلك إهابة الهمم الكبار	أبى البرُّ الرحيم فقال رفقا
وسكَّن كل قلب مستطار	فأمسك كل دمع مستهلًّا
على قدرٍ من الرحمن جار	تتابعت المواهب والعطايا
ينير المشرقين على انتصار	فغنم بعد غنم وانتصار
تجلَّتْ حكمة الفلك المدار	أصاب الدهر بغيته وأمست

السَّيِّئَةُ السَّابِعَةُ

كانت في رمضان من السنة السادسة، وسببها أن زيد بن حارثة (رضي الله عنه) خرج في تجارة إلى الشام، ومعه بضائع لأصحاب النبي ﷺ، فلما كان بوادي القرى لقيه ناس من فزارة فضربوه هو وأصحابه، وأخذوا ما كان معهم، ثم قدم على النبي فبعثه إليهم في جيش داهمهم، وأعمل فيهم القتل.

أَمِنْكَ فَزَارَةُ انْبَعَثَ الْغَزَاةُ؟	فَمَا تَغْنِي السِّيُوفُ وَلَا الْحِمَاةُ؟
لَعَمْرِكَ مَا ابْنُ حَارِثَةَ بَحَلٌّ	وَإِنْ زَعَمَ الْقَرَاصِنَةُ الْجَفَاةُ
أَثَارُوا الشَّرَّ لَا هُوَ يَبْتَغِيهِ	وَلَا أَصْحَابُهُ الْغُرَّ الْهَدَاةُ
أَصَابُوهُمْ عَلَى ثِقَةٍ وَأَمْنٍ	فَلَا سَيْفٌ يُسَلُّ وَلَا قَنَاةُ
وَجَاءُوا يَشْتَكُونَ إِلَى أَبِي	عَلَى الْأَعْدَاءِ تَحْرَجُهُ الشُّكَاةُ
رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ كَفَاءُ	إِذَا التَّقَتِ الْفَوَارِسُ وَالْكَمَاةُ
دَعَا زَيْدًا هَلُمَّ إِلَى قِتَالِ	تُنَالُ بِهِ مِنَ الْقَوْمِ التَّرَاتِ
قَدْ الْأَبْطَالُ لِلْهِجَاءِ وَاصْبِرْ	فَنَعَمَ الصَّبْرُ فِيهَا وَالثَّبَاتِ
إِلَيْهَا يَا ابْنَ حَارِثَةَ إِلَيْهَا	وَلَا يَحْزَنُكَ مَا صَنَعَ الطُّغَاةُ
مَشَى الْبَطْلُ الْمَقْدَفُ لَا اتِّئَادِ	تَضْيِيقُ بِهِ السِّيُوفُ وَلَا أُنَاةُ
يَخْفُ بِهَا إِلَى الْأَعْدَاءِ بَيْضًا	عَلَيْهَا مِنْ مَنَاقِبِهَا سَمَاتِ
أَقَامَتْ حَائِطُ الْإِسْلَامِ ضَخْمًا	تَدِينُ لَهُ الْجِبَالُ الرَّاسِيَاتِ
وَجَاءَتْ بِالْفَتْوحِ مَحْجَلَاتِ	لَهُ فِي ظِلِّهَا الضَّافِي حَيَاةُ
تَوَقَّتْهَا فَزَارَةُ وَهِيَ حَتَمِ	فَمَا عَصَمَتْ مَقَاتِلُهَا التَّقَاةُ
رَأَوْهَا بَعْدَمَا هَجَعُوا بَلِيلِ	لَهَا فِيهِمْ وَلِلْقَدْرِ انْصِلَاتِ
هَدَاهَا فِي الدَّجَى مِنْهُمْ دَلِيلِ	تَسُدُّهُ الْأَوَاصِرُ وَالصَّلَاتِ
لَوَاهُ عَنِ السَّبِيلِ قِضَاءُ رَبِّ	لَهُ الْحَكْمُ الصَّوَادِعُ وَالْعِظَاتِ
يَسُوقُ الْأَمْرَ ظَاهِرَهُ عَنَاءُ	وَبِاطِنَهُ كَمَا اقْتَرَحَ الْعُنَاةُ
كَمَثَلَ الْوَرْدَ أَوَّلَهُ أَجَاةُ	وَأَخَّرَ مَائِهِ عَذْبُ فِرَاتِ
ظُبِّي طَرَقَتْ جَمَاجِمُهُمْ بَيَاتًا	وَمَا خِيفَ الطَّرُوقُ وَلَا الْبَيَاتِ
تَوَثَّبَتِ الْحَتُوفُ فَلَا فِرَارِ	وَأَبْرَقَتِ السِّيُوفُ فَلَا نَجَاةُ

نقيع شقاوة يسقاه قوم
تردّوا في مصارعهم فأمسوا
وحاق بأُم قرفة ما أرادت
أرادت قتله فجرى عليها
فيا لك منظرًا عجبًا تناهت
أحيط بها وبابنتها جميعًا
لتلك جزاؤها المُردّي وهذي
تساق ذليلة من بعد عزّ
هو ابن الأكوع البطل المرجّى
قنيصة نافذ الأظفار ضار
هي الهبة الكريمة صادفتها
يمين محمد لا خير إلا
حباها خاله في غير ضنّ
رسول الله أكرم من أناخت
بنى دين السلام بكل ماضٍ
لإنقاذ النفوس من البلايا
تأملت الحياة وكيف تبقى
فأدّبني اليقين وهذّبني
هنيئًا يا ابن حارثة وأنى؟
سموت فما تطاولك الأمانى
ظفرت من النبي بخير نعمى
بلثّم زان وجهك واعتناق
على النور الذي انجلت الدياجي

هم الشرب المذمّم والسقاة
كسرب الوحش صرّعه الرّماة
بأكرم من تُفدّى الأمهات
قضاء القتل وانتصف القضاة
به الصور الروائع والصفات
فما نجت العجوز ولا الفتاة
لها الأسر المبرّح والشتات
كما سيقت غداة النحر شاة
سباها حين أسلمها الرعاة
له في كل ذي ظفر شبة
يمين ما تفارقها الهبة
له فيها معالم بيّنات
وأين من الضنين المكرمات؟
به الآمال وانتجع العفاة
به وبمثله ارتفع البُناة
تلحّ على مباضعها الأساة
حقائقها وتمضي التُّرّهات
وصاة الله بوركنت الوصاة
وما ترقى إليك التهنّئات
ولا ترجو مدام النّيّرات
تطيب بها النفوس الصالحات
شفاك فما بجارحة أذاة
به وعليك يا زيد الصلاة

سَرايا خالِدِ بْنِ الوليدِ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)

وهي ثلاث؛ أولاهما لهدم العزى، والثانية إلى بني جذيمة، والثالثة إلى أكيدر بدومة الجندل، وقد ذكرت الأولى في الفتح الأعظم، والأخيرة في غزوة تبوك. بعث خالد في خمسين وثلاث مئة رجل إلى بني جذيمة بناحية «يلملم» ليدعوهم إلى الإسلام، وكان النبي ﷺ يومئذ بمكة، وكانوا قد قتلوا الفاكه عم خالد في الجاهلية وأخاه، وقتلوا والد عبد الرحمن بن عوف، وكانوا شرارًا يسمون لعقة الدم، وكان في هذه السرية جمع من بني سليم قوم مالك بن الشريد الذي قتله بنو جذيمة قبل ذلك هو وأخوه في موطن واحد، فنشأت عن ذلك حالة كان لها أثرها في أنفسهم، فلبسوا السلاح وخرجوا إلى خالد ومن معه، يظنون شرًا ويظن بهم كذلك، وكانوا قد أسلموا فلم يعلم النبي وأصحابه بإسلامهم، فلما دعاهم خالد إلى الإسلام، قالوا: صبأنا، يريدون أنهم رجعوا عن جاهليتهم إلى الإسلام، ولكن هذا المعنى لم يقع في نفس خالد على الوجه الذي أرادوه، فأعمل فيهم القتل والأسر، وذهب جماعة منهم إلى النبي يذكرون خبرهم، وما صنع خالد بقومهم، فغضب وبعث عليًّا بن أبي طالب، ومعه مال يدي به قتلهم ورسالة إلى خالد أن يكف عنهم، ويطلق أسارهم.

جرى القضاء على ما كان من سبب
إلا الجهاد يراه أعظم القرب
قلتم صبأنا فلم يَأْثَم ولم يحب
فالدين عند ذويه أقرب النسب
وبابن عوف سوى الأوهام والريب
حتى تجلت سراعًا عن دم سرب

بني جذيمة ما في الأمر من عجب
أظَلَّكم خالد لا شيء يبعثه
لَمَّا دعاكم إلا الإسلام حين دعا
إن كان للمرء من أعمامه نسب
بنو سليم وإن خفتهم فليس بهم
فيا لها غمرة ما اسودَّ جانبها

سيء النبي بها فالنفس آسفة
المسلمون دم لله أو عصب
هم في الحوادث إن قُلُوا وإن كثروا
كلُّ حرام على كل فإن فئة
أثارها خالدٌ شعواء عاصفة
رمى بها وغواشي الظن تأخذه
إليك أبرأ ربِّي من جنايته
قم يا عليّ فوافِ القوم معتذراً
وخذ من المال ما يقضي الديات وما
حق علينا دم القتلَى ونحن على
القوم إخواننا في الله يجمعنا

والقلب مما أصاب القوم في تعب
ما مثله من دم جارٍ ولا عصب
بأسٌ جميعٌ ورأي غير منشعب
بغت على فئة فالله في الطلب
ما كان فيها لدين الله من أرب
من كل صوب فلم يرشد ولم يُصب
وأنت فيما عناني منه أعلم بي
وانشر عليهم جناح العاطف الحذب
يُرضي النفوس ويشفيها من الغضب
عهد وثيق وحبل غير مضطرب
دين الإخاء على الأيام والحقب

* * *

ردَّ الإمام نفوس القوم فائتلفت
بالجاهلية مما هيض جانبها
سلها وقد رجعت حسرى مذممة

واستحكم الودَّ وانحلت عرى الشغب
ما ليس ينفذ من همٍّ ومن وصب
هل زادها الله إلا سوء منقلب

سَرَايَا مُحَمَّدَ بْنِ مُسْلِمَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)

السَّرِّيَّةُ الْأُولَى

كانت إلى القرطاء، وهم بطن من بني بكر بن كلاب، خرج إليهم محمد بن مسلمة في المحرم من السنة السادسة ومعه ثلاثون راكبًا فيهم عابد بن بشير، فأغار عليهم، وأخذ منهم نعمًا وشاء وسبيًا، ولم يتعرض للنساء، ثم عادت السرية ومعها ثمامة بن أثال الحنفي — نسبة إلى حنيفة — سيد أهل اليمامة أسيرًا، فربط بسارية من سواري المسجد وأمر النبي أهله بإطعامه، وجعل له لبن ناقة يأتيه صباحًا، وما زال يتعهد بهه وفضله، ويقول: «ما عندك يا ثمامة»، فيقول: إن تقتل تقتل ذا كرم، أو ذا دم، وإن تعف تعف عن شاكرك، فإنه جاءه قبل ذلك رسولًا من مسيلمة ليغتاله، فعصمه الله منه، وقد أمر بإطلاقه، فاعتسل وذهب إلى مكة معتمرًا، فأخذته قريش، وقالت: لقد صبأت عن ديننا، فقال: إنما أسلمت وتبعت خير دين، ولن تصل إليكم بعد اليوم حبة من اليمامة حتى يأذن رسول الله، فهموا بقتله ثم رأوا أن يخلوا سبيله، فحبس عنهم ما كان يأتيهم من اليمامة حتى أضرب بهم الجوع، وأكلوا الطهز، وهو الدم يخلط بأوبار الإبل فيشوى، فكتبوا إلى النبي يناشدونه الرحم، فبعث إليه يأمره أن يخلي بينهم وبين ما يريدون ففعل، وفي ذلك نزل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾.

محمد يا ابن مَسْلَمَةَ سلام	وحمدا من شعائره الدوام
إلى القُرَطَاءِ لا كانوا رجالًا	هم البرحاء والداء العقام
رجال السوء لا حقُّ يُؤدَّى	لخالقهم ولا دين يقام

تَنْبَهَتْ الْقَوَاضِبَ وَالْعَوَالِي
 بَنِي بَكَرٍ أَلَمَّا تَبَصَّرُوها
 أَلَا إِنَّ السَّرِيَّةَ فَاحْذَرُوها
 هُمُ الْأَبْطَالُ عِدَّتْهُمْ قَلِيلُ
 تَقَدَّمَ عَابِدٌ وَمَشَى إِلَيْهِمْ
 فَتَلَكَ جَمَاجِمَ الْقَتْلَى وَهَذِي
 وَخُلِّيتِ النِّسَاءُ فَلَا ذِمَارُ
 وَلَيْسَ لِعَرَضٍ مَغْلُوبٍ وَقَاءُ
 أَعْقَاءِ النِّفُوسِ ذَوِي حِفَافِ
 هُوَ الْإِسْلَامُ إِحْسَانٌ وَبِرٌّ
 تَخَلَّوْا عَنْ حِلَائِلِهِمْ فَرُدَّتْ
 بَنِي بَكَرٍ غَدَا الْوَادِي خَلَاءُ
 وَأَيْنَ ثَمَامَةَ بَنِ أَثَالِ هَلَّا
 يَسَامُ الْهُونُ مَا جَزَعَتْ عَلَيْهِ
 أَمَّا بَصُرَتْ بِسَيِّدِهَا ذَلِيلًا
 أَصَابَ مِنَ الرَّسُولِ حَمِي مَنِيعًا
 أَصَابَ قَرَى يَحْدُثُ عَنْ جَوَادِ
 أَصَابَ كَرَامَةً وَأَفَادَ خَيْرًا
 تَعَاهِدْهُ كَرِيمٌ أُرِيحِي
 ثَمَامَةَ كَيْفَ أَنْتِ وَأَيُّ نَعْمَى
 أَمَّا مَكَّنْتُ مِنْكَ وَكُنْتُ خَصَمًا
 طَحَا بِكَ مِنْ مَسِيلِمَةٍ خَبَالِ
 يَقُولُ لَنْ أُرِدْتَ الْيَوْمَ قَتْلِي
 وَإِنْ يَكُ مِنْكَ مَغْفِرَةٌ وَعَفْوُ
 هَدَاهُ إِلَى سَبِيلِ اللَّهِ هَادٍ
 ثَمَامَةَ لَا تَخَفْ مَا عَشْتُ شَرًّا
 إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ فَسِرْ رَشِيدًا

بِأَيْدِي الْفَاتِحِينَ وَهُمْ نِيَامُ
 يَشُبُّ ضَرَامُهَا الْبَطْلُ الْهَمَامُ
 لِيَرْهَبَ بِأَسْهَا الْجَيْشُ اللَّهُامُ
 وَمَشْهَدُهُمْ كَثِيرٌ لَا يِرَامُ
 عِبَادُ اللَّهِ وَاسْتَعَرَّ الصَّدَامُ
 فَلَوْلَ الْقَوْمِ لَيْسَ لَهَا نِظَامُ
 لِبَكْرِيٍّ يَصَانُ وَلَا ذِمَامُ
 وَلَكِنَّ الْأَلَى غَلَبُوا كِرَامُ
 عَلَيْهِمْ كُلُّ فَاحِشَةٍ حَرَامُ
 وَأَخَذَ بِالْمَرْوَةِ وَاعْتَصَمَ
 عَلَيْهِمْ تَلَكُمُ الْمَنَنِ الْجِسَامُ
 فَأَيْنَ الشَّاءُ وَالْكُومُ الْعِظَامُ؟
 حَمَتُهُ حَنِيفَةٌ مِمَّا يَسَامُ؟
 وَلَا بَكَتِ الْيَمَامَةُ إِذْ يَضَامُ
 عَبُوسَ الْوَجْهِ يَعْלוهُ الْقِتَامُ
 وَكَهْفًا فِيهِ لِلْهَمِّ ازْدِحَامُ
 يَصِيبُ الرِّيَّ مِنْ يَدِهِ الْغَمَامُ
 فَلَا مَثْوَى يَذِمُّ وَلَا مُقَامُ
 لَهُ فِي كُلِّ آوْنَةٍ لِمَامُ
 ظَفَرَتْ بِهَا فَأَعُوْزَهَا التَّمَامُ؟
 تَفَاقَمَ شَرُّهُ وَطَغَى الْعِرَامُ؟
 فَلَا رَسَنَ يَرُدُّ وَلَا زِمَامُ
 فَلَا شَكْوَى لَدَيَّ وَلَا مِلَامُ
 شَكَرْتُكَ وَالْقَوِيُّ لَهُ احْتِكَامُ
 لَهُ بِمَخَائِلِ الْخَيْرِ اتِّسَامُ
 تَجَلَّى النُّورُ وَانْقَشَعَ الظُّلَامُ
 وَلَا يَحْزُنُكَ عَتَبٌ أَوْ خَصَامُ

تَأَجَّجَ فِي صَدُورِ الْقَوْمِ غَيْظٌ	لَهُ فِي كُلِّ جَانِحَةٍ ضَرَامٌ
أَتَسْلَمُ يَا ثَمَامَةَ إِنَّ هَذَا	وَإِنْ كَذَبْتَنَا لَهُوَ الْأَثَامُ
ثَمَامَةَ خَنَتْنَا وَصَبَّأَتْ عَنَّا	فَلَيْسَ لَصَدْعِ أَنْفُسِنَا التَّثَامُ
لَأَنْتَ لَنَا عَدُوٌّ نَتَّقِيهِ	فَلَا صَلَاحَ يَكُونُ وَلَا سَلَامُ

* * *

أَلَا فَدَعُوا الْجَهَالََةَ وَاسْتَفِيقُوا	فَمَا يُغْنِي عَنِ الْغَيْثِ الْجَهَامُ
حَذَارِ فَمَا ثَمَامَةَ غَيْرَ عَضْبٍ	لَكُمْ فِي حَدِّهِ الْمَوْتَ الزَّوَامُ
يَقُولُ لَكُمْ لَنْ لَمْ تَتَّبِعُونِي	لَسَوْفَ يُبِيدُكُمْ مِنْهُ انْتِقَامُ
أَسُدُّ عَلَيْكُمْ الْأَسْوَاقَ حَتَّى	يَصِيحُ جِيَاعُكُمْ أَيْنَ الطَّعَامُ؟
أَبَوْا فَأَذَاقَهُمْ مِنْهُ عَذَابًا	غَرَامًا مَا لِدَائِبِهِ انْصِرَامُ
أَذَابَ الْجَوْعُ أَنْفُسَهُمْ فَضْجُوا	وَضَجَّتْ فِي جُلُودِهِمُ الْعِظَامُ
أَهَابُوا بِالنَّبِيِّ أَلَا أَغَثْنَا	فَمَا يَرْضِيكَ أَنْ يَشْقَى الْأَنَامُ
أَغَثْنَا إِنَّهَا يَا خَيْرَ مَوْلَى	عَرَى الْأَرْحَامِ لَيْسَ لَهَا انْفِصَامُ
رَمِينَا مِنْ ثَمَامَةَ بِالدَّوَاهِي	وَفِي يَدِكَ الْكِنَانَةُ وَالسَّهَامُ
نَهَاةً فَلَا دَمٌ فِي الْحَيِّ يُشَوَّى	وَلَا شَيْخٌ يَجُوعُ وَلَا غَلَامُ
تَدَارَكَ فَضْلُهُ مِنْهُمْ نَفُوسًا	تَمَنَّتْ لَوْ تَدَارَكَهَا الْحَمَامُ
فَأَمْسَى الْأَمْرُ فِيهِمْ مُسْتَقِيمًا	وَلَوْ عَرَفُوا الْمَحْجَةَ لَاسْتَقَامُوا

السَّرِيَّةُ الثَّانِيَّةُ

وتسمى سرية ذي القصة — موضع قريب من المدينة — كانت إلى بني ثعلبة وبني عوال لما بلغهم محمد بن مسلمة وأصحابه كمنوالهم، ثم انقضوا عليهم وهم نيام فأعملوا فيهم الرماح، وجرحوا محمدًا ثم جردوه من ثيابه، وهم يظنون أنه قد مات، ومر به بعض المسلمين فاسترجع، فلما سمعه تحرك فحملة إلى المدينة، وبعث النبي ﷺ أبا عبيدة بن الجراح فلم يجد أحدًا من القتلى، ووجد نعيمًا وشاء فرجع بها.

ويح ذي القصة ماذا يشهد ويحه من وقعة لا تحمدُ

يا بني ثعلبة ما خطبكم؟ أكذا تقرى الليوث الهجد؟
إنه الجبن وأخلاق الألى يحسبون الختل حرباً توقد
فقدوا البأس فدبُّوا خفية وانتضوها أنفُسًا لا تفقد

* * *

يا جريح الحق هل متَّ وهل فُضِيَ الأمر وحم الموعد
فرح القوم فقالوا مغنماً ساقه الجد ورأي محصد
جرّدوا الفارس من أثوابه ليت شعري أي سيف جردوا
عرف السيف فتى من قومه ضجَّ يسترجع مما يشهد
أيها الميِّت تحرك لا تخف حضر الفادي وجاء المنجد
بورك الحامل ما أحسنها من يد معروفها لا يجحد

* * *

يا رسول الله بشرى إنها نعمة تزجى وخير يوفد
وبريد من بني ثعلبة وعوالٍ بالغوالي يبرد
جعلوا للسيف فيهم حكمه فله من هامهم ما يحصد
ليتهم كانوا رجالاً فأبّوا إذ دنا موعدهم أن يبعدوا

* * *

ذهب الحشد فلم ينظر سوى نعم تُزجى وشاء تُحشد
ساقها ما جعلت من همّه همُّه تلك النفوس الشُّرد
اللواتي تبعث الشرّ فإن عصف الشر تولّت تركد
بئسما توردها أهواؤها من حياض مُرّة ما تورد
فتنة الشرك وما من فتنة مثلها بين البرايا توجد
ليس غير الله في سلطانه من إله يُتَّقَى أو يُعْبَدُ
مالك الملك تعالى ما له في علاه من شريك يعهد

السَّرِيَّةُ الثَّالِثَةُ لِقَتْلِ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ

كانت في ربيع الأول من السنة الثالثة، وكان كعب من أشد الناس عداوة للرسول الكريم وللمسلمين، وكان يهجوه ويحرض المشركين على قتاله، عاهدته على ألا يعين عليه أحدًا فنقض العهد، وخرج بعد وقعة بدر إلى قريش يبكي قتلهم ويستفزهم للحرب، ومن سيئاته أنه صنع طعامًا، ودعا إليه النبي على نية الفتك به، فنبأه الله فلم يأكل منه، وكان لعنه الله) كثير المال، يعطي الأحبار ويصلهم، فلما قدموا عليه بعد هجرة النبي سألهم: ما يظنون به؟ قالوا: هو الذي كنّا ننتظره، فغضب ولم يعطهم، ثم رجعوا إليه وخدعوه بما يرضيه من القول، فرضي عنهم ووصلهم.

قال النبي: «من ينتدب لقتل كعب بن الأشرف؟» فقال محمد بن مسلمة: أنا يا رسول الله، فقال له: إن كنت فاعلاً فشاور سعد بن معاذ، فأشار عليه سعد أن يذهب إليه يشكو حاجته، ويطلب أن يسلفه طعامًا، فمكث ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب، وأتى أبا نائلة، وعباد بن بشر، والحارث بن أوس، وأبا عبس بن جبر أن يصحبوه، ثم جاءوا إلى النبي ﷺ يستأذنونهم في أن يقولوا لكعب ما يرضيه، فأذن لهم، وذهبوا إليه فقتلوه وحملوا رأسه إلى النبي، وجاءه اليهود مذعورين يقولون: قتل سيدنا، وعقدوا صلحًا.

الله منتقم والسيف منتصف
مهلاً لك الويل ماذا أنت مقترف؟
لَمَّا تَرَدَّتْ بِبَدْرِ تَلْكُمُ الْجِيفُ
كانت ضاراً فلا ودٌ ولا لطف
مكيدة فضحت أسرارها السجف؟
يا ويلكم أيُّ خافٍ ليس ينكشف؟
إن نُوزِعَ المجدُ بين الناس والشرفُ
وأنه من يمين الله يُختطف
وما الولوع بقول الزور والشغف؟
يُمَتَّاحُ فيها الأذى حيناً ويُغترَفُ
وأعلنوا من يقين الأمر ما عرفوا
جفَّ المعين فلا قصد ولا سرف

يا ناقض العهد لا شكوى ولا أسف
تهجو النبي وتغري المشركين به
كم جيفة خرجت من فيك منكرة
إن الوليمة أخزى الله صانعها
أتحسبون رسول الله يجهلها
بل أظهر الله ما تخفون فانكشفت
لقد هممت بمن لا حيَّ يعدله
يا ويل من ظنَّ أن الله يخذله
يا كعب ما لك تؤذيه وتنكره
جعلت مالك للأحبار مفسدة
رَمَوْكُ بالحق لما رحت تسألهم
فقلت عودوا فما عندي لكم صلة

إلى الفضول وما عن ذاك منصرف
لا يرتضي القول إلا حين ينحرف
بالمال يصدف عنه المعشر الأنف
وأمر سيدهم في الغي مؤتلف
في عين موسى كليم الله ما صدفوا
وللرسول يريه كيف يزدهف
شاوره فيها فنعم الحاذق الثقف
وللمجرب ذي التدبير ما يصف
تقوى من الله ما مالوا ولا جنفوا
ماذا على الدرّ مما يؤهم الصدف؟
فما بأفواهكم عيب ولا نطف

حسبي الحقوق فمالي لا يجاوزها
عادوا يقولون ما أشقاه من رجل
ثم انثنوا ينطقون الزور فانقلبوا
بئس العطاء وبئس القوم أمرهم
هم اليهود لو أن المال لاح لهم
هَبَّ ابن مسلمة للحق ينصره
فقال دونك سعدًا إن هممت بها
قضى ثلاثة أيام على سغب
وجاء في صحبه يستأذنون على
قال الرسول لكم في القول مأربكم
هي القلبو فإن طابت سرائرها

أنت الحمى المرتجى في الأزل والكنف
حتى لقد كاد يغشى أهلنا التلف
فالزاد منتهب والمال مُجترَف
روح الحياة فغيث وذقه يكف
إلا بهن فقالوا مطلب قذف
هذا الجمال الذي أوتيت والترف
البؤس أهون مما رمت والشظف
إن الشدائد فيها تسهل الكلف
وإن يريدونها دهماء تلتحف
عنا غياهبها وانجابت السدف
يعبُّ من سمه المردي ويرتشف
وليس ينجي الفتى من حفته الغرف
أخرج إلينا أما تنفكُ تعتكف؟
مهلاً فإن فؤادي خائف يجف
أن يستجيب ذوي الأضغان إن دلفوا

مضوا فقالوا لكعب أنت موئلنا
أما ترانا جياعاً لا طعام لنا
لم يُبق صاحبنا شيئاً نعيش به
إن أنت أسلفتنا ما نستعيد به
قال الحلائل رهن لا طعام لكم
تأبى علينا سجايانا ويمنعنا
قال البنون فقالوا لا تكن عسراً
خذ السلاح وإن كلفتنا شططاً
لم يدر مأربهم إذ يسخرون به
قال ارتضيت فقالوا غمة ذهبت
وأرجأوه إلى إبان مورده
جاءوه بالليل مسروراً بغرفته
ورنّ صوت أخيه عند مضجعه
فهبّ يركض وارتاعت حليلته
أنت امرؤ ذو حروب لا يلائمه

كأنه الدم يجري أو هو الجدف
يخشى عليَّ فيرعاني وينعطف
والشرك متَّسم بالحزن مرتجف
كأنه ذات دلٍّ زانها هيف
هذا الخلاء جنى للنفس يخترف؟
واعجب له بعد هذا كيف ينكسف
على هدى الله ما زاغت ولا اعتسفا
وأقبل الموت عن أيمانها يقف
كأنها من جنيِّ الزهر تقتطف
في الطيب وهو له من خلفه هدف
تشق ما ضربت منه وتنتقف
كادت تخرُّ لها من داره السقف
صوت يجلجل أودى السيد اللقف
بني النضير انفروا للثأر وازدلفوا
أين الحماة؟ وماذا يصنع اللهف؟
إلا البكاء وإلا الأدمع الذُّرف؟
أمسى صريعاً فلا كبر ولا صلف
عند الرسول ومنه الصدُّ والنكف
أن يُدرِّكوا همم ترمى بها عُصف
نصر جديد وفضل منه مؤتلف
عودي يهود فنعم العهد والحلف
ملء البسيطة من أيماك الصحف
وإن أحسنها ما أورث السلف
مضى النعيب وأودى الشاعر الخرف

إنني لأسمع صوتاً لست آمنه
قال اسكتي ودعيني إنه لأخي
وراح يلقيه والإسلام مبتسم
وافاه في صحبه يدني الخطى عباً
قالوا أتمشي إلى شعب العجوز ففي
وانظر إلى القمر الزاهي وبهجته
ساروا إلى الشعب والأقدار تتبعهم
حتى إذا قعدوا ظلت بموقفها
وتلك كفُّ أخيه فوق مفرقه
يشمُّها ويقول القول يخدعه
ظَلَّتْ سيوف رسول الله تأخذه
يا حسننا صيحة من فيه يرسلها
لم تستطع عرسه صبراً فجأوبها
بني قريظة هبوا من مضاجعكم
عدا الرجال على كعب فوا لهفا
تبكي عليه وماذا بعد مصرعه
إن الذي كان يثني عطفه صلِّفاً
عادوا بهامته تُلْقَى مذمَّمة
كان اليهود على آثارهم فأبت
الله أكبر والحمد الجزيل له
ريعتُ يهود فجاءت تبتغي حلقاً
هيهات ما لك من عهد ولو حملت
عبَّاد قل إن في الأشعار تذكرة
غنِّ الرفاق بوحى الحق تنشده

سَرَايا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)

السَّريَّةُ الْأُولَى

كانت إلى بني سعد بن بكر بفدك «قرية بينها وبين المدينة ست ليالٍ»، بلغ النبي ﷺ أنهم يريدون أن يمدوا يهود خيبر على أن يجعلوا لهم تمرها، فلما اقترب الإمام والذين معه، وكانوا مئة رجل من هذه القرية، وجدوا رجلاً فسألوه عن بني سعد، فقال: لا علم لي بهم، فشددوا عليه، فأقر أنه عين لهم، ثم دل المسلمين عليهم، ولكنهم خافوهم فلم يظهروا للقائهم، وغنمت السرية خمس مئة بعير وألفي شاة.

يا بني سعد بن بكر مرحباً	بادروا القوم فرادى وثبى
غشيتكم من يهود فتنة	كالحبِّي الجون يُرخي الهيدبا
إن في خيبر من سحر القنا	عدد التمر ومن بيض الظبى
هي للأبطال أذكى مطعماً	يا بني سعد وأشهى مشربا
هل ترون اليوم إلا مقنبا	من حماة الحق يتلو مقنبا
إنه يوم «عليّ» فاصبروا	أو فحيدوا عنه يوماً أشهباً
يا بني «سعد بن بكر» إنه	مارج الهيجاء يزجي اللهباً
احذورها واحموا أنفسكم	لا تكونوا في لظاها حطباً
دلّه منكم عليكم رجل	خشي القتل وخاف العطباً
«عينكم» صيرها عيناً لكم	فاعجبوا للأمر كيف انقلباً

وارتمى البأس فطرتم هربا	زحف الجيش فذبتم فرقا
منكم اليوم امرؤ أن ينهبها	ليس غير النهب ما يمنعه
لم يذق آلامها من نكبا	«نكبة التمر» فلولا شؤمه
خلقوا للشر فيمن جرّبا؟	أفما جربتم القوم الألى
شرعوا السحت ودانوا بالربا	هم وباء الأرض أو طاعونها
ربّ زدهم كل يوم غضبا	غضب الله عليهم فرضوا
ويعادي الله أن لن يغلبا	هالك من ظن ممن يعتدي
وضح الحق فولّى وأبى	وأضلّ الناس في دنياه من

السُّرِّيَّةُ الثَّانِيَّةُ

كانت لهدم «الفلس» صنم طيء والإغارة عليها، بعث إليهم في خمسين ومئة رجل من الأنصار، فهدموا الصنم وأحرقوه واستاقوا الشاء والنعم والسبي، وكان في السبي أخت عدي بن حاتم الطائي واسمها سفانة، ومعناها الدرة، مر عليها النبي ﷺ فقامت إليه وذكرت له أباهما وما كان له من أعمال مشكورة، ثم سأله أن يمن عليها ففعل، وأسلمت فكساها ثم حملها وأعطاهما مالا، فذهبت إلى أخيها وأشارت عليه بالقدوم على النبي ليدخل في دين الله، فجاء وأسلم، وقد وجدوا في خزانة الصنم ثلاثة أسياف معروفة عند العرب؛ وهي الرسوب واليماني والخزم، وثلاث أدرع آلت إلى النبي ﷺ.

إلى معشر يعبدون الصنم	إلى طيء يا ابن عم النبي
فلن يلبث الشرك أن يصطلم	إلى الفلس في جندك الغالبيين
وأشقى النفوس وهّدّ الهمم	أضلّ العقول وأعمى القلوب
فما من ملاذ ولا معتصم	أرى طيئًا خذلت ربها
فيغضي عليه ولا ينتقم	فيا لك ربّا يذوق الهوان
فزال الجلال وبار العظم	مضى عزّه وانطوى مجده
فتلك تفاريقه ما تلم	وأصبح تذروه هوج الرياح
وكانت حباّس منذ القدم	وهاتيك أسلابه أطلقت

سيوف بقين طوال العصور
مللن لدى الفلاس عهد الظلام
أضاء الرسوب به واليماني
وما نظرت أعين الدارعين
رجعت بها يا ابن عم النبي
وبالسبي مغتنماً ما رأى
ومرّ النبي بسفانة
وقالت نشدتك فامنن عليّ
أنا ابنة من كان في قومه
وما بك في حاتم ريبة
يفك العناة ويعطي العفاة
ويُفشي السلام ويرعى الذمام
فقال لها صفة المؤمنين
كريم يحب حسان الخلال
مننت عليك فإن تفرحي
فقلت شهدت مع الشاهدين
رأيت السبيل فآثرته
كساها وأركبها واستهل
فراحت بخير وراح الثناء
وجاءت أخاها فقلت عدّي
وإنني استقمت على واضح
دع الشرك واذهب إلى يثرب
هناك هناك جلاء العمى
هناك النبي العظيم الجلال
هناك النجاة لهلكى النفوس

ودائع للوارثين الأمم
فأصبحن ميراث ماحي الظلم
وأشرق في راحتيه الخدم
كأدراعه الغاليات القيم
وبالشاء مجلوبة والنعم
حماة المحارم إذ يفتنم
فقامت إليه تبت الألم
فما حق مثلي أن يُهتضم
عقيد السخاء حليف الكرم
بلى إنه للجواد العلم
ويكسو العراة ويحمي الحرم
ويقري الضيوف ويشفي القرم
فلو أنه كان فيهم رُجم
ويكره من حبها أن يُذم
فغيرك أولى بحزن وهم
فذلك دين الهدى لا جرم
وفارقت دين العمى والصمم
عليها بغمر من المال جم
يجوب السهول ويطوي الأكم
أرى الحق أخلق أن يلتزم
من الأمر يا ابن أبي فاستقم
فتمّ هدى الله باري النسم
ورِيّ الصدى وشفاء السقم
هناك الرسول الكريم الشيم
فطوبى لمن رامها فاعتزم

السَّريَّةُ النَّالِئَةُ

كانت إلى بلاد مذحج — أبو قبيلة من اليمن — وهي من بلاد اليمن، بعث إليها في ثلاث مئة فارس، عقد النبي له لواء وعممه بيده، فلما بلغها فرق أصحابه فأتوا بنهب وغنائم وأطفال ونساء ونعم وشاء وغير ذلك، ثم لقيهم فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ورموا المسلمين بالنبل والحجارة، فصاف أصحابه، ودفع لواءه إلى مسعود بن سنان، ثم حمل عليهم فقتل منهم عشرين رجلاً فانهزموا وتفرقوا، فكف عنهم، ثم دعاهم إلى الإسلام فأسرع إلى إجابته ومتابعته نفر من رؤسائهم، وقالوا: هذه صدقاتنا فخذ منها حق الله (تعالى) ونحن على من وراءنا من قومنا، فعاد فوافى النبي بمكة في حجة الوداع.

هو الدين أو حدُّ الحسام المهندِّ
 تروا عجباً من مشهد ليس بالدِّ
 يشدُّ عيلها مالك الملك باليد
 تعممه للحرب كف محمد؟
 إذا انتسب الأبطال في كل مشهد
 وأنتم بمنأى بين صرعة وهجْد
 هو الحق من يؤثّر يرشد ويهتد
 وإن تُعرضوا فالسيف غضب المجرد
 عن الحق رأي طائش لم يُسدِّد
 تتابع شتى بين مثنئى وموحد
 رميتم بأحلام عواذب شرِّد
 فلا دمكم بسل ولا هو معتد
 شرازم شتى كالشعاع المُبدِّد
 سعيذاً ومن يرغب إلى الله يسعد
 فخذها بإحسان وإن شئت فازدد
 ونبذل حقَّ الله غير منكدر
 نناجز منهم كل غاي ومُفسد
 ونورد منه قومنا خير مورد
 وبشّر رسول الله يشكر ويحمد

بني مذحج ما ثمَّ من مُتردِّد
 ألا فانظروا سيف الإمام وبأسه
 بليتم بمعقود اللواء على يد
 بني مذحج ما ظنكم بمدجج
 غزاكم بمن لا تعرف الحرب غيرهم
 أصابوا من الأسلاب والسبي ما ابتغوا
 فلما لقوكم قال صاحب أمرهم
 فإن تُسلموا فالله بيني وبينكم
 صددتم صدور الجاهلين وردكم
 جرى النبل يهوي واستطارت حجارة
 رميتم بها جند النبي وإنما
 مضى السيف يجزيكم على الشرِّ مثله
 فوليتم الأدبار وارتدَّ جمعكم
 وآمن منكم معشر عاد جدُّهم
 وجاءوا فقالوا هذه صدقاتنا
 ندين بأنَّ البرَّ لا شيء مثله
 وأنا لكم عون على ما وراءنا
 وندعو إلى الإسلام ننشر نوره
 لك الشكر فارجع يا عليّ مظفراً

سرية أبي سلمة إلى قطن

هو عبد الله بن عبد الأسد القرشي المخزومي، بعثه النبي ﷺ إلى قطن — جبل بناحية فيد، اسم ماء لبني أسد — في المحرم من السنة الرابعة، ومعه مئة وخمسون رجلاً من المهاجرين والأنصار؛ منهم أبو عبيدة، وسعد، وأسيد بن حضير وأبو نائلة، لطلب طليحة وسلمة ابني خويلد الأسديين؛ لأنهما كانا يدعوان قومهما ومن أطاعهما لحربه، وكان قيس بن الحارث ينهاهما عن ذلك فلا ينتهيان، فلما بلغت السرية أرض بني أسد خاف القوم فهربوا وأصاب المسلمون إبلًا وغنمًا فأخذوها.

يا ابني خويلد أي شر هجتما	إن كان من يبغي المحال فأنتما
أفتدعوان إلى قتال محمد؟	هلاً إلى غير القتال دعوتما؟
ما كان قيس في النصيحة جاهلاً	بل كان أعلم بالصواب وأحزماً
ينهاكما أن تفعلوا ويخافها	مشبوبة تجري جوانبها دما
بعث النبي الجيش تحت لوائه	بطل إذا نكص الفوارس أقدماً
هو ذاك عبد الله في أصحابه	يمشي إلى قطن قضاء مبرماً
فتأهباً يا ابني خويلد واجمعا	للحرب جمعكما ولا تتندما

* * *

سر يا دليل الجيش في بركاته	واسلك إلى فيد الطريق الأقوما
هي منتواه فليس يبغي غيرها	لشبا القواضب منتوى وميمماً
يا دائباً يصل الدياجر بالضحى	سر في سبيلك إن أردت المغنما

إلا السخاء فما أبرُّ وأكرما	إن الألى جعلوك رائدهم أبوا
عند الحفيظة ما يعاب ويُحتَمَى	درجوا على دين الفداء فما بهم
يرمي بمهجته العجاج الأقتما؟	أين الرجال ألا فتى ذو نجدة
أم أصبحوا ملء المضاجع نُومًا؟	أين الرجال؟ أفارقوا أوطانهم
حذر العدى وتقدما لا تحجما	يا ابني خويلد جرّدا سيفيكما
للحرب تستلب الكمّي المُلعلما؟	يا ابني خويلد أين ما أعددتما
فهلكتما وكذاك يهلك ذو العمى	أعددتما الجبن المذلّ لتسلما
لأجل منزلة وأعظم منكما	أسلمتما النهب السليب وإنه
كيدًا يُرَدُّ ولا أصابوا مجرما	رجع الغزاة به كرامًا ما لقوا
سبحانه أسدى الجميل وأنعما	الله طهرهم وصان سيوفهم
ولو أنه اتخذ الكواكب سلّما	هم حزبه لا حزب إلا دونهم

عبد الله بن أنيس الأنصاري (رضي الله عنه)

بعثه النبي ﷺ وحده في المحرم من السنة الرابعة لقتل أبي سفيان بن خالد الهزلي الذي جمع الجموع لحربه، ولم يكن عبد الله يعرفه، فقال: صفه لي يا رسول الله، فقال: «إذا رأيته هبته وفرقت منه، ووجدت له قشعريرة وذكرت الشيطان»، ثم استأذنه أن يقول له ما يرضيه، فأذن له وأمره أن ينتسب إلى خزاعة، وكان بموضع قريب من عرفة يقال له عرنة، فأخذ سيفه وخرج إليه فوجده كما وصف، وقال له ما أرضاه حتى اطمأن إليه فقتله وجاء برأسه إلى النبي.

سرية أنت وحدك	فاجعل سجايك جندك
لا تخش يا ابن أنيس	فليس سفيان ندك
احشد قواك وخذه	فليس يسطيع رذك
إن غره حد عزم	فسوف يعرف حدك
يهول في الوصف جدًا	حتى ليعظم عندك
لكنه الله أعلى	عليه في البأس جدك
أقبل فتى البأس أقبل	واعمل لربك جهدك

* * *

أخذته بخلاب	كذبته فيه ودك
أوردته القول حلوًا	ولو درى عاف وردك
ويلمه من غبي	لو كان يعرف قصدك

أحبُّ به من رسول	لقتله قد أعدَّك
يظن أنك ضد	له فدونك ضدَّك
بوركت يا ابن أنيس	من فارس ما أشدك
ضربته فتردَّى	وكان ذلك وكذك
وعدت لا مجد إلَّا	أراه يحسد مجدك

سفيان هل كنت طودًا	فمن رماك فهذَّك؟
أم كنت للشرِّ نخرًا	تخشى الطواغيت فقدك؟
أودى بك ابن أنيس	فأقفر الحيُّ بعدك
وردَّ عَزَّكَ ذلًّا	فما تُصعِّرُ خدك
ملأت صدرك حقْدًا	فهل شفى السيف حقدك؟
ومت من قبل وجدًا	فهل محا الموت وجدك؟
أين الجموع؟ أتدري	من خط في الترب لحدك؟
وأين رأسك هلَّا	صدقت نفسك وعدك؟
أغواك جهلك حتى	لقيت في النار رشدك
أنضجت نفسك غيظًا	فاليوم تُنضج جلدك
يغيظك الدين حقًّا	فأنت تقدح زندك
هيَّجت للشرِّ وقدًا	فأين غادرت وقدك؟

يا صاحب الغار من ذا	بنصره قد أمدَّك
أليس ربَّك؟ فاجعل	له على الدهر حمدك
ردَّ العدى لم يفوزوا	وأنت بالفوز رذك
ألقي الهدية واسحب	في ساحة الفخر بركك
دعا الرسول وأثنى	فاحمد لك الخير رفدك
وقل تباركت ربِّي	يسَّرت للخير عبدك

سرية عكاشة بن محصن

بعثه النبي ﷺ إلى الغمر — غمر مرزوق — وهو ماء لبني أسد على ليلتين من «فيد»،
ومعه أربعون رجلاً، في ربيع الأول من السنة السادسة، فخافهم القوم وتركوا مساكنهم
وأصاب المسلمون غنماً وإبلًا فعادوا بها إلى المدينة.

عكاشة ما في الغمر من متخلف	خلا الغمر من عُماره فهو مقفر
تناذر أهله سيوفك فانجلوا	وغودر وحشاً خالياً ليس يُعمر
خذ الشاء والإبل السمان فإنهم	إلى أجل ما دونه متأخر
فإما حمى الإسلام أو حدٌ قاضب	على متنه منهم دم يتفجر
عكاشة عد بالجند غير مخيب	كفى القوم خزيًا أن يفروا ويدبروا
لكل امرئ من نفسه ما تودّه	وما يك من شيء فربك أكبر
له الدين والدنيا وما بعد هذه	فلا شيء إلا ما يشاء ويقدر

سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل

وهي حصن وقرى من طرف الشام، بينها وبين دمشق خمس ليالٍ، وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة، كانت هذه السرية في شعبان من السنة السادسة، سيرها النبي ﷺ بعد أن عمّم أميرها عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) بيده الشريفة، ثم أمر بلالاً أن يدفع إليه اللواء، وقال له ولن معه: «اغزوا جميعاً في سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله، ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا، فهذا عهد الله وسنة نبيه فيكم»، فمكث عبد الرحمن ثلاثة أيام يدعو القوم إلى الإسلام فيأبون إلا السيف، ثم أسلم رئيسهم الصبغ بن عمرو الكلبى، وكان مسيحياً، وأسلم معه كثيرون، وتزوج ابنته وقدم بها المدينة، فولدت له بعد عشرين سنة وبضع من الهجرة أبا سلمة، الحافظ الثقة والعالم الكبير.

يا ابن عوف سر حثيثاً باللواء	واقدم الجيش بعزم ومضاء
سر حثيثاً يا ابن عوف إنها	دومة الجندل والقوم البطاء
سُبقوا للحق ما يأخذهم	ذلك النور ولا هذا الرُواء
ويحهم ماذا عليهم لو رضوا	شرعة الله ودين الحنفاء؟
اتَّق الله ولا تبغ الأذى	واتَّبِع ما قال خير الرحماء
إن للحرب لديه أدباً	يزرُّ السيف ويحمي الضعفاء
من يدعُه لا ينل مجداً وإن	فتح الأرض وأقطار السماء

أعرض القوم وقالوا ديننا	يا ابن عوف ديننا لا ما تشاء
ليس غير السيف يقضي بيننا	وهو أولى يا ابن عوف بالقضاء
ورأى سيدهم ما هاله	من أمور لا يراها الجهلاء
إنه الأصبغ لا يخدعه	باطل الوهم ومكروه الهراء
قال أسلمت فيا قوم اشهدوا	واهتدوا فالله حق لا مرأ
شرع الدين الذي وصّى به	عمدة الرسل وشيخ الأنبياء
هو دين الله حقاً ما به	إن رضينا أو أبينا من خفاء

* * *

أسلمت من قومه طائفة	وأبنت طائفة كل الإباء
ما على ذي همّة من حرج	إن تراخى الجد أو زاغ الرجاء
كل أمر فله ميقاته	طابت الأنفس أم طال العناء

* * *

يا ابنة الأصبغ هذا ما قضى	ربُّك الأعلى ففوزي بالرفاء
ملّة فضلى وبعل صالح	حبذا القسّم وما أسنى العطاء
إنه أمر النبيّ المجتبى	معدن التقوى ومولى الأتقياء
يا ابن عوف لو رأى الغيب امرؤ	لرأت عيناك ما تحت الغطاء
لك من زوجك كنز جلل	من كنوز الله أغنى الأغنياء
يُسْتَمَدُّ العلم منه والهدى	ويقام الدين قدسي البناء
نعمة الله ما أعظمها	فله الحمد جميعاً والثناء

سرية عبد الله بن عتيك الخزرجي الأنصاري

كانت لقتل أبي رافع بن عبد الله، أو سلام بن أبي الحقيق اليهودي، وهو من الذين حزبوا الأحزاب يوم الخندق وأعان المشركين بالمال الكثير، بعثه النبي ﷺ إليه في شهر رمضان سنة ست، وقيل في ذي الحجة سنة خمس بعد وقعة الأحزاب، ومعه عبد الله بن أنيس، وأبو قتادة واسمه الحارث بن ربيعي، والأسود بن خزاعي، ومسعود بن سنان الأسلمي من الخزرج، فذهبوا إلى خيبر، فلما أمسوا جاءوه في حصن له، فقال ابن عتيك لأصحابه: دعوني أحتال للدخول عليه، ثم تقنع بثوبه، فظنه البواب من أهل الحصن الذين خرجوا لطلب حمار فقد منه فأدخله، ثم أخذ المفاتيح التي علقها البواب وراء الباب بعد إغلاقه، فلما ذهب عن أبي رافع أهل سمره صعد إليه ابن عتيك يفتح الأبواب ويغلقها وراءه، ثم انتهى إليه فإذا هو وسط عياله في بيت مظلم، وقال لامرأته: إني جئته بهدية، ثم ضربه فلم يقتله، وصاح أبو رافع، فخرج ابن عتيك ثم عاد، وقد غير صوته يسأله عن سبب صياحه، ثم قتله، وخرج فسقط وانكسرت ساقه فاخْتَبَأَ، وخرج اليهود باحثين، ثم عادوا وهو كامن، وبقي إلى أن يسمع الناعي، فلما نعي انطلق إلى أصحابه، ثم عادوا، ومسح النبي على رجله، فكانها لم تصب.

ولا يدع الخصم المشاغب ناجيا
لنفسك من تلك العقابيل شافيا
تريد بدين المسلمين الدواھيا
فلست بلاق من حمامك واقيا
يريدك مغتالاً ويلقاك غازيا

أبا رافع لا يرفع الله طاغياً
جمعت من الأحزاب ما شئت تبتغي
ورحت تصبُّ المال في غير هينة
هو ابن عتيك إن جهلت وصحبه
يدبُّ وقد جنَّ الظلام مقنعا

فأجمع ألا يصحب الدهر غاويا
دمًا فاجرًا في مسبح الكفر جاريا
وقد دخل الرهط الذي كنت رائيا؟
لأجلك مفتوحًا ودعني وما بيا
أعصُ وريديه الحسام اليمانيا
يضمُّ عليها مخلب الليث ضاريا
إلى الأخرق المغرور يعلو المراقيا
فبوركت من سيف وبورك ساقيا

كأن حمار الحصن أوتي رشده
أعان عليك السيف يكره أن يرى
يقول له البواب ما لك جالسًا؟
إلى الحصن فادخل لست تارك بابہ
فقام ولو يدري خبيثة نفسه
ولاحت لعينه الأقاليد فانتحى
فلما غفا السمار أقبل صاعدًا
سقاہ بحدّ الهندواني حثفه

* * *

إلى الأرض في ظلماء تخفي الداريا
بصدع فأمسى واهن العظم واهيا
ويزورُ في برديه يخشى الأعاديا
رمى السند الأعلى فلا كان راميا
وماذا جرى؟ من كان للحصن حاميا؟
مصابًا ينسّينا الخطوب الخواليا؟
طلاب الذي ما زال في الحصن ثاويا
ولا غادروا مما هنالك واديا
مكان الردى المجتاح ألفوه جاثيا
من القوم داع يرفع الصوت ناعيا
عليه وكان الظن أن لا تلاقيا
ولا يتوقى الحثف يلقيه عاديا
ويلقى رسول الله جذلان راضيا
بخيبر لم تكسر ولم يك شاكيا
طوت منك جبارًا قضى العمر عاتيا؟
فدُبُّ أسفاً واعكف على النار صاليا

هوت رجله من زلة قذفت به
فما برحت حتى أصيب صميمها
وبات يُواري نفسه في مكانه
تنادوا فقالوا فاتك من عدونا
متى جاء؟ كيف انسلّ في غسق الدجى؟
من الجنّ هذا أم من الإنس يا له
وراحوا سراعًا مهطعين يهيجهم
فما تركوا في أرض خيبر بقعة
وعادوا يعضّون البنان ولو رأوا
فما زال حتى أذن الديك وانبرى
هنالك وافى صاحبه فتحدبوا
فتى يركب الأهوال لا يتّقي الردى
قصاراه أن يرعى أمانة ربه
شفى رجله مما بها فكأنها
أبا رافع ماذا لقيت بحفرة
عكفت على البغي المذمّم والأذى

سرية عبد الله بن رواحة الأنصاري إلى أسير بن رزام اليهودي بخيبر

لما قتل أبو رافع أمّرت اليهود عليها أسير بن رزام، فغضب لقومه وسار في غطفان وغيرهم يجمعهم للحرب، وبلغ النبي ﷺ ذلك فوجه عبد الله بن رواحة وبعض أصحابه في رمضان من السنة السادسة يستطلعون الخبر، وعادوا بعد ثلاثة أيام يذكرون ما رأوا وسمعوا، فبعثه إلى أسير في ثلاثين رجلاً، فعرضوا عليه أن يسير معهم إلى النبي ليحسن إليه ويستعمله على خيبر، فشاور قومه فرضي بعض وأبى بعض، وسار ومعه جمع منهم، فلما كان في الطريق ندم على سيره، وأراد الفتك بآبن رواحة فقتله، وقتل المسلمون من كان معه إلا رجلاً اشتد في الهرب، وكان ذلك في شوال من السنة السادسة.

جرب لك الويل من غرٍّ وسوف ترى
بك التجاريب إن الحرَّ من صبرا
من غالب فاعتبر إن كنت معتبرا
والغي يتبعه في الناس من فجرا
لك الإمارة كيما يدركوا الظفرا
يرى العدى في الوغى منهم ولا خورا
إذا تعرّت وولّى الذادة الدُّبرا
حاولت يا ابن رزام مطلبًا عسرا
فما احتيالك في السرِّ الذي ظهرا؟
وافاه من ربه من يحمل الخبرا

أأنت يا ابن رزام تغلب القدرا؟
جرب أُسِيرٌ ولا تجزع إذا عثرت
كذبت قومك إن الحر ليس له
هيهات ما لك إلا الغيُّ تتبعه
بئس الأمير وبئس القوم إذ جعلوا
الظافرون بنو الإسلام لا فزعًا
هم الألى يلبسون الحرب زينتها
ماذا تحاول بالأشيعا تندبهم؟
ظننتها غزوة تخفى مكائدها
لو لم يواف رسول الله مُخبره

كم فضَّ جبريل من صمَّاء مغلقة أنحى على سترها المكنون فاشتهرها

* * *

على أبي رافع فلتبك من أسف
ذلت يهود فما يُرجى لها خطر
دعها أُسيّر لك الويلات من رجل
ألسنت تبصر عبد الله في نفر
جاءوك يا ابن رزام لو تطاوعهم
لكنك المرء لو ترميه صاعقة
ردُّوا لك الخير تسديه إليك يد
قالوا انطلق معنا إن كنت منطلقًا
ما شئت من سؤدد عالٍ ومن شرف
أبى وراجعته من نفسه أمل
ثم انتننى يتمادى في وساوسه
واختارها خطة شنعاء مأكرة
أراد شرًّا بعبد الله فانبعثت
رأه أخون من ذئب فعاجله
وانقض أصحابه يلقون من معه
لم يترك السيف منهم وهو يأخذهم
مضى مع الريح لا يأسى لمهلكهم
كذلك الغدرُ يلقي الويل صاحبه

واستبق نفسك إن كنت امرأ حذرا
على يدي من نهى فيها ومن أمرا
ضلَّ السبيل فأمسى يركب الغررا
أعظم به وبهم من حوله نفرا؟
لأذهب الله عنك الرجس والوضرا
تنهاه عن نزغات الغيِّ ما ازدجرا
ما مثلها من يد نفعًا ولا ضررا
فأت الرسول وسله تبلغ الوطرا
على اليهود ويجزي الله من شكرا
أغراه بالسير حتى جدَّ مبتدرا
يظن ذلك رأيًا منه مُبتسرا
فحاق بالجاهل المأفون ما مكرا
منه صريمة عادٍ ينقض المررا
بالسيف يورده منه دمًا هدررا
من قومه فاستحزَّ القتل واستعرا
إلا حشاشة هافٍ يسبق البصرا
ولا يبالي قضاء الله كيف جرى
وكيف يأمن عقبى السوء من غدرا؟

عمرو بن أمية الضمري يُوفد إلى مكة لقتل أبي سفيان

اختار أبو سفيان رجلاً من أجراً الناس وأقدرهم على الشر، ثم أعطاه نفقة وبعيراً، وبعثه لقتل النبي ﷺ، فخرج يحمل خنجرًا حتى جاءه فانحنى عليه يريد أن يفعل، فأخذته الرهبة، وكان أسيد بن حضير مع النبي فشده على خناقه حتى ظهر الخنجر، إذ كان يخفيه في ثيابه، وقد استجار بالنبي فعفا عنه وأسلم، ثم ذهب فلم يعرف اسمه ولم ير بعد ذلك.

أرسل النبي عمرو بن أمية الضمري لقتل أبي سفيان، وكان فاتكًا في جاهليته شجاعًا في إسلامه، فأخذ خنجرًا، وخرج معه رجل آخر اختلف في اسمه، فقل هو سلمة بن أسلم، وقل جبار بن صخر، فجعل عمرو يتنكر بمكة حتى لا يعرفه أحد لشهرته، فعرفه معاوية بن أبي سفيان وأشاع خبره، فخف الناس يطاردونه، فاخترًا في غار وخرج فقتل رجلًا من الكفار، ورأى رجلين منهم في طريقه إلى المدينة كانا يتجسسان على المسلمين، فقتل أحدهما برمية سهم، وأسر الآخر.

أبا سفيان أيّ دم تريد؟	هي العنقاء مطلبها بعيد
بل العنقاء أقرب من مرام	هو الأمل المحبّب أو يزيد
أغرّك خنجرٌ بيدي شقيّ؟	وما يدريك أيكما السعيد؟
رأى رجلًا ترى الشم الرواسي	جلالته فترجف أو تميد
فلم تنفعه من فزع قواه	ولم ينهض به البأس الشديد
وشدّ خناقه بيدي أسيد	فلولا الرفق لانقطع الوريد

تلقاه بمخلب مكفهر
وأظهر ما يواري من سلاح
وأيقن أن دين الله حق
أصاب الخير من بركات رب
وجاءك يا أبا سفيان عمرو
هو البطل الذي عرفت قریش
يخادعهم وما تخفى عليهم
بدا لهم المغيب فاسترابوا
وأبصره معاوية فجلى
وشدوا خلفه فإذا سلكي
وغيبه ببطن الأرض غار
أعين بصاحب لا عيب فيه
وجاء لحينه منهم غوي
يدير الكفر في فمه نشيداً
أصاخ له فأوقد منه ناراً
تلهب واستطار فيا لنفس
رماها في لهيب البأس رب

يثور فتتشعر له الجلود
يدب بمثله الشنف الحقود
فما يجدي الضلال وما يفيد
هداه رسوله الهادي الرشيد
فأين تزيغ ويحك أو تحيد
فلا نكر بذاك ولا جحود
مكيدة من يخادع أو يكيد
ولج الذعر واضطرم الوعيد
سريرة نفسه النظر الحديد
أعير جناحه البطل النجيد
فما يدرون أين مضى الطريد؟
فنعم صاحب الثبت الجليد
له في الشعر شيطان مريد
يردده فيعجبه النشيد
لها من كل جارحة وقود
طغت حيناً فأدركها الخمود
لها في ناره الكبرى خلود

* * *

كلا الرجلين يا عمرو عدو
هما عينا الخيانة من قریش
رميت عن النبي فمن صريع
ومن فزع مضيت به أسيراً
جلبت على أبي سفيان شراً
تجرع ثكل من فُقد ذعافاً
ستدركه الحياة ولا حياة
رجال لا تُبيدهم المنايا
هو الإيمان لا دنيا حلوب

فدونك إنه صيد جديد
وأنت يد النبي بها يزود
أراق حياته السهم السديد
على جزع يذل ويستقيد
فأصبح وهو محزون كميد
وأهلكه الأسى فهو الفقيد
لغير المؤمنين ولا وجود
وكل من بني الدنيا يبدي
يعاش بها ولا ملك عتيد

سرية أبي بكر (رضي الله عنه) إلى بني كلاب

ويقال إلى بني فزارة بناحية «هريّة» بنجد، خرج إليهم في شعبان من السنة السابعة في رجال منهم سلمة بن الأكوع، فبعد أن صلوا الصبح شنوا الغارة عليهم فقتلوا وسبوا، وكان من السبايا امرأة استوهبها سلمة من أبي بكر فجعلها له ثم استوهبها النبي ﷺ من سلمة، فوهبها له، فأرسلها (صلوات الله وسلامه عليه) إلى مكة ففدى بها أسرى من المسلمين كانوا عند المشركين.

طُبِعَ السيف ليبقى مُغمدا	جرّد السيف أبا بكر فما
فاستعن بالله واذهب منجدا	تلك نجد خيم الكفر بها
أين دين الكفر من دين الهدى؟	جاهد القوم وزلزل دينهم
ما له في الله جدّ أو مدى	سرت في بأس بعيد المرتضى
ودع السيف وأعناق العدى	إنها الحرب فسر لا تتدّ
خُلِقَ المخلّب لليث سدى	فارم يا ابن الأكوع القوم فما
من سقى منهم أفاويق الردى	هذهم أسراً وسبياً وسقى
فهووا صرعى وأمسوا همدا	جال فيهم جولة عاصفة
وأبوا أن يُتّقى أو يُعبد	صدفوا عن ربهم سبحانه
وي كأن الله يجزي المفسدا	فجزاهم من نكال ما لقوا

يا أبا بكر وأنت المُرتَجَى	أعطه المرأة يشكرها يدا
إن تكن سيِّدة في قومها	فكفاها أن أصابت سيِّدا
عاد منصورًا وسارت معه	فرقدًا يتبع منه فرقدًا
نظر الله إليها فبدا	لرسول الله فيها ما بدا
قال هبها لي فلم يبخل بها	ومضى من أمرها ما سدَّدا
هبطت مكة في حاجته	فهي للصحب من الأسر فدى
سرّه أن أطلق الشرك بها	من نفوس حرة ما قيِّدا

* * *

اذهبي ما أنت من شأن الألى	أوردوا قومك ذاك المورد
كذب الجهال فيما زعموا	ما المباتير المواضي كالمدى

سرايا غالب بن عبد الله الليثي

السَّريَّةُ الْأُولَى

كانت في شهر رمضان سنة سبع إلى أهل الميفعة بناحية نجد، وهي على ثمانية برد من المدينة، خرج إليها في مئة وثلاثين رجلاً، فهجموا على أهلها في مساكنهم، وقتلوا من تصدى لهم، واستاقوا النعم والشاء، وفي هذه السرية قتل أسامة بن زيد (رضي الله عنهما) نهيك بن مرداس الأسلمي، وقيل الغطفاني، بعد أن قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فلامه النبي ﷺ فقال: إنما قالها تَعَوِّذاً من القتل، قال: «هلا شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب؟»، قال أسامة: لن أقتل بعده من قالها، وفي ذلك نزل قوله (تعالى): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الآية، وورد أن النبي ﷺ دفع الدية إلى أهله، وأمر أسامة أن يعتق رقبة.

اسألني يا نجد أهل الميفعة	كيف أمسوا بعد أمن ودعه
وانظري ما صنع الكفر بهم	من أذى يعجبه أن يصنعه
هو صنو الشرِّ أو توأمه	ما ثوى في موطن إلا معه
ما الذي يعصمهم من غالب	جذوة الحرب وليث المعصه؟
جاءهم يقدم من أبطاله	كلُّ ماضٍ لا يبالي مصرعه
يمنع الإسلام من أعدائه	بدم يأبى له أن يمنعه
لو تمشى الموت في برده	حين يمشي للوغى ما روعه

أخذوهم أخذة رابية صادفت منهم نفوساً فزعه
ثم آبوا كالنجوم الزهر في نعمة مما أصابوا وسعه

* * *

يا ابن زيد قدّم العذر وقل يا رسول الله هل من تبعه؟
رجل أجمع أن يخدعني فجعلت السيف يعلو أخدعه
أعلن الإسلام يحمي دمه وله بالكفر نفس مولعه
قال هل شق الفتى عن قلبه فيرى السر ويدري موضعه
يا ابن زيد يا له من خلق لست بالمؤمن حتى تدعه
سأه اللوم فقلب آسف يتقي الله ونفس موجهه
تاب ممّا سؤل الظن له وأبأها سنة مبتدعه
ليس للمرء من الأمر سوى ما رآه ظاهرًا أو سمعه
وخفايا الغيب لله الذي يعلم السر ويدري موقعه
احترس ما الظن إلا شبهة تتقيها كل نفس ورعه
واتبع الحق فهذا حكمه جاء في القرآن كيما تتبعه

* * *

ما سبيل المرء يرتاد الهدى كسبيل المرء يبغي المنفعة
ما نأى المؤمن عن عادته حين ينأى عن هوان وضعه

السَّريَّةُ الثَّانِيَّةُ

كانت إلى بني الملوح بالكديد — اسم ماء بين عسفان وقديد — خرج إليها في صفر من السنة الثامنة، وكان من رجال هذه السرية جندب بن مكيث الجهني (رضي الله عنه) قال: لما بلغوا قديد وجدوا الحارث بن مالك الليثي المعروف بابن البرصاء فأخذوه، فقال: إني جئت أريد الإسلام وما خرجت إلا لرسول الله ﷺ، فقالوا: إن تكن مسلمًا فلن يضرك رباط يوم وليلة، ثم وضعوا عليه حارسًا، وأمروه أن يقتله إذا ظهر منه سوء، وساروا حتى أتوا الكديد، فجعله أصحاب جندب بن مكيث ربيّة لهم، فأشرف على رأس تل فرآه رجل من بني الملوح فرماه بسهمين، وقع الأول بين عينيه فنزعه، والثاني

في منكبه فكَذلك، ثم نام القوم فحمل المسلمون عليهم سحرًا، فقتلوا منهم من قتلوا واستاقوا النعم، واستصرخ القوم، فاجتمع عدد كثير وحملوا على المسلمين، فأرسل الله السيل في الوادي، وادي قديد، من غير سحابة ولا مطر فحال بينهم، وأسلم ابن البرصاء وهو صاحبي توفي آخر خلافة معاوية.

طاف الردى وتلاقى الشرب والساقى	بني الملوِّح لا حام ولا واق
فاستقبلوها بهامات وأعناق	أتتكم المرهفات البيض زائرة
يلفُّ للحرب آفاقًا بآفاق	مشى بها غالب في غير ما وهن
فالشرك يرجف من خوف وإشفاق	رمت به همم الإيمان ممعنة
عند القديد أيمضي غير معتاق؟	ما خطب هذا الذي لاقت فوارسه
فيما يريدون من ظلم وإرهاق	كلًّا فإن يك حقًّا ما يقول فما
إلى الرسول على عهد وميثاق	يقيم حتى يعودوا ثم يصحبهم
والسيف صاحب صدق غير مدّاق	وإن يكن كاذبًا فالسيف صاحبه

والنوم يلهو بأجفان وأحداق	جاءوا «الكديد» فما يعفى ربيئتهم
لساهر قام من زعر على ساق	ولاح بالليل فوق التلّ منظره
ولم يُجاوزه في نزع وإغراق	رمى بسهمين لم يُخطئ له نظر
ولا تُرْعَ لدم في الله مهراق	انزعهما ابن مكيث لا تكن جزعًا
للعاكفين على الأصنام من باق	ويا سيوف رسول الله لا تدعي
ما اختارها غير فُجّار وفساق	النازليين وراء الحق منزلة
هل جاء إلا بآداب وأخلاق؟	ما ينكرون من الدين الذي كرهوا؟
ما تستطيع مداها همة الراقي	دين السجايا العلى تمضي بهم صعدًا
يرمي النفوس بأغلال وأطواق	دين هو الغلُّ ينهى كل مبتدع
وليس يظلم في حبس وإطلاق	لا يحبس النفس إلا حين يطلقها

بني الملوِّح ردُّوا من غوايتكم فالحقُّ ذو وضّح بادٍ وإشراق

هو الشقاء لأدواء النفوس إذا
أُتصِفون عن المثلى وقد هتفت
لولا العمى ما اقتديتم في ضلالتكم
والناس من زعماء السوء في خبل
يا ويلكم إن رضيتم جوف مُظلمة
ماذا صنعتُم بخيل الله حين دعا
طارت بكم غارة حرّى فأطفأها
لا تنكروا وقضاء الله يرسله
أعظمُ بها آية لولا جهالتكم
سيقت لنصرتِه الأقدار تمنعكم
وأنا يا أيها المُزجي مطيَّته
أصبت من نعمة الإسلام كنز هدى
فاسعد برزقك واشكر مَنْ حباك به

حار الطبيب وأمسى رهن إخفاق
بها الدعاة فلَبَّى كل سَبَّاق؟
بمعشر من قريش غير حُذَّاق
يؤذي الطبيب ويُعيي حكمة الراقي
مسجُورة ذات أطواء وأعماق
يستصرخ الحيّ منكم كل نَعَّاق؟
وادي قديد بسيل منه دَفَّاق
ما كان من دهش جم وإطراق
كانت لخير البرايا خير مصداق
أن تدركوا جنده كل منساق
إلى الرسول يوالي سير مشتاق
أغناك ربك منه بعد إملاق
سبحانه من عظيم الفضل رزاق

السَّريَّةُ الثَّالِثَةُ

لما عاد غالب بن عبد الله الليثي (رضي الله عنه) من الكديد أرسله النبي ﷺ إلى موضع مصاب أصحاب بشير بن سعد «بفدك» في صفر سنة ثمان، ومعه مئة رجل، فأغاروا على بني مرة فقتلوا وغنموا، وكان بشير (رضي الله عنه) قد سار إليهم في شعبان سنة تسع ومعه ثلاثون رجلاً، فما رأوا منهم أحداً وعادوا بالنعم والشاء، فأدركوهم وجعلوا يرمونهم بالنبل، فقتل من قتل وولى الباقيون إلا بشيراً، فقد ثبت لقتالهم حتى جرح فسقط وبه رمق، وعمد القوم إلى اختباره بضربة في كعبه فلم يتحرك، فظنوا أنه قد مات، وانصرفوا عنه لنعمهم وشائهم، فتحامل هو فذهب في الليلة التالية إلى فدك، فأقام فيها عند بعض اليهود حتى قوي ثم عاد إلى المدينة بعد أيام.

بني مرة اقضوا أمركم قبل غالب
بشير بن سعد والذين أصابهم

وذوقوا منايا القوم من كل ذاهب
أذاكم رموكم بالقروم المصاعب

لذي الجهل يؤذي شؤمه كل راكب
يدمر منكم كل راضٍ وغاضب
عن الوتر إن نامت شفار القواضب
ويأخذهم بالخسف من كل جانب
ويكفيه أضغان العدو المشاغب
إذا لم يُفدّ فيه ضروب التجارب
رجال يرون الحزم ضربة لازب
عقدت على تلك القوى والجواذب
وإلف على إلف من الدين راتب
أمين الهوى يرعى الذمام لصاحب
على الجند آداب الكميّ المحارب
بغير المنايا عن يدي كل ضارب
جرى الحنف صرفاً في دم منه ذائب
وللجاهل المغرور سوء العواقب
إلى الحق ترمي دونه غير هائب
وكننت وراء النهب أكرم آيب
يراه الفتى المقدام أسنى المطالب
لما نلت من مجد على الدهر دائب
يحدّث عن جد امرئ غير لاعب
ويا لك من يوم جليل المناقب

جهلتم جزاء البغي والبغي مركب
خذوا جزاء من يد الله عادلاً
بليتم بخصم لا تنام سيوفه
أبيّ على الكفار يسقيهم الردى
حفيّ بدين الله يمنع حوضه
هو الدم لا يشفي من الجهل غيره
أجل يا ابن عبد الله إن الوغى لها
شدت قوى الأبطال بالموثق الذي
فعهد على عهد من الله ثابت
أخ لأخ جمّ الوفاء وصاحب
ويا لك إذ تُلقي بما أنت قائل
أخذت رماة النبل بالسيف ما رمى
سقاهم نقيع الحنف من كل ماجد
لذي الحلم من حسن المثوبة ما ابتغى
دعاك رسول الله أصدق من دعا
فكننت أمام الجيش أكرم قادم
مقام تمنّاه الزبير ومطلب
ظفرت به يا توأم النصر توأمًا
مضى لك يوم في الكديد مشهّر
فيا حسنّها من وقعة غالبية

سَرِيَّةُ بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)

وهي السرية الثانية له بعد التي ورد ذكرها في السرية السابقة، كانت إلى عين وجبار، وهي أرض لغطفان، وقيل لفزارة، خرج إليها في شوال سنة سبع ومعه ثلاث مئة رجل، وسبب خروج هذه السرية أن عيينة بن حصن أعدَّ جمعًا بأرض غطفان للإغارة على المدينة، فلما بلغهم مسير بشير إليهم هربوا، وأصاب هو وأصحابه نعمًا كثيرة لهم فغنموها، ثم لقوا الجمع وهو لا يشعر بهم فانهزم بغير قتال، وتبعوهم فأسروا منهم رجلين أسلما وخلي سبيلهما.

وما ذلك الذي أنت جامع
ويطمع فيها يا عيينة طامع؟
إذا جئت تبغيها ولا السيف قاطع
يردُّ الأذى عنها وجيش مدافع
يهون عليهم أن تهول الوقائع
وإن صدروا بالخيال فالنصر لامع
فهل أنت بالجمع المضلل راجع؟
فلا قلب إلا واجف منه جازع
لكم منه يومٌ هائل البأس رائع
وتندبها آثارها والمراتع
وأقبل يُزجى سربه المتتابع
عن الشرك ناهٍ من هدى الله رادع

عيينة ماذا أنت — ويحك — صانع؟
رويدك هل يغزو المدينة حانق
هي الصخرة العظيمة فلا البأس نافع
لها من جلال الله حصن ممنع
وفيهما رسول الله والنفر الألى
إذا وردوا الهيجاء فالنقع قاتم
بشير بن سعد يا عيينة قادم
أتاكم على بعد المزار حديثه
فررتم تريدون النجاة وقد بدا
وغادرتم الأنعام تعوي رعاتها
فيا لك من نهب تَوَلَّى حماته
ويا للأسيرين اللذين نهاهما

وللحق نور للعماية صاعد	هما أسلما لما بدا الحق واضحاً
وما يستوي في الناس عاصٍ وطائع	أطاعا رسول الله فاهتديا به
على لاحب منه فهل أنت نازع	عيينة من ينزع إلى الرشدا يزل

سَرِيَّةَ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) إِلَى بِلَادِ بَلِيٍّ وَعُذْرَةَ

تقع هذه البلاد وراء وادي القرى، بينها وبين المدينة عشرة أيام، وبلي قبيلة كبيرة تنسب إلى بلي بن عمرو بن إكاف بن قضاة، وتنسب عذرة إلى عذرة بن سعد بن قضاة، وتسمى هذه السرية ذات السلاسل؛ لأن المشركين ارتبط بعضهم إلى بعض مخافة أن يفروا، والمراد أنهم تجمعوا وانضم بعضهم إلى بعض، وقيل لأن بهذه البلاد ماء يسمى: السلسل.

كانت في جمادى الآخرة سنة ثمان، وسببها أن جمعاً من قضاة أرادوا الإغارة على المدينة، فبعثها النبي ﷺ تحت إمرة عمرو بن العاص، وعددها ثلاث مئة رجل من سراة المهاجرين والأنصار، فلما اقترب من القوم بعث رافع بن مكيث الجهني إلى النبي يستمده، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في مئتين من أكابر المهاجرين والأنصار، فيهم أبو بكر وعمر، وأوصاه بطاعة عمرو، فأراد أن يؤم الناس في الصلاة، فأبى عمرو وقال: أنا الأمير، فأطاع أبو عبيدة، وما زال عمرو يصلي بالناس، وحمل المسلمون على العدو، فهربوا بعد أن اقتتلوا ساعة، فقتلوا وغنموا، وأمر عمرو أن لا يوقدوا ناراً، فأنكر عمر ذلك، فقال أبو بكر: دعه، فما بعثه النبي إلا لعلمه بالحرب، وأرادوا أن يتبعوا العدو وهو مدبر فمنعهم، فلما عاد سأله النبي فقال: كرهت أن يوقدوا ناراً فيرى العدو قلتهم، وأن يتبعوهم فيكون لهم مدد.

إلى ذات السلاسل من بليٍّ وعذرة فامض بورك من مضى

تدفق بالألى جاشت قواهم
إلى قوم من الأعداء تُطوى
تألب جمعه من كل أوب
أهزل من قضاة أم خيال
تولّى الكفر أمر القوم فيه
جمعت لحربهم يا عمرو بأساً
رأيت جموعم شتى فهذا
عليه أبو عبيدة في سلاح
نهاه محمد عن كل أمر
ينازعك الإمامة ثم يرضى
رميت الكافرين بكل ماضٍ
فزالوا عن حظائرهم سراعاً
تواصوا بالثبات فزلزلتهم
هو البأس استطار فلا ثبات
قضيت السؤل من قتل وغنم
وكننت القائد الفطن الملقى
منعت النار خيفة أن تعري
تدافع دون عدتهم عدواً
ولم تتبع قضاة إذ تولّت
تقاتلها بسيف من دهاء
رمى الفاروق من عجب بقول
فقال له أبو بكر رويداً
رسول الله أكثر منك علماً
وما للحرب إلى كل طبّ

إليك تدفّق السيل الأتي
جوانحهم على الداء الدويّ
يحاول بالسيوف حمى النبيّ
غويّ جال في جوّ غويّ؟
فسوف يرون عاقبة الوليّ
يزلزل كل جبار عتيّ
رسولك جاء بالمدد القويّ
يمجّ عصارة الموت الوجيّ
تضيق به وما هو بالعصيّ
وتلك سماحة الخلق الرضيّ
من الأبطال يعصف بالرميّ
ولم تُغنِ الرباقي عن الشويّ
صواعق ما تكفّ عن الهويّ
لغير السيف والبطل الكميّ
ونلت ذؤابة الشرف العلي
فنون المكر والكيد الخفيّ
جنودك شيمة الحذر الذكيّ
تخادعه عن الأمر الجليّ
وإذ نهل الصفيّ عن الصفيّ
يمزقها بحدّ لودعيّ
يثير حمية الرجل الأبيّ
ولا تعدل عن السنن السويّ
بصاحبه ولست له بسيّ
يصرفها برأي عبقرى

* * *

أمير الجند يا لك من سريّ
مشى الصّدّيق والفاروق فيه
أصاب أمارة الجند السريّ
على أدب من الخلق السنّيّ

سَرِيَّةَ عَمْرٍو بنِ الْعَاصِ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) إِلَى بِلَادِ بِلَى وَعُذْرَةَ

وهل يُقْضَى على اسم الله أمر	فينكره التقيُّ على التقيِّ؟
إذا استوت المراتب وهي شتَّى	فما فضل اللبيب على الغبيِّ؟
أَجَلْ يا عمرو ما بك من خفاء	إذا فزع الرجال إلى الكفيِّ
شأوت السابقين إلى محلٍّ	يجاوز غاية الأمد القصيِّ
وذلك فضل ربك زيد فيه	على يده لذي الجدِّ الحظيِّ

سَرِيَّةُ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ

وتسمى سرية الخبط، وذلك لما أصابها من الجوع فألجأها إلى أكل الخبط، وهو ورق السلم؛ فإنها خرجت للجهاد، ولم يكن معها من الزاد سوى جراب تمر زوَّدها النبي ﷺ إياه، وسماها البخاريُّ سرية سيف البحر؛ أي ساحله، بعث أبو عبيدة في رجب من السنة الثامنة بعد أن نقضت قريش عهد الرسول الكريم، وقبل فتح مكة، ومعه ثلاث مئة وبضعة عشر رجلاً من المسلمين، فيهم عمر بن الخطاب، إلى أرض جهينة ليلقى عيراً لقريش، ويحارب حياً من هذه القبيلة، فلما اشتد بهم الجهد ابتاع قيس بن سعد بن عباد من أحد رجال جهينة خمس جزائر بخمسة أوسق من التمر يؤديها أبوه عنه بالمدينة، فنحر لهم ثلاثاً، وبقي اثنان عاد بهما إلى المدينة يتعاقب المسلمون عليهما.

ساروا سراعاً فما في القوم من وان
حُمَّ القضاء وخفت أسد خفان
عالي اللواء رفيع القدر والشان
موارد النصر تشفي كل حران
إلا القواضب تُسقى بالدم القاني
فبإدار العير واضرب كل خوان
ما يزرع الشؤم من بغى وعدوان
أولو الحمية من صحب وإخوان
لكن ربك ذو فضل وإحسان
ما ليس ينفد من تقوى وإيمان

هم سادة الحرب من شيب وشبان
حيدي جهينة أو بيدي مذممة
سرية الله ترمي عن يدي بطل
أبا عبيدة أوردتها مظفرة
ما للحفيظة إن جاشت مراجلها
خانت قريش وأمسى عهدا كذباً
لا يعجببن جناة الشر إن حصدوا
لا تبتئس بجراب التمر يحمله
أعجوبة ما لها في الدهر من مثل
إن ينفد الزاد أغناكم وزودكم

لكل ذي سغب في الله طيَّان
يلقون في البؤس عيش الناعم الهاني
نعم البناء وجلت قدرة الباني
تجني بها الحمد يستعلي به الجاني
جاءت على قدر في خير إبان
قيس ووالده في الجود سيَّان
غوث اللهيف وروح البائس العاني
لو لم تكن لأب للحق صوان
ما تحمل الأرض من إبل ومن ضان
ما قدم الناس من هدي وقربان

كلوا من الخبط نعم الخبط من أكل
حيَّاكم الله من صيد غطارفة
هي النفوس بناها الله من شمم
وأنت يا قيس فانحرها مباركة
أسديتها يا ابن سعد خير عارفة
ما في صنيعك من بدع ولا عجب
كلاكما وسيوف الله شاهدة
ما أقرب الحق مما يبتغي عمر
يقضيه عنك وإن أربيت تجعله
ما مثل ما قدمت لله منك يدُ

* * *

قيس لأمعن قيس أيَّ إمعان
أبا عبيدة مهلاً كيف تنهاني؟
مولي العشيرة من قاص ومن دان
ويطعم الناس من مثني ووحدان
أب أراه لغيري خير معوان؟
سمح الخلائق أراعاه ويرعاني
فعَدَّ نفسك عن وصف وتبيان

أبا عبيدة لولا أن عزمت على
يقول إذ رحت تنهاه وتمنعه
أنا ابن سعد وسعد أنت تعرفه
يكفي المهمُّ إذا ضاق الكفاة به
أأصنع الصنع محمودًا فيخذلني
لا يُبعد الله منه والدًا حدبًا
يا قيس إن رسول الله شاهده

* * *

فلم تجد غير أبطال وفرسان
لاذت من الزاخر الطامي بأكنان
من الألى هم ذووها كل شيطان
أن لا يفوزوا بأكفاء وأقران؟
من الألى كرهوا الحسنى بخسران

رمت جهينة بالأبصار من فزع
لاذات بأكنانها القصوى ولو قدرت
وولت العير يخشى أن يحاط بها
ماذا على القوم يرضى البأس إن غضبوا
أبوا بخير وأبت كل طائفة

* * *

سَرِيَّةُ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ

للحق سلطانه فليأت منكزه
ما حجة الشرك والأكوان شاهدة
سبحانه لن يصيب الجاهلون على
طاحت بهم غمرة ما تنجلي وطغت
تلك البراهمين تترى كل آونة
لو كان ينتفع الأعمى ببرهان
على عقول لهم مرضى وأذهان
طول التوهم من ربّ لهم ثان
بواحد سمرديّ الملك ديّان؟
إن استطاع له ردًّا بسلطان

أخا جهينة عُذْ في منظر بهج
أخا جهينة عُذْ في منظر بهج
تمرّ وكسوة معطاء وراحلة
عرفت قيسًا فتى مجدٍ ومكرمة
نبئ جهينة واذكرها يدًا عظمت
فليس في الحق أن يجزى بنسيان
صدقت إنك ذو علم وعرفان
بشرى الصديق وبؤس الحاسد الثاني
عود امرئٍ مرح الأعطاف جذلان

إذا تدفق دين المرء في دمه
ما الدين يشرع من صدق ومن ورع
سرت معانيه في روح وجثمان
كالدين يشرع من زور وبهتان

سَرِيَّةُ بَشْرِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) إِلَى بَنِي تَمِيمٍ

أرسله النبي ﷺ إلى بني كعب لأخذ صدقاتهم، وكانوا من بني تميم على ماء فمنعه هؤلاء من أخذها، فعاد إليه بخبرهم، فأرسل معه عيينة بن حصن — بعد إسلامه — في خمسين فارسًا، فأغار على بني تميم وأخذوا منهم رجالًا ونساءً وصبيانًا، وعادوا إلى المدينة، فجاء في أثرهم من رؤسائهم عطاء بن حاسب والزبرقان بن بدر والأقرع بن حابس، وأخذوا ينادون النبي وهو في داره أن اخرج إلينا نفاخرك ونشاعرك، وكان يستعد لصلاة الظهر، فلما خرج للصلاة تعلقوا به، وبعد أن قضاها عاد إليهم، فتكلم خطبائهم وشعراؤهم، وأذن لثابت بن قيس وحسان بن ثابت، فخطب الأول وقال الثاني شعراء، ثم إنهم أسلموا فردَّ الأسارى إليهم، وأعطوا الجوائز السنية، وأقاموا مدة بالمدينة يتعلمون القرآن.

وفي حقه فادأب وإن فدح الأمر
ولا تألهم نصحاء لهم ولك الأجر
كرامًا يرون الدين أن يُبذل البر
تميم أما للقوم رأي ولا حجر
فعبَّ عباب البغي واحتدم الشر
وهيهات لج الشرك واستكبر الكفر
لربك فيهم حكمه ولك العذر
فهيجت بأسًا مثلما يقدر الجمر

سبيلك في مرضاة ربك يا بشر
عليك بني كعب فخذ صدقاتهم
أطاعوك في ذات الإله وأقبلوا
فما لتميم ساء ما صنعت بنو
أبوا أن يؤدُّوا الحق واهتاج جمعهم
يقول بنو كعب دعونا وديننا
لك الله يا بشر فعد غير آسف
أتيت رسول الله تروي حديثهم

بكل شديد البأس مطعمه مر
تنكب يلوي أخدعيه ويزورُ
وأموالهم فلينظروا لمن الخسر؟
بأعينهم من كل أوب وهم كثر
وهيهات لَجَّ الرعب واستفحل الذعر
مغانمه شتى وآثاره غر
إذا ائتلفت أوضاعها ضحك النصر
مجازيع مما يصنع الحبس والأسر
وضجَّ الأسارى إننا مسَّنا الضرُّ
وجهد الأسى أن تهطل الأدمع الغزر
لنائية تعتاد أو حادث يعرفو
ولو ملكوا صبرًا لأغناهم الصبر
له الشرف العالي الذرى وله الفخر؟
ولم يثنهم صوت الأذنين ولا الزجر
فلا أرج يحكي شذاها ولا نشر
لهم صلف ما ينقضي وبهم كبر
يفيد الهراء القوم أو ينفع الهجر
أردتم مقامًا دونه الشعر والنثر
وحسان فاشهد إنما يشهد الحر
وشاعره ما مثله شاعر برُّ
حباكم بها رب له الحمد والشكر
عطاء كريم ما لآلائه حصر
محبَّته غنم ومرضاته زخر
عفوٌ حلیم ما يضيق له صدر
فذلك نور الله ما دونه ستر
لكل ابن ليل من مطالعه الفجر
فما ثمَّ زاد مثله أيها السفر

أعدَّ ابن حصن للوغي وأمه
إذا ذاقه في غمرة الحرب قرنه
أغار عليهم فاستباح نفوسهم
تساق سباياهم وأنعامهم معًا
تود لو أن القوم يستنقذونها
أقاموا على غيظ وعاد عيينة
عليه من النصر المحجل بهجة
يظل أسارى القوم في دار «رملة»
رأوا سوء عقباهم فأقبل وفدهم
تصيح ذرايرهم وتبكي نساؤهم
أتوا دار أمضى الناس رأيًا وهمة
ينادونه في ضجة من ورائها
ألا اخرج إلينا وانظر اليوم أيُّنا
فلما رأوه خارجًا علقوا به
قضاها صلاة يحمل الروح نشرها
وعاد حميدًا ينظر القوم حوله
يقولون قول الجاهلين وقلِّمًا
عطارده مهلاً وأنه صحبك إنما
ألا إن قول الصدق ما قال ثابت
خطيب رسول الله ما فيه مرية
غلبتم فأسلمتم فبشرى بنعمة
خذوا السبي والأسرى وهذا عطاؤكم
أحبُّوا رسول الله يا قوم إنه
عطوف على ذي الضعف يؤتیه فضله
أقيموا على الفرقان تتلون آیه
كتاب يضيء السبل في كل مطلع
خذوا زادكم منه وعودوا لقومكم

سَرِيَّةُ أَبِي سُفْيَانَ وَالْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) لِهُدْمِ اللَّاتِ

أرسلهما النبي ﷺ بعد رجوعه من تبوك، لهدم اللات صنم ثقيف، فذهبا في بضعة عشر رجلاً فهدموها، وأراد المغيرة أن يسخر بثقيف، فلما علاها ليهدمها بالمعول ألقى بنفسه، فقالوا قتلته، وخرج النساء حُسراً يبكون عليها.

هدموها وأخذوا حليتها وكسوتها، وما كان فيها من ذهب وفضة وطيب، وأقبلوا على النبي فحمد الله.

ولا تسلميها للمعاول والهدم
بخطب يزيد الكفر رغماً على رغب
تبیت لها الكفار صرعى من الهم
يخادع من لا يستفيق من الوهم
من اللات ما ينهى الغوي عن الإثم
تطير فضاهاً من صلاب ومن صم
فها عندها بالمأثم الضخم من علم؟
رسول هدى يزداد غنماً على غنم؟
ومن مالهم في غير بغى ولا ظلم
وما ثم من عيب شنيع ومن ذم
فمن شرف وافٍ ومن سؤدد جم

ثقيف اجمعي لات ما شئت من عزم
أتاها أبو سفيان يرمي كيائها
وإن لها عند المغيرة همة
علاها بنعليه وألقى بنفسه
ظننتم به شراً وقلتم أصابه
ألا فانظروها كيف أضحت صخورها
تهد وتبكيها العقائل حُسراً
وهل منعت أسلابها إذ أصابها
له من دم الكفار ما شاء ربه
هم البغي والظلم المذمم والأذى
علت قبة الإسلام واعتز جنده

وهل يستحبُّ الجهلَ من كان ذا حلم؟	هو الدين لا دين الجهالة والعمى
فما لسواه من قضاء ولا حكم	قضى الله ألا يعبد الناسُ غيره
وأعرض عنه من عدو ولا خصم	وليس له غير الذي عاب دينه
ويذهب يوم الدين باللحم والعظم	سيصليه نارًا يُنضج الجلدَ حرها

سَرِيَّةُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)

كانت هذه السرية إلى «أبني»، ناحية بالبلقاء من أرض الشام، وهي آخر السرايا، أمره النبي ﷺ يوم الاثنين السادس والعشرين من صفر من السنة الحادية عشرة بالتهيؤ لغزو الروم، فلما كان من الغد دعاه وقال له: «سر إلى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل، وقد وليتك أمر هذا الجيش»، فلما كان يوم الأربعاء حُمَّ وصدع (صلوات الله وسلامه عليه)، فلما أصبح يوم الخميس عقد له لواء وقال له: «اغز باسم الله وفي سبيل الله»، وخرج أسامة فدفع اللواء إلى بريدة بن الحصيبي، وتهياً المهاجرون والأنصار للخروج، وفيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، واستنكف قوم من تأمير أسامة، وقالوا: غلام، وكان سنُّه ١٧ أو ١٩ أو ٢٠ سنة، وبلغت النبي مقاتلتهم، فغضب كثيراً وخرج وقد عصب رأسه فصعد المنبر، وقال: «أما بعد، أيها الناس، فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة؟ ولئن طعنتم في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله، وأيم الله إن كان خليفاً بالإمارة، وإن ابنه من بعده لخليق بالإمارة، وإن كان من أحب الناس إليّ، وإنه لمظنة كل خير، فاستوصوا به فإنه من خياركم».

وكان ذلك يوم السبت عاشر شهر ربيع الأول، وأمر النبي أبا بكر بالتخلف ليصلي بالناس، فلما كان يوم الأحد اشتد وجعه، فجاء أسامة وطأطأً فقبله، ثم رجع إلى معسكره «بالجرف»، ثم عاوده يوم الاثنين فقال له: «اغدُ على بركة الله» فودعه وخرج، وأمر الجيش بالرحيل، فأرسلت إليه امرأته فاطمة بنت قيس تقول: لا تعجل، فإن المرض قد اشتد على الرسول، فأقبل وأقبل معه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة، وانتهوا إليه ﷺ وقد توفي، وعاد الجيش إلى المدينة، وعاد بريدة باللواء، فغرزته عند النبي، فلما بويع لأبي بكر

أمر بريدة أن يذهب باللواء إلى بيت أسامة، وأن يمضي أسامة لما أمر به، فخرج وسار أبو بكر (رضي الله عنه) يودعه ماشيًا، وقد نصره الله وأيده.

سر يا أسامة ما لجيشك هازم	أنت الأمير وإن تعتّب واهم
قالوا غلام للكتائب قائد	وفتى على الصّيد الخضارم حاكم
غضب النبي وقال إني بالذي	جهل الغضاب الساخطون لعالم
إن يجهلوه فقد عرفت مكانه	والعدل عندي لا محالة قائم
ولئن رموه بما يسوء فقد رموا	من قبل والده ولجّ الناقم
نقموا الإمارة فيهما وهما لها	أهل فكلُّ أحوذٍ حازم
الخير فيه وفي أبيه فآمنوا	يا قوم وانطلقوا لما أنا عازم

* * *

ساروا وظلّ مع النبي خليله	والخطب بينهما مقيم جاثم
ينتاب مضجعه وينظر ما الذي	صنع القضاة فهمّه متراكم
مرض النبي طغى عليه فقلبه	يغشاه موج للأسى متلاطم
ودرى أسامة فانتثنى في جيشه	والحزن طامٍ والدموع سواجم

* * *

مات الرسول المجتبى مات الذي	أحيا نفوس الناس وهي رمائم
مات الرسول فكل أفق عابس	أسفًا عليه وكل جوّ قاتم
مات الذي شرع الحياة كريمة	والناس شر والحياة مآثم
مات الذي كانت عجائب طبّه	تشفي العقول وداؤها متفاقم
طاشت لمصرعه عقول رجّح	ووهت قوى مشدودة وعزائم
دنيا الممالك بعد عصر محمد	حزن يجدد والعصور مآثم
صلى عليك الله إن قضاءه	حتم وإن زعم المزاعم حالم

* * *

عاد ابن زيد بالكتائب ما لوى	من عزمه الحدث الجليل العارم
يمشي الخليفة لائذًا بركابه	وكأنما هو سائق أو خادم

وأبى الأمير فقال دونك مركبي
ولئن أبيت لأنزلن كرامة
قال الخليفة ما أراك بمنصفي
أنا من جنودك لو ملكت رأيتني
لا تمشِ إني إن فعلت لغانم
لك فاقض أمرك لا نبا لك صارم
دعني فللإسلام حق لازم
تحت اللواء فهالك أو سالم

* * *

قُضِيَ الوداع وعاد مشكور الخطى
سر يا أسامة فالقواضب لم تمت
وإذا البواتر واللهانم أعوزت
يا لاثم القمر المنير مودعا
هي يا أخا الشوق المبرح قبلة
ولقد تكون وفي حلاوتها أسى
يرعاه للإسلام ربُّ راحم
هي ما ترى وهو الجهاد الدائم
فالمسلمون بواتر ولهانم
هل كان قبلك للكواكب لاثم؟
ما ذاق لذتها مشوق هائم
مُرَّ مذاقته ووجد جاحم

* * *

زَلَزَلُ جنود الروم واهدم ملكهم
قتلوا أباك فلا تدعهم واعتصم
ولقد هزمت جموعهم فتفرقوا
وأجلت خيلك في عِراض ديارهم
قتلُ وأسر هدَّ من عزماتهم
ولئن أزلت ديارهم ونخيلهم
في عزه العالي فنعم الهادم
منهم بربك إنه لك عاصم
وشفاك منهم جيشك المتلاحم
وفعلت فعلك والأنوف رواغم
وأذلهم وكذاك يُجَزَى الظالم
من بعدما ظلموا فما لك لاثم

* * *

عد يا ابن زيد باللواء مظفراً
هذا أبو بكر مشى في صحبه
هم هنأوك وأنت أهل للذي
اشكر صنيع الله يا شيخ الوغى
جبَّ الرسول لك البشارة إنه
ماذا يقول ذوو الحفيظة بعدما
وانعم فبال محمد بك ناعم
يلقاك مبتهجاً وركبك قادم
صنعوا وحسبك أن يُفَيِّق النائم
إن الذي عاب الغلام لنادم
شرف له فوق النجوم دعائم
شكرت أمية ما صنعت وهاشم

أعيا الأوائل عهدها المتقادم	عفوًا فتلك حميَّةٌ عربية
لا ما تريه وساوس ومزاعم	للمرء من نور الحقائق ما يرى
خيرًا فأحرار النفوس أعظم	والناس عند فعالهم إن يفعلوا
ما قال فيهم ماح أو واهم	لا حكم للأنساب أو للسن في

